وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة – الجزائر–

منهج التدوين التاريخي عند المؤرخ أبي العباس الغبريني البجاوي في كتابه "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"

(ت704هـ/1304م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: إشراف الأستاذة:

بوذينة نورالدين **د. بوخاوش مريم**

اللجنة المناقشة:

–أ.د/خالد كبير علال ....رئيسا

–د/بوخاوش مريم ....مقررا

–د/ديب صفية ....عضوا مناقشا

–د/بوعمامة فاطمة...........عضوا مناقشا

السنة الجامعية : **1437–1438هـ/ 2016 . 2017 م**

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

إلى أمي الحبيبة -رحمها الله- التي رافقتني طيلة مشواري الدراسي، وكانت سببا في مواصلة دراستي، إلى والدي العزيز الذي هو الآخر كان سندا لي، وأعانني في إنجاز هذا العمل المتواضع.

إلى كافة أفراد عائلة بوذينة، وخاصة إخوتي عبد القادر، وخليفة، وبغداد وأحمد.

إلى ابني العزيز أحمد

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه وامتنانه في إنجاز هذه المذكرة.

كما أتوجه إلى فضيلة الأستاذة الدكتورة بوخاوش مريم بجزيل الشكر ووافر العرفان على قبول إشرافها على هذه المذكرة، وما بذلته من وقت وعلم وإرشاد، وما شملتني به من الحلم والصبر، فكان لها أطيب الأثر في إنجاز هذه المذكرة.

أشكر أعضاء اللجنة المناقشة الأستاذ الدكتور خالد كبير علال، الدكتورة ديب صفية، الدكتورة بوعمامة فاطمة.

وأتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة– وأساتذتي في قسم التاريخ لهذه المدرسة.

كما لا أنسى زملاء الدراسة في هذه المدرسة خاصة الفوج الثاني –دفعة ليسانس تاريخ وجغرافيا (ثانوي) جوان 2014–

وأشكر كل من أفادني في هذا البحث بفائدة أو أسدى لي نصيحة أو قدم لي مشورة، كلكم جميعا شكرا لكم.

المقدمة

إنّ الحديث عن مصادر التاريخ الإسلامي بشكل عام من طرف دارسي التاريخ لم يخرج – في الغالب – عن نطاق ذكرها باعتبارها مصادر تاريخية مهمة للباحثين أو الإحالة إليها في بحوثهم عند التوثيق لمصادر البحث لديهم، بل والحديث عن أهميتها بشكل مجمل يضعها في درجة علمية واحدة كتابة ومنهجا،إلا أنّها تحتاج إلى دراسات أكثر دقة وتفصيلا وتهتم بكل مصدر على حدة بإبراز قيمته العلمية والتاريخية، ومن المصادر التي جذبت انتباهي للبحث فيها، كتاب **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية** لمؤلفه المؤرخ أبي العباس الغبريني (ت704هـ/1304م) فهو من أهم المصادر التاريخية في الحياة العلمية في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي ببجاية وبالمغرب الأوسط وسجّل حافل بتراجم عشرات العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء وغيرهم ممن عرفتهم المدينة من مشاهير علماء الجزائر وتونس والمغرب والأندلس.

لقد **خُصِّصَ هذا الموضوع** للتعريف بأبي العباس الغبريني وبكتابه الدراية وطريقة عرضه لمادته التاريخية في الترجمة للعلماء ومصادرها ومنهج النقد التاريخي، وكذلك إبراز جهوده في الترجمة لعلماء بلده ومدى إلمامه بموضوع كتابه التراجم و التزامه بمنهجه التاريخي في كتابه في الترجمة لمن عاش من العلماء ببجاية في القرن السابع هجري /الثالث عشر ميلادي. فمن حق أبي العباس الغبريني وغيره من المؤرخين، التعريف به وبمنهجه في كتابة التاريخ والترجمة للعلماء ومدى توفيقه في تحقيق ذلك.

ومن **أسباب اختيار هذا الموضوع** أيضا الرغبة في التعامل مع مصادر التاريخ الإسلامي وقلّة الدراسات حولها، خاصة ما يتعلق ببلاد المغرب الإسلامي بشكل عام والمغرب الأوسط بشكل خاص، فالكثير منها بحاجة إلى تحليل واستقراء ما جاء فيها من آراء وأفكار ومناهج وكيفية كتابة التاريخ عندهم للوصول بها إلى درجة من الدقة والوضوح، ولا يتأتى ذلك إلا بالاهتمام بدراسة هذه المصادر، وكذلك للرد على مزيفي تاريخنا الإسلامي من مؤرخي المدرسة الغربية وأتباعها بتشويه تاريخنا انطلاقا من أمهات مصادرنا وتقديمها للقارئ حسب أهوائهم الخاصة، وغاياتهم الذميمة. ومن هنا وقع اختياري على الموضوع التالي: المنهج التاريخي عند أبي العباس الغبريني في كتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية عنوانًا لمذكرتي ، لكونه يمثل أهمية في التعريف بالحياة العلمية ببجاية

وبالمغرب الأوسط بشكل عام من خلال ترجمته لعلمائها في هذه الفترة، ولكون أبي العباس الغبريني جمع في كتابه العديد من العلماء الذين انفرد بالترجمة لهم دون غيره.

تدور **إشكالية البحث** الرئيسية حول القضية التالية: ما هو منهج التدوين التاريخي الذي اتبعه أبي العباس الغبريني في كتابه "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية" من خلال دراسة مفصلة لأهم عناصر الترجمة عند الغبريني مع توضيح الخصائص المُمَيِّزَة لمنهجه التاريخي وأسلوب كتابته التاريخية، مظاهر النقد التاريخي عنده، ونحاول في هذا السياق الإجابة عن جملة من التساؤلات مثل: كيف كان عصر أبي العباس الغبريني وحياته، وكيفية تفسيره للظاهرة التاريخية والمنهج الذي اتبعه في ذلك؟ وهل التزم بالمنهج التاريخي الذي اتبعه؟ وما هي مصادر مادته في التعريف بالتراجم التي أوردها في كتابه؟ وكيف صنّف مادته وعرضها؟ وكيف وثّقها؟ وهل قام بتمحيصها ونقدها؟ وما موقف الغبريني من قضايا عصره؟ وما مظاهر النقد التاريخي عنده؟.وغيرها من التساؤلات المتعلقة بالمنهج التاريخي عنده التي سنحاول الإجابة عنها في طيّات هذا البحث.

كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن جهود مؤرخي المغرب الإسلامي بشكل عام ومؤرخو المغرب الأوسط (الجزائر) بشكل خاص، إذ تعد الدراسات من هذا النوع ذات أهمية في دعم مناهج البحث العلمي التاريخي الإسلامي. وأيضا إبراز دور مؤرخي المغرب الإسلامي في الكتابة التاريخية عموما وطريقة عرضهم للتراجم وكتابة فن التراجم بشكل خاص، وكذلك مدى استخدامهم للنقد التاريخي ومظاهره وأيضا علاقة المؤرخ ببيئته وعصره وتأثّره بهما في كتاباته التاريخية.

إنّ لهذا **الموضوع أهمية** تاريخية وتعليمية، فهو يطلعنا على تاريخ مدينة من أهم مدن المغرب الإسلامي و بلاد المغرب الأوسط (بجاية) في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ، والحياة التي عرفتها بالإشارة إلى مميزاتها وأهم علمائها والعلوم الرائجة فيها من خلال دراسة كيفية عرضه لهذه التراجم.

كما أنّ لهذا الموضوع أهمية حضارية في إبراز الدور الحضاري الذي أدّاه علماء بجاية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي ومدى مساهمتهم في الحياة العلمية وطبيعة العلوم التي اهتموا بها

وأثرها في مختلف جوانب الحياة، ولهذا الموضوع أيضا أهمية علمية في الوقوف على طريقة ومنهج والنقد التاريخي لدى كتابنا القدامى خاصة من أبناء المغرب الأوسط ومصادر صاحب كتاب الدراية الذي هو موضوع بحثنا.

وضعت **خطة** لدراسة هذا الموضوع اشتملت على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق ، وقيد للمصادر والمراجع .

أمّا المقدمة فتضمنت تحديد عنوان البحث وشرحه، والتعريف بالإشكالية الرئيسية للبحث، والتساؤلات الفرعية المكملة لها، **أسباب اختيار هذا الموضوع** والهدف منه وإبراز أهميته، وعرض خطة البحوث بشكل مفصل، والحديث عن المنهج المستخدم في الدراسة وذكر الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذه الدراسة، وعرض لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إتمام هذا البحث.

أمّا الفصل الأول خصصته لعصر أبي العباس الغبريني وحياته، تناولت عصره في أربعة مباحث شملت الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمذهبية، ثم حياته في أربعة مباحث أخرى شملت اسمه ونسبه ولقبه ، ثم ولادته ونشأته وثقافته، وأشهر شيوخه وتلاميذه وأولاده، وفي الأخير وفاته ومؤلفاته و آراء المؤرخين فيه.

وأما الفصل الثاني فعنونته بمنهج الكتابة التاريخية عند أبي العباس الغبريني بالتعريف بكتابه عنوان الدراية وأسلوبه الأدبي في الكتابة التاريخية وأيضا منهجه في عرض المادة التاريخية وطريقة التوثيق في كتابه، وأخيرا خصائص منهجه التاريخي.

وأما الفصل الثالث فوسمته بمنهج النقد التاريخي عند أبي العباس الغبريني، تناولت فيه أولا النقد التاريخي عند أبي العباس الغبريني من خلال التعريف بمنهجه في النقد مع عرض نماذج النقد التاريخي سواء عند نقده لأصحاب التراجم أو للمصادر أو للخبر، ثم قمت ثانيا بعرض مواقفه من قضايا عصره كالسلطة الحاكمة عصرئذ، ككرامات الأولياء، والتصوف وحتى الطب والأطباء في وقته. وفي الأخير نقد الغبريني في مسائل كتفسيره في القرآن الكريم والحديث الشريف والعقيدة وآل البيت وحتّى في قواعد اللغة العربية وصرفها.

أمّا **منهج البحث** فطبيعة الدراسة جعلتنا نتبع المنهج الوصفي عند الحديث عن العصر الذي عاش فيه أبو العباس الغبريني من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية، وكذلك استخدمت هذا المنهج في التعريف بحياته وما تعلّق بنشأته وتكوينه العلمي وشيوخه وتلامذته ومؤلفاته. والمنهج التحليلي التاريخي عند الحديث عن كتابة التراجم في المغرب الإسلامي سواء في عصره أو عند غيره من كتاب التراجم. وأيضا منهج الاستنتاج والاستقراء من أجل الكشف عن أسلوبه في الكتابة وطريقة عرضه للتراجم وأهم عناصرها، وكذلك في استخراج وجمع مظاهر النقد التاريخي في كتابه.

أمّا الصعوبات التي واجهتني خلال بحثي هذا، منها ما تعلّق بترجمة الغبريني، فمعلوم أنَّ الغبريني لم يترك لنا ترجمة وافية عن حياته ولا مؤلفات مطبوعة للغبريني أخرى غير عنوان الدراية فقط التي يمكن من خلالها تتبع تفاصيل حياته، بل هناك تضارب حتى في اسمه ووفاته بين مختلف المصادر التي ترجمت له، وكانت هذه الترجمات لا تهتم في غالبها إلا بذكر كتابه عنوان الدراية، لهذا فالأخبار حول حياة الغبريني في مصادر التراجم تكاد تنعدم. أمّا الصعوبة الأخرى في انعدام الدراسات حول كتاب الغبريني ومنهجه، فهناك دراسة وصفية حول الحياة العلمية في بجاية من خلال كتابه، أما الدراسات المتخصصة حول منهجه التاريخي فهي الأخرى لم تطرق بعد، فهذا ما زاد من صعوبة البحث. ونظرا لتجربتي الأولى في هذا النوع من الدراسات التي تهتم بالمنهج التاريخي، فقد واجهت صعوبات في الكشف عن منهجه وخصائصه وترتيب خطواته وخاصة في الجانب النقدي التاريخي في كتابه.

مصادر البحث

في هذه الدراسة اعتمدت على مصادر ومراجع استفدت منها متنوعة شملت التاريخ والجغرافية التراجم، أذكر في هذه المصادر، ومن هذه المؤلفات هي : كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون (ت 808 هـ / 1405 م) ، ولا سيما الجزء السادس منه في التعريف بعصره خاصة وأيضا كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) وكتاب الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع(ت861هـ/1475م) وبدرجة أقل كتب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون (ت734هـ/1378م)

وتاريخ الدولتين الموحدية الحفصية لمحمد بن إبراهيم الزركشي (ت894هـ/1488م) والمعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1250م)، ، في الجانب السياسي. أما مؤلف مؤرخنا الذي هو موضوع بحثنا، وهو: كتاب (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية) فقد استفدت منه في التعريف بحياته وشيوخه وتلاميذه. وأيضا المصادر التي ترجمت للغبريني كابن القاضي المكناسي، (ت1025هـ/1616م)، في كتابه درة الحجال في أسماء الرجال، وابن فرحون المالكي (ت799هـ /1397م)، في الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، وأيضا النبّاهي أبو الحسن (ت بعد720هـ/بعد1320م)، في المرقبا العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا

أمّا بالنسبة إلى المصادر الجغرافية في عرض الحياة الاقتصادية وللتعريف أيضا ببعض الأماكن والمدن الواردة في المذكرة ، زيادة على ما حوته من معلومات تاريخية وقيّمة حول مدينة بجاية في عصر الدراسة ، ومن أهم هذه المصادر : صورة الأرض ، لابن حوقل (ت 367 هـ / 977 م) وكتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب (المسالك والممالك) و معجم البلدان ، لياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1229 م) .والروض المعطار ، لعبد المنعم الحميري (ت900هـ/1495م) .

أمّا أبرز المراجع التي أعانتني لإنجاز هذا العمل هي: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، لصاحبه روبار برنشفيك، و كتاب السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي لمحمد العروسي، ودولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عِنَان، وأعلام الجزائر لعادل نويهض وكتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي، بالإضافة إلى المعاجم كمعجم المؤلفين لرضا كحالة والأعلام للزركلي، إلى غيرها من المصادر والمراجع التي تتعلق بموضوع البحث وفترته الزمنية.

وفي الختام أشكر الله على توفيقي لإخراج هذا البحث في صورته العلمية التي هو عليها الآن، مع العلم أني بذلت قصارى جهدي لتقديمه في الشكل الذي هو عليه بين أيدي أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، فإن وفقت فبعون الله وتوفيقه، وإن قصرت فمن نفسي وحسبي أني حاولت خوض غمار البحث العلمي بمواصفاته الأكاديمية.

الفصل الأول

أبو العباس الغبريني عصره وحياته:

أولا: عصره

ثانيا: حياته

أولا- عصره

إنَّ البحث في حياة المؤرخ أبي العباس الغبريني وكتابه "عنوان الدراية" يستدعي مِنَّا ابتداءً التعرف على أوضاع المدينة التي عاش فيها مدينة بجاية[1] في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، فقد شهدت المدينة خلال تلك الحقبة تغييرات وأحداثًا هامة، أثَّرت بدون شك في حياة الغبريني وفي كتابته، ولأجل إلقاء الضوء على ذلك العصر وطبيعته، عرضنا له من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية[2]، وعلى النحو الآتي :

1- الحياة السياسية:

يعتبر الجانب السياسي مهم في تحديد ظروف وواقع المدينة التي عاش فيها أبي العباس الغبريني وكتب كتابه من أمن واستقرار أو فوضى وصراعات، وما لانعكاس هذا الجانب السياسي على بقية مجالات الحياة، فما هي القوى السياسية التي عاصرها أبي العباس الغبريني في مدينة بجاية؟ هل كان عصر استقرار أم صراعات؟ وما دور بجاية وأبي العباس الغبريني في ذلك؟

كانت بجاية تحت حكم الدولة الموحدية[3] في مطلع القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي ، وقد تداول على حكم بجاية وُلاةٌ قام بتعيينهم السلاطين الموحدون[1]، وهم:أبو الربيع

---

[1] بجاية: بكسر الباء الموحدة وفتح الجيم والألف ثم ياء مثناة تحت وهاء ألف في الآخر، مدينة بالجزائر تقع على ساحل البحر الشامي(الأبيض المتوسط)، وكانت قاعدة المغرب الأوسط، وتسمى: الناصرية، نسبت الى بانيها الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي، بناها بحدود سنة (457 هـ/1064 م)، أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى ، ص109. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج2، دار صادر، بيروت، 1977م، د ط، ص270. وللاطلاع أيضا على الموقع الجغرافي لمدينة بجاية، أنظر: الملحق 01.

أنظر:العبدري، الرحلة المغربية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة،الجزائر، ط:2007،1م، ص26. للتفصيل حول نشأة مدينة بجاية وتطورها أنظر:علاوة عمارة، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية،سبتمر2008م،العدد 26، ص227.

[2] تركنا الحياة الفكرية والعلمية لأنها مادة صاحب هذا الكتاب.

[3] وهي دولة من البربر قامت على أنقاض دولة المرابطين(454 هـ-543 هـ/1062-1148 م)، أو دولة الملثمين البربرية أيضا، كان المؤسس لدولة الموحدين ومؤصل عقيدتها محمد بن تومرت المهدي(ت 524 هـ/1130 م)، ثم قام بالأمر من بعده خليفته والمقرب اليه، عبدالمؤمن بن علي الكومي (ت558هـ/1163 م)، وهو الذي قضى على دولة المرابطين، واكتسح عاصمتهم مراكش في سنة 543 هـ/1148 م، أنظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان،ج3، د. ط، 1963م، ص ص 245-270.

بن عبد الله بن عبد المؤمن600-604هـ/ 1204-1207م.[2] أبو عمران ابن أبي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور623-627هـ/1226-1230م،أبوعبدالله محمد اللحياني627-633هـ/1230-1236م، كما أنَّ هذا القرن كان بداية انهيار الدولة الموحدية وانقسامها[3]، خاصة بعد هزيمة معركة العُقَاب[4]، وتوالي هجمات ابن غانية[5] وهزيمته بتاجرا[6] سنة 602هـ/1205م على يد أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص[7] بتوجيه من السطان الموحدي

---

[1] كان يتم تعيين ولاة بجاية من قبل الخليفة في مراكش أو من أقربائه أو من بعض شيوخ الموحدين، أنظر: روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1988، ص48. للاطلاع على ولاة بجاية في القرن 7هـ/13م، أنظر: الملحق 02.

[2] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:2، 1990 م،ج4، ص271.

[3] أي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى سنة627 هـ/1229 م، الدولة الزيانية في المغرب الأوسط سنة 636 هـ/1238 م والدولة المرينية في المغرب الأقصى سنة667 هـ/1269 م.

[4] معركة العقاب: بين جيوش الموحدين والنصارى سنة609هـ/1212م سميت بذلك الإسم نسبة الى وقوعها قرب حصن أموي قديم في الأندلس يسمى العُقاب(بضم العين)،أنظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط:1، 2006م، ص235.

[5] تعود أصول هذه التسمية إلى يحيى المسوفي الذي كان مقدما عند يوسف بن تاشفين لمكانته في بني قومه وكان قد زوجه امرأة من أهل بيته تسمى غانية فولدت له محمدا ويحيى الذين نشأ في ظل يوسف بن تاشفين وكفالته، أنظر: لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان،ج4، مكتبة الخانجي،القاهرة،1977 م، ط1، ص344.

[6] تاجرا:هي مكان بالقرب من قابس،انتصر فيها الموحدون على يحيى بن غانية 602هـ/1200م.أنظر:التجاني، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، د. ط، 1981م، ص256. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت، ص17.

[7] أبومحمد عبدالواحد بن أبي حفص(603هـ-618هـ/1207-1221م): كان يومئذ عميد أشياخ الموحدين، وأعلاهم مكانة وأشدهم نفوذا،وكان يمت الى الخليفة بصلة النسب الوثيق، أنظر: ابن الشماع ، الالأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري،الدار العربية للكتاب،1984م، ص52-49.

الناصر [1] فكافأه على ذلك بتوليته على حاضرة إفريقية[2]، حيث امتدت سلطته عليها إلى وفاته سنة 618هـ/1221م،[3] ثم خلفه ابنه عبد الله عليها فيما بعد سنة 623 هـ/1226م[4].

وبهذا استقر حكم إفريقية وبجاية على البيت الحفصي دون غيره في هذه الفترة. فلقد كان هذا التعيين إيذانًا بميلاد دولة جديدة ولكنَّها تحمل تسمية مختلفة ترجع إلى النسب على عكس الدولة التي سبقتها التي تسمّت بالموحدين وهي تسمية مذهبية، فهذه الدولة الجديدة هي الدولة الحفصية.[5] بوصول أبي زكريا الأول[6] لزمام السلطة بتونس[7] عاصمة إفريقية سنة 625 هـ/1228م، هذا الأخير الذي أعلن بشكل رسمي انفصاله وتمرده على السلطة المركزية الموحدية في مراكش[8]، فهذه الدولة الجديدة لم يستقر لها الأمر في بداية عهدها كحال كل دولة في فترة نشوئها، بعد زحف أبي زكريا الأول سنة 629هـ/1232م على

---

[1] الناصر :(595هـ-610هـ/1199م-1213م): أبو عبد الله هذا هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وتلقب بالمنصور من خلفاء الموحدين، أنظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص231.

[2] إفريقية: في هذا العصر يقصد بها تونس حاليا أما عند الجغرافيين المسلمين فهي من برقة شرقا إلى مدينة طنجة غربا، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان، للتفصيل أنظر: البكري، المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي،1992 م، ص671.

[3] محمد عبدالله عنان، المرجع السابق،ج5، ص 277.

[4] أبومحمد عبدالله بن أبي محمد عبدالواحد بن أبي حفص(623هـ-625هـ/1226م-1228م) لم يدم حكمه طويلا بعد منازعة أخيه أبو زكرياء حكم افريقية.أنظر:ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، بيروت، د.ط، 1968م، ص107.

[5] الدولة الحفصية: تولّت حكم المغرب الأدنى وجزء من المغرب الأوسط(تونس حاليا وماوالها من الجزائر إلى بجاية) ويرجع نسب بني حفص إلى الشيخ أبي عمر بن يحي الهنتاني، أحد العشرة من أصحاب المهدي محمد ابن تومرت، وقد كانت لهم مكانة كبيرة في الدولة الموحدية. للتفصيل أنظر: روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص42.

[6] أبو زكرياء الأول: يحي بن أبي محمد بن عبد الواحد الحفصي،(625-647هـ/1228-1250م)، جمعت دولته رؤساء العلماء، وفحول الشعراء،وأهل البيوت من الموحدين، وجباة الأموال، ما لم يجتمع لغيره، للتفصيل أنظر: ابن الشماع،المصدر السابق، ص ص54-60.

[7] تونس: في هذا العصر قاعدة بلاد افريقية وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين، بناها المسلمون سنة80هـ/ 699 م، ابن الشماع،المصدر السابق، ص36.

[8] مراكش: بالفتح ثم التشديد، وضم الكاف، وشين معجمة: أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة 470هـ/1070م، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج5، ص94.

قسنطينة[1] وبجاية تواليا وقبض على الواليين وبعث بهما إلى المهدية[2]، وبأهليهما إلى بلاد الأندلس[3]، وقبض كذلك على عِدَّةٍ من أشياخ الموحدين والعرب الموالين لهم، واستكملت بذلك بذلك سيادة بني حفص على سائر حاضرة إفريقية. وكان والي بجاية عن الموحدين في هذه الفترة أخاه أبا عبد الله اللحيانى.[4] وفي سنة 633 هـ/1236م ، أَسْنَدَ حكم المدينة وإقليمها لابنه يحيى[5] وتواصل حكم يحيى أبوزكرياء(633هـ-646هـ/1236م-1248م)على بجاية وسائر أعمالها من الجزائر[6] وقسنطينة وبونة[7] والزاب[1] إلى أنْ هلك سنة 646 هـ/1248م.[2]

هـ/1248م.[2]

[1] قسنطينة: وهى مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية. ومدينة قسنطينة حصينة في نهاية من المنعة والحصانة لا يعرف بإفريقية أمنع منها، أنظر: كاتب مراكشي (ت ق 6هـ/7م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1986 م، ص165. وأنظر:الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ،عالم الكتب، بيروت،ط: 1، 1409 هـ, ص265.

[2] المهدية: مدينة محدثة بساحل إفريقية، كان يقال لتلك الناحية: جمة، بناها عبيد الله الشيعي الخارج على بني الأغلب، وهو سماها المهدية نسبها إلى نفسه، وكان ابتداء بنيانها في سنة ثلاثمائة، أنظر: عبد المنعم الحميرى، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت، ط: 2، 1980 م، ص561.

[3] الأندلس: يقصد بها جزيرة الأندلس وهي كبيرة، قد أحاطت بها البحار، وهي آخذة من البحر المغربي في الطول عند مدينة أخشنبة إلى منفرج البحر الجنوبي والمحيط، عند جبل هيكل الزهرة ، فيما يجاوره، ومدينة تركونة ومدينة برشلونة، وهناك باب الأندلس، وهي آخذة في عرض الإقليم الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب إلى البحر المحيط في الشمال. وقاعدة الأندلس، مدينة قرطبة، وافتتحت جزيرة الأندلس في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين، افتتحها طارق بن زياد النفزي، للتفصيل، أنظر: إسحاق بن الحسين المنجم، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1408 هـ، ص109.

[4] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج 4، ص380.

[5] ابن قنفذ القسنطيني ،المصدر السابق، ص109.

[6] الجزائر: الجزائر لبني مزغنا على ضفة البحر وهي عامرة آهلة وتجاراتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعاتها نافقة ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر وأهلها قبائل ولهم حرمة مانعة.أنظر: الإدريسي، المصدر السابق ، ج1، ص258.

[7] بونة: ومدينة بونة مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وهى على نحر البحر ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح متوسطة.أنظر: بن حوقل الموصلي، صورة الأرض، ج1، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، د. ط، 1938م، ص75.

ثم تولى حكم بجاية بعده أبا حفص خلفا لأبيه يحيى بداية من سنة 647هـ/1249م،التي توفي فيها والده السلطان أبو زكرياء وخلفه من بعده ابنه محمد.[3] وخلفه أبي هلال سعيد الهنتاني، على بجاية سنة 660 هـ/1262م بدلا من أخيه الأمير أبي حفص، فأقام عليها إلى أن هلك سنة 673 هـ/1274م وعقد من بعده لبجاية لابنه محمد وكان له غناء في ولايته واضطلع بأمره إلى أن هلك المستنصر سنة 675 هـ/1276م.[4]

ومن خلال ما سبق أنَّ تعيين ولاة بجاية كان يحدث بطريقة هادئة دون أي فوضى أو توتر داخل المدينة، إلا أنَّ في عصر الواثق[5] عرفت المدينة حراكا أو مؤامرات وصراعات بين أنصار الوالي المعزول محمد ابن أبي هلال وخلفه إدريس الذي جاء بوساطة من أخيه أبي الحسن القائم بالدولة في عهد الواثق، ولكن إدريس هذا استبد بخلفه وأتباعه وبأموال المدينة والتحكم في مشيختها أمام محمد ابن أبي هلال، فأثار غضبه وخشي على نفسه من بطشه، فقام رفقة أنصاره بقتل الوالي إدريس سنة 677 هـ/1278م بعد أقل من سنتين من توليته. بل وأعلنت بجاية في هذه السنة ولائها لأبي اسحاق[6] بدلا من الواثق، وهذا يعبر عن تتبع سكان بجاية للأوضاع السياسية في مدينتهم وارتباطهم بولاتهم حيث وقفوا الى جانب الوالي المعزول وسوء معاملة إدريس لهم، كما تدل هذه الحادثة على العلاقة الطيِّبة بين محمد ابن أبي هلال وسكان المدينة وأعيانها حيث شاورهم في أمر إدريس وكان لهم دور

---

[1] الزاب: فهو يمتد من تخوم المسيلة غربا حتى بلاد الجريد بتونس شرقا ومن جبال بجاية شمالا حتى تقرت وورقلة جنوبا،أنظر: الحسن الوازن، وصف افريقيا،ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر،ط2، دار الغرب الاسلامي، 1983م، ص138 ومايليها.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ عبد الرحمن ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج6، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، 200، ص ص 383-400 .وأنظر أيضا: ابن قنفذ القسنطيني ،المصدر السابق، ص110.

[3] أبوعبدالله محمد: وتلقب بالمستنصر بالله خلفا لأبيه السلطان أبا زكريا سنة 647 هـ/1200م، أنظر: ابن قنفذ،المصدرالسابق، ص117.

[4] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص134 عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص402.

[5] الواثق: هو أبو زكرياء يحي ابن أبي عبد الله المستنصر، تلقب بالواثق خلف أباه في السلطة سنة 675 هـ/ 1276م، وخلع نفسه من الحكم وسلم الأمر لعمه أبو إسحاق سنة678 هـ/1200م، للتفصيل حول حكمه أنظر: ابن قنفذ،المصدر نفسه ، ص134-137 .

[6] أبواسحاق: (678 هـ-682 هـ/1279م-1283م) أبو اسحاق ابراهيم ابن أبي عبد الله المستنصر، كان فيه غلظة وشجاعة وغيبة عن مجلسه ، للتفصيل أنظر: ابن الشماع ، المصدر السابق، ص75-79. ابن قنفذ،المصدر نفسه، ص136-139

كذلك في عودته الى حكم بجاية مرة ثانية. ثم آل الأمر من بعد ذلك لأبي إسحاق خلفا للواثق سنة 678هـ/1279م، وفي السنة الموالية679هـ/1280م تَقَبَّضَ على محمد بن أبي هلال وقتله خوفا من مساعيه في الدولة على حد تعبير ابن خلدون، وبموته تنتهي مرحلة حكم أسرة أبي هلال على بجاية التي دامت فترة طويلة من الزمن. ثم عُيِّن ابنه أبا فارس خلفا له على بجاية وأعمالها ، وأنفذه إليها أميرا مستقلا. وأنفذ معه في رسم الحجابة محمد ابن صاحب أشغاله أبي بكر بن الحسن بن خلدون، فخرج إليها سنة 679 هـ/1280م وقام بأمرها.[1] ولم يزل على حكم بجاية حتى ظهر ابن أبي عمارة الدعي[2]، الذي احتوى على غالب البلاد. فأحس السلطان أبوإسحاق بالخطر يهدد ملكه، فنهض لمحاربة الدعي، فاستطاع هذا الأخير إلحاق الهزائم به وبابنه زكرياء التي اضطرتهما الى الانسحاب والتوجه إلى بجاية، ووصف ذلك ابن خلدون بقوله " لما وصل السلطان أبوإسحاق الى بجاية سنة ....طريدا عن ملكه غافلا عن كرسي سلطانه"[3] ، وعند وصول السلطان أبو إسحاق إلى بجاية خلع نفسه من الحكم وولى ابنه أبا فارس على السلطنة والذي لقّب نفسه المعتمد بالله ، وخرج من بجاية زاحفا إلى الدعيّ واستخلف عليها أخاه أبا الأمير أبا زكريا، وخرج معه الأمير أبوحفص وأخواه، وتراءى الجمعان ثالث ربيع الأول سنة 682 هـ/1283م في مرماجنّة[4] فاقتتلوا عامة يومهم، ثم اختل مصاف الأمير أبي فارس، وتخاذل أنصاره فقتل في في المعركة، وانتهب معسكره وقتل إخوته صبرا، وتخلصه عمّه الأمير أبوحفص من الواقعة، وبلغ خبر الواقعة بجاية فاضطرب أهلها وماج بعضهم في بعض، وخرج السلطان أبو اسحاق وابنه الأمير أبو زكرياء إلى تلمسان، فقدّم أهل بجاية عليهم محمد بن السيد قائما فيهم بطاعة الدعيّ سنة682 هـ/1283م ، وخرج في اتباع السلطان فأدركه بجبل بني غبرين

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص434-439. ابن قنفذ،المصدرنفسه، ص ص 135-138.

[2] هو أحمد بن مرزوق أبوعمارة681 هـ-683 هـ/1282م-1284م من بيوتات بجاية أصله من المسيلة، نشأ ببجاية وسيما محترفا بصناعة الخياطة ، وكان يحدث نفسه بالملك ثم اغترب عن بلده ولحق بصحراء سجلماسة وانتمى الى اهل البيت وادعى أنه الفاطمي المنتظر وتغلب على طرابلس ونواحيها ونازع السلطان الحفصي أبا اسحاق في ملكه سنة 681 هـ/1282م، ودامت دولته سنة وثلاثة أشهر، أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، صص441-442. ابن قنفذ،المصدر السابق، ص ص 143-145، الشماع،المصدر السابق، ص ص 81-80.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص444.

[4] مرماجنة: كانت مدينة كبيرة قديمة أزلية، فيها آثار كثيرة للأول ولها عيون سائحة، وهي على نظر واسع كثير الزرع والخيرات، أنظر: : كاتب مراكشي، المصدر السابق، ص 162.

من زواوة فتقبض عليه، ونجا الأمير أبوزكريا إلى تلمسان، وبقي السلطان أبو إسحاق ببجاية معتقلا ريثما بلغ الخبر إلى تونس، وأرسل الدعيّ من يقتله سنة 682 هـ/1283م وانقضى أمره، ولما ظهر السلطان أبو حفص الذي نجا من موقعة مرماجنّة وبايعه العرب- بمكانه من قلعة سنان فرحلوا إليه وأتوه ببيعتهم في ربيع سنة 683 هـ/1284م- وأوقع الدعيّ برجال الدولة[1] فمقتوه، وخرج من تونس من يريد قتاله فأرجف به أهل العسكر ورجع منهزما وأحاط به البحث فعثر عليه وكان عبدالله بن يغمور المباشر لقتله وانتهى أمره، ودخلت البلاد في طاعة السلطان أبي حفص سنة683 هـ/1284م واستبد السلطان بملكه وتلقب المستنصر بالله، وبادر الناس إلى الدخول في طاعته، وبعث أهل القاصية ببيعتهم.[2]

وفي أيام هذا السلطان تكالب العدو على الجزر البحرية، ففي سنة685 هـ/1286م ظفر العدو بجزيرة ميورقة،[3] وفي سنة 686 هـ/1287م بعدها غدر النصارى بمرسى الخروز فاقتحموها ثم مرّوا بمرسى تونس وانصرفوا إلى بلادهم. وفيها أو في سنة 689 هـ/1290م بعدها نازل أسطول العدو مدينة المهدية فانهزم العدو وانقلبوا خائبين، ونازع الأمير أبوزكرياء من تلمسان -التي التجأ إليها كما رأينا سابقا- السلطان في ملكه، واستحثه أبوالحسن بن أبي بكر بن سيّد الناس لطلب ملكه، فاعتزم الأمير على شأنه، فدخل بجاية سنة 683 هـ/1284م وعاملها يومئذ أبوالحسن طفيل وقسنطينة سنة684 هـ/1285م وعاملها يومئذ أبونوفيان من مشيخة الموحدين، وبعث إليه أهل الجزائر بطاعتهم، وتلقّب المنتخب لإحياء دين الله وانقسمت به الدولة، وفي سنة 686 هـ/1287م رجع إلى بجاية بعد زحف عثمان بن

---

[1] منهم أبي عمران بن ياسين شيخ دولته، و أبي الحسن بن ياسين وابن وانودين والحسين بن عبدالرحمن يعسوب فامتحنهم واستصفى أموالهم. ثم قتلهم اخر وتوجع لهم الناس. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص446.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 446-447.ابن قنفذ،المصدر السابق، ص142-143.

[3] ميورقة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان، وقاف: جزيرة في شرقي الأندلس وقيل: منورقة، بالنون، فتحها المسلمون سنة 290 إلى أن تغلب عليها العدو البرشلونى وخربها سنة 508، وهي المرة الأولى، ثم غادرها ثم اختلفت عليها ولاة ابن تاشفين، ثم وليها محمد بن علي بن غانية المسوفى، وهو أول ولاة بني غانية، ثم تعاقبوا على ولايتها، للتفصيل أنظر: بن عبد الحق صفي الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،ج3، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1412 هـ، ص1346. وأيضا: عبد المنعم الحميرى، المصدر السابق، ص567.

يغمراسن[1] إليها في مغيبه كما وصف ذلك يحي ابن خلدون بقوله: " نزل بحاية فقطع جناتها وأحرق قرآها وقفل راجعا".[2]

وجعل أبا الحسن بن سيّد الناس على حجابته في بجاية فاستولى أبوالحسين على الدولة وصار الى الحل والعقد وانصرفت إليه الوجوه وتمّكن في يده الزمام، إلى أن هلك سنة 690 هـ/1291م، فأقام الأميرأبو زكريا مكانه كاتبه أبا القاسم بن أبي حيّ فقام بها سائر أيامه وصدرا من أيام ابنه الأمير أبو البقاء خالد[3] الذي تقلد الحكم سنة 700هـ/1301م – في عهده قتل صاحب بحثنا هذا أبوالعباس الغبريني سنة 704هـ/1304م – بينما استمر حكم أبي القاسم بن أبي حيّ على بجاية حتى سنة 705هـ/1305م.[4]

ومنه انقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين:الأولى الناحية الشرقية عاصمتها تونس وعليها السلطان أبوحفص، والثانية الناحية الغربية أو الثغر الغربي كما سمّاه ابن خلدون عاصمته بجاية وعليها الأمير أبوزكرياء. وبعد وفاة السلطان أبي حفص سنة 694 هـ/1295م ، أنفذ بعهده إلى محمد بن الواثق الملقب بأبي عصيدة[5] في حكم الثغر الشرقي. بينما أنفذ أبو زكريا عهده إلى ابنه أبو البقاء خالد في حكم الثغر الغربي.

---

[1] أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان:(681 هـ–703 هـ/1282م–1303م) ثاني سلاطين الدولة الزيانية خلفا لأبيه يغمراسن، دامت فترة حكمه احدى وعشرين سنة، عرف عهده بكثرة الثورات من قبل القبائل البربرية المعارضة لدولته.للتفصيل أنظر: يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، مطبعة بيير فونتانا الشرفية، الجزائر، د. ط، 1903م، ص118–121. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية،ج1، منشورات الحضارة، الجزائر،2009م، ص10.

[2] يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص118–121.وأيضا: مختار حساني، المرجع السابق، ص118. وأيضا: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 447–450.

[3] أبو البقاء خالد: ابن أبي زكرياء ابن أبي اسحاق كانت بيعته الرسمية كسلطان للدوبة الحفصية (707–711هـ/ 1307–1311م)، ابن قنفذ،المصدر السابق، ص ص156–158.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص452–453.

[5] أبوعصيدة:(694هـ–709 هـ/1295م–1309م) هو ابن السلطان الواثق من احدى جواريه، وقد حملت منه فوضعته في بيت الولي أبي محمد المرجاني فسماه محمدا، وعق عليه وأطعم الفقراء يومئذ عصيدة الحنطة، فلقب بأبي عصيدة.ونشأ في قصر الخلفاء من قومه، وأشار الولي على السلطان أبي حفص بتوليته من بعده، فبويع بيعة عامة في هذه السنة وتلقب بالمستنصر بالله أنظر، عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص456–455، ابن الشماع،المصدر السابق، ص83.

ولم تكن بجاية ميدان صراع بين الحفصيين فحسب بل تعاون أبوزكريا مع عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان من بني عبدالواد[1] سنة 695 هـ/1296م لصدّ هجمات يوسف بن يعقوب[2] على بجاية إلى آخر عهده بتحريض من السلطان الحفصي أبي عصيدة.[3]

من خلال ما سبق تبيّن لنا أنَّ مدينة بجاية كانت تمثل طرفا هاما في الأحداث السياسية التي شهدها العهد الموحدي والحفصي في القرن السابع هجري/ الثالث عشرميلادي، حيث كانت بجاية شاهدة على سقوط دولة الموحدين وهجمات معارضيهم كابن غانية وانقسامها إلى دويلات ثلاث، وفي الوقت ذاته عاشت المدينة ميلاد دولة جديدة على أنقاض الدولة الموحدية. كما عرفت المدينة صراع طويل بين الحفصيين[4] أنفسهم وبين الحفصيين من جهة ومعارضيهم من جهة أخرى. كما أنّ بجاية مثلت في هذا القرن العاصمة السياسية الثانية للدولة الحفصية، فقد كانت بمثابة ملجأ سياسي آمن للمتمردين على السلطة المركزية في تونس، و كانت أيضا محلّ أطماع مختلف القوى الفاعلة والمجاورة لها وقتئذ، فقد تعرّضت لهجمات من بني عبدالواد وبني مرين وهجمات معارضي السلطة المحلية، وهذا يدل على مكانة المدينة ووزنها السياسي، فأصبح السيطرة عليها يمثّل بداية ظهور دولة جديدة كما رأينا ذلك سابقا. والآن بعد أنْ تعرفنا على الأوضاع السياسية للمدينة، فكيف كان وضعها الاقتصادي، وهل أثّرت الأحداث السياسية في هذا الجانب على المدينة.

---

[1] بنو عبد الواد: وأصلهم من عابد الوادي وهم من نسل جدهم شجيح بن واسين بن يطيتن بن مسري بن زاكيا بن رسيج بن مادغيس الأبتر، من أهل الوبر واستوطنوا االصحراء ينتجعون مراعيها من سلجماسة الى أرض الزاب من إفريقية، للتفصيل أنظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص95-96.

[2] يوسف بن يعقوب: (685 /707هـ-1286-1307م) السلْطَان المريني الملقب النَاصر لدين الله يوسف بن يَعْقوب بن عبد الْحق، وبموت السلْطَان يوسف انْقَضتْ مدَة الْحصار عَن آل يغمراسن وقومهم من بني عبد الواد وَسَائر أهل تلمسان وَكَانَت الْمدَة في ذَلك مائَة شهر، للتفصيل أنظر: السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د. ت، ص85.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص457-458.

[4] للاطلاع على سلاطين الدولة الموحدية والحفصية في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، أنظر: الملحق 03.

2-الحياة الاقتصادية:

إنّ الدور الهام الذي لعبته بجاية في الحياة السياسية في القرن السابع هجري/ الثالث عشر ، فهو يؤكد بلا شك على أهمية المدينة في الجانب الإقتصادي، وهذا ما يجعلنا نتسائل عن طبيعة الحياة الاقتصادية المدينة وأهم معالمها؟ فكيف كان واقع الصناعة والزراعة والتجارة في مدينة بجاية؟ هل تأثرت الحياة الإقتصادية بماعرفته الحياة السياسية من صراعات أو أمن واستقرار؟

تعتبر بجاية الوريث التاريخي لقلعة بني حمّاد عاصمة الدولة الحمادية، حيث تميّزت القلعة بالازدهار الاقتصادي واعتبرت عصرئذ مرفأً للأمن والرخاء، لكل الباحثين عن هذين العنصرين في المغرب والأندلس،[1] بل حتّى بجاية نفسها حظيت بمكانة تجارية تصدرت فيها مدن وموانئ الدولة الحمادية، إنّ الحياة الاقتصادية في مدينة بجاية لا تكاد تختلف عن نظيرتها تونس عاصمة الدولة الحفصية، بل يمكن القول إنّ بجاية حافظت على نفس المكانة في الدولة الحفصية. حيث تميّزت بالرقي الاقتصادي في شتى المجالات.

وما ورد حول بجاية عند كُتُبِ الرحلات والجغرافية، يؤكد مكانة المدينة الاقتصادية في العهد الحفصي، وما ذكره شهاب الدين العمري (ت749هـ/1348م) صاحب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار واصفا بجاية "وهي ثانية تونس في الرتبة والحال وجميع المعاملات والموجودات والأحوال".[2] وكذلك من خلال ما ورد عند ياقوت الحموي في معجمه متحدثا عن بجاية أيضا "وهي مفتقرة الى جميع البلاد لا يخصها من المنافع شيء"[3] ومن خلال النصوص التي وردت في كتب الجغرافية والبلدان، يمكن استخلاص طبيعة الحياة الاقتصادية بالمدينة.

---

[1] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الإسلامي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط: 2،1991 م، ص219-221.

[2] شهاب الدين العمري ،المصدر السابق، ج4، ص147.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص ص339.

1-الزراعة:

لقد تنوعت المحاصيل الزراعية في بجاية وحققت الاكتفاء الذاتي في الكثير منها، بل كانت موردًا هامًا لمختلف الخضروات والفواكه لكثير من المدن القريبة منها والبعيدة، ومن خلال ما أشار مؤلف نزهة المشتاق: "ولها بَوَادٍ ومزارع والحِنْطة والشعير موجودان بها كثير، والتِّين وسائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد".[1]

ووصف زراعتها كذلك صاحب الاستبصار "ومدينة بجاية كثيرة الأثمار والفواكه، وجميع الخيرات".[2] كما يتحدث صاحب كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب الذي عاصر نهاية القرن الثامن هجري عن فواكه وادي بجاية التي وصلت إلى مدن الأندلس بقوله "وكان بها أنواع الفاكهة العجيبة التي تأتيها من وادي بجاية ما يعجز عنه الواصف حسناً وطيباً وكثرة، وتباع بأرخص ثمن، وهذا الوادي طوله أربعون ميلاً في مثلها، كلها بساتين مثمرة وجنات نضرة وأنهار مطردة وطيور مغردة".[3]

لا شك أنّ توافق كتب الرحالة والجغرافيين على تنوع ووفرة المحاصيل الزراعية والخضروات ببجاية في تلك الفترة، فهذا يدل على حيوية ونشاط الاقتصاد بها. وتعكس طبيعة النشاط الزراعي الذي كان مزدهرا بها، كما أن بجاية لم تكن مزدهرة في المجال الزراعي فحسب بل في المجالات الاقتصادية الأخرى كالصناعة.

2-الصناعة:

إنّ تنوع المحاصيل الزراعية هو مقوم هام لكل صناعة، هذا ما جعل لمدينة بجاية تتوفر على صناعات عديدة وقتئذ، فنظرا لِمَا تزخر به من ثروات حيوانية وموارد زراعية ومعادن مهمة للنشاط الصناعي، فضلا عن الموقع الجغرافي والطبيعي المُمَيِّز لها، حيث تطل على الشريط الساحلي للمغرب الأوسط بل وتتوسط المغرب الأوسط في حدّ ذاته.

---

[1] الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص260.

[2] مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ص30.

[3] سراج الدين بن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة، ط:1، 2008 م، ص70.

كان بالمدينة صناعات عديدة ولعل أبرزها صناعة السفن والأساطيل والمراكب والسفن والحرابي، فهي كانت تمتلك المواد الخام لصناعة السفن كالخشب لتوفرها على غابات وأشجار أيضا عند البكري بقوله "ولها داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن"،[1] كما وُجد بها أيضا الحديد الطيّب على حد وصف الإدريسي[2]، فالخشب والحديد ضروريان لصناعة السفن وكانا موجودان بالمدينة، بل ورد ذلك والإدريسي مُتحدثا عن الصناعة في بجاية "وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة"[3] فهذه عبارة تدل بوضوح على تنوع ورواج الصناعات ببجاية في عصره، بل وحتّى انفراداها وتخصصها في بعض الصِّناعات عن غيرها من مدن المغرب الإسلامي. ولا شك أنَّ ثمة صناعات أخرى متناثرة كانت تقوم في بجاية من نوع تلك الصناعات اليدوية الأخرى التي تسدُ حاجات النَّاس الأساسية وقتئذ[4] ، بل وما زالت متداولة هذه الصناعات الى يومنا هذا"، فهذه الصناعات من المؤكد أنَّ وراءها صُنَّاع كانت تزخر بهم المدينة في تلك الفترة، كما جاء عند صاحب نزهة المشتاق، كقوله: "بل وبها من الصناعات والصُناع ما ليس بكثير من البلاد.[5]

وبما أنَّ بجاية كان تملك زراعة وصناعة مزدهرتين كمًا ونوعًا، فهي من المؤكد يوجد بها نشاط اقتصادي آخر لا يقل أهمية عنهما وهو التجارة.

3-التجارة:

إنّ وفرة الصناعة والزراعة ببجاية بالإضافة إلى موقعها الجغرافي جعل من المدينة ذات مكانة تجارية هامة في المنطقة، فقد وصف الإدريسي سكان بجاية وأهلها بأنهم يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تنحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة،[6] ومنه فمنتوجات بجاية الزراعية بالدرجة الأولى ربطتها بعلاقات تجارية

---

[1] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، ص30.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ص260

[3] الإدريسي،المصدر نفسه ، ص260.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص226.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، ص260.

[6] الإدريسي، المصدر نفسه، ص260.

مع مختلف الاتجاهات مع المشرق والمغرب الأقصى وأيضا مع الأندلس كما أورد صاحب الذخيرة أنَّ فواكه بجاية وصلت إلى الأندلس، فالمعاملات التجارية لم تقتصر على الجانب البحري فقط ، بل أيضا شملت الجانب البرّي، وأسواقها كانت تعتبر أسواقا جهوية ومركزية للمنطقة، وبها موارد مالية وسلع مختلفة، ما لم يتوفر لمدينة أخرى في المغرب الإسلامي.

فاتفق الجغرافيون العرب على أنَّ بجاية كانت تملك علاقات تجارية مع جهات خارجية مختلفة، فالإدريسي تحدث عن تجارة بجاية، بقوله: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة"،[1] وكذلك ياقوت الحموي وصف السفن والمراكب التي تصل إليها "إنما هي دارملك تركب منها السفن وتسافر الى جميع الجهات"، [2] وكتاب الاستبصار أيضا أشار الى هذه المكانة التجارية التي حظيت بها بجاية، بقوله:"وهي مرسى عظيمة، تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية من طرف بلاد مصر، من بلاد اليمن، والهند، والصين وغيرها، ومدينة بجاية كثيرة الأثمار والفواكه، وجميع الخيرات".[3] كما أنّ الدراسات الحديثة أثبتت أنَّ بجاية كانت من الأسواق الرئيسية للبضائع الأوروبية.[4]

وأيضا وجدت بها تجارة الرقيق، فتحدّث الغبريني عن نُدرة الزنوج بالمدينة وخاصة النِّساء مع كثرة الرقيق البيض، ومن خلال النَّص الذي أورده في كتابه، كقوله:" ذلك أنَّ بجاية كانت بلدة غزاة، وكان غُزَاة قِطَعِهَا يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية وغيرها ويسوقون السَّبْي الكثير منها، وينزل الناس لشرائه بحومة المذبح من جهة ربضها وهناك يُخْمَسُ ويقعُ الفصل فيه، ولم يزلْ الحال على ذلك، وبلغ الحال من كثرة سَبْيِ الآدميين أنْ يُبَاع بيضاوان من الرُّوم بسوداء من الوخش"،[5] فهذا يبرزُ مدى حاجة المجتمع البجاوي

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص260.

[2] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص339.

[3] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، ص30.

[4] علاوة عمارة، **التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية،سبتمر2008،العدد: 26، ص242.

[5] الغبريني،المصدر السابق، ص45.

للسبي من النساء بحكم عملهن كخادمات في المجتمع البجاوي، عكس الرجال كان يتم استخدامهم في الحرب فقط ، كما أكد ذلك قول الغبريني في موضع آخر "...أنَّ بعض **السوداوات** من غسالات الثياب.. ".[1]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنّ بجاية في عهد الغبريني كانت تمثّل في ذلك العهد العاصمة الاقتصادية والتجارية للمغرب الأوسط ، وهذا ما يقودنا للتساؤل حول طبيعة المجتمع البجاوي الذي عاش في هذه الظروف الاقتصادية الملائمة، حيث عرفت بجاية حياة اقتصادية مزدهرة، نظرا لموقعها الجغرافي ومواردها المختلفة، ولكن كيف كان الوضع الاجتماعي للمدينة في القرن الذي عاش فيه الغبريني.

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص178.

3-الحياة الاجتماعية:

بعد أنْ تعرفنا على مختلف جوانب الحياة الإقتصادية للمدينة، تطلبَ مِنَّا أنْ نتعرف على فئات المجتمع الذي عاش في ظِّلِ هذا الواقع الإقتصادي المزدهر. يُمكن التعرف على فئات المجتمع في بجاية، فمن خلال طرح التساؤلات التالية: فما هي العناصر البشرية المُكونة للمجتمع البجاوي بشكل عام التي عاصرها الغبريني؟ وماهو العنصر الغالب على ساكنة المدينة؟ وما طبيعة العلاقة بينها؟

قبل الحديث عن ساكني المدينة، فإنّه يصعب[1] تحديد كل فئات المدينة، بحكم موقع بجاية الجغرافي الهام والمكانة التي تبوءتها في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي. وبشكل عام فالعناصر الموجودة في المدينة هم البربر والعرب والأندلسيين وأهل الذِّمة من يهود ونصارى. ويمكن عرضها على النحو التالي:

1-البربر:

كان أكثر سكان بجاية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي من أصول بربرية،[2] ولكن أغلبهم كان يسكن بعيدا عن المدن بما فيها مدينة بجاية ويتضح ذلك من خلال ما أورده ابن خلدون عنهم بقوله: " أما بلاد بجاية وقسنطينة فهي دار زواوة وكتامة وعجيسة وهوارة، وهي اليوم ديار للعرب إلا ممتنع الجبال وفيها بقاياهم".[3]

وتحدث إبن خلدون عن قبيلة زواوة في عهده، بقوله:"أما زواوة من قبائل كتامة[4] ومن قبائل المشهور لهذا العهد بنو بحرو وبنو ما بكلات وبنو مترون وبنو ماني وبنو بوعردان وبنو تورغ وبنو يوسف وبنو عيسى وبنو بوشعيب وبنوصدقة وبنوغبرين وبنوكشطولة،

---

[1] لأنَّ هناك عدد كبير من الأجانب العابرين أو الضيوف القادمين في أوقات معلومة كالتجار والفلاحين والعلماء وغيرهم.أنظر: روبير بروشنفيك، المرجع السابق، ص416

[2] هناك من اعتبر أن الأندلسيين كان يشكلون كذالك الغالبية مع البربر من سكان المدينة في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، أنظر: روبير بروشنفيك، المرجع نفسه، ص 417.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص134.

[4]عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه،ج6، ص128.

ومواطن زواوة بنواحي بجاية مابين مواطن كتامة وصنهاجة أوطنوا عنها جبالا شاهقة متوعرة تنذعر منها الأبصار ويضل في غمرها السالك مثل بني غبرين بجبل زيري".[1]

ووصف ابن خلدون بشكل عام أخلاق البربر وفضائلهم بقوله: " وأما تخلقهم بالفضائل الانسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جُبلوا عليه من الخُلُق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومراعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل، ورعي الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكارم والثبات في الشدائد وحسن الملكة والاعضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكل وكسب المعدوم. وقِرَى الضيف والإعانة على النوائب وعلو الهمة وإباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه".[2]

بل حتى سكان بجاية في عصر الغبريني عاشوا في هدوء تام رغم التنوع العرقي والديني، وما الفوضى والاضطرابات التي عرفتها المدينة ما كانت أسبابها إلا سياسية محضة، وتحدث في أية مدينة أخرى. وكذلك من خلال احتضانهم للأندلسيين ودخولهم في مختلف جوانب الحياة للمدينة بما فيها السياسية،[3] واحترام البربر للعلماء لا يحتاج الى دليل، فكتاب الدراية مليء بمظاهر الاحترام والهيبة التي حظي بها العلماء،وبطبيعة الحال فهذه الخصال تنطبق على غالبية البربر في مجملهم، بل وأصبحت جِبِلَّة لهم مع تبدل الأحوال والدول والأزمان.[4]

وكذلك من خلال ما أورده الغبريني في كتابه لعلماء بجاية الذين ينحدرون من أصل بربري، فلقد حافظواعلى أصولهم وانتمائهم البربري كالقلعي والزواوي والغبريني وغيرها[5] ونبغوا في العديد من العلوم العربية والإسلامية، وهذا يدل على أنَّ المدينة أصبحت مدينة عربية

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه،ج6، ص169.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص136.

[3] حيث هناك من حكم من الأندلسيين بجاية كالحسن ابن سيد الناس كما رأينا سابقا، للتفصيل أنظر: بوخاوش مريم، آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط(6-10هـ/12-16م)، رسالة دكتوراة في التايخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة–، الجزائر، 2014-2015.

[4] فحتى الآن الى أيامنا هذه مازال الرجل الأمازيغي فيه فضائل وأخلاق أجداده من عزة نفس وكرم وافتخار بالذات وغيرها من الخصال الحميدة، عايشتها أنا بنفسي وغيري في بعض من ربطتني بهم دراسة أو عمل.

[5] للتفصيل حول هذا الموضوع أنظر الفصل الثالث من هذه الرسالة.

إسلامية بأصول بربرية. إذا كان هذا حال البربر مع العلوم العربية والإسلامية في هذا القرن، هذا ما يقودنا إلى التساؤل عن حال العرب في المدينة لهذا العهد، وعلاقتهم بالبربر والسلطة الحاكمة وقتئذ.

2-العرب:

وجود العرب بمدينة بجاية بشكل خاص والمغرب الأوسط بشكل عام يعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، حيث بدأ العنصر العربي يأخذ مكانه بطريقة أكثر وضوحا ورسوخا، ممثلا في قبائل بني هلال[1] التي كان لها النصيب الأكبر في المنطقة. وإذا كان من أهم النتائج التي أسفرت عنها الحملة الهلالية على المغرب الأوسط كتغيير اللسان البربري، حيث أَثْرَتْ لغة التخاطب العربية لقبائل بني هلال في اللسان البربري الذي كان من قبل طاغيا على اللسان العربي في الأرياف والمدن. [2]

وتأكد وجود العرب في المدينة من خلال ما نقله ابن خلدون عن سكان مدينة بجاية في عهده، قوله:" أما بلاد بجاية ....، وهي اليوم **ديار للعرب** إلا ممتنع الجبال وفيها بقاياهم".[3] وهناك اشارات أوردها ابن خلدون أيضا تؤكد بوضوح على أنَّ العرب في القرنين السابع والثامن هجري/الثالث عشر والرابع عشر ميلادي توغلوا في المجتمع البربري وأصبحت العربية هي السائدة عصرئذ وفي منطقة بجاية بالذات بحكم أنها مدينة مثلت وجهة للعلماء من مختلف الجهات.[4] فلم يقتصر دورهم على تعريب المنطقة، بل كان لهم دور مهم[5] في مختلف الدول التي ظهرت في المغرب الإسلامي بما فيها الدولة الحفصية التي عاش الغبريني تحت سلطتها.

---

[1] بنو هلال: هم أخلاط من قبائل عربية كقبيلة سليم، ولكن أعرقها وأغناها قبيلة بني هلال, ودخلت هذه القبائل بلاد المغرب فيمنتصف القرن الخامس هجري، وكانت مقيمة على حدود مصر الشرقية وقامت بهجرة نحو المغرب، أرسلها المستنصر بالله الفاطمي (427-487هـ/1035-1094م) لضرب استقرار دولة المعز ابن باديس بعد انفصاله عن الدولة الفاطمية بمصر، للتفصيل أنظر: مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، الجزائر، 1982م، ص60.

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص236.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص134.

[4] للتفصيل أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،

[5] للتفصيل حول هذا الموضوع، أنظر: مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص ص 119-151.

3- الأندلسيون[1]:

وصلت إلى المغرب الأوسط أعداد كبيرة من الأندلسيين[2] عبر العصور،انتقل منهم أيام صولة الإسلام بالأندلس، قبل سقوط غرناطة، عدد كبير من العلماء، وفي عهد بني حفص في القرن السابع هجري /الثالث عشر ميلادي توافدوا على المنطقة بعدما أجلتهم سياسة الاسترداد الاسبانية، فرادى مع عائلاتهم حتى كونوا بها جالية على غاية الأهمية.

وقد كان لهذه الجالية أثر على الجانب السياسي بتقلدها للعديد من الوظائف السياسية ، وأخص بالذكر مدينة بجاية بحكم موقعها الجغرافي ومكانتها الحضارية التي كانت قبلة للمهاجرين الأندلسيين من شرق الأندلس وغربها ، فالأمير الحفصي أبو زكريا قد عمل على توظيف هؤلاء الأندلسيين ، وإدخالهم في المعترك السياسي بالمنطقة.[3]

ومن الفقهاء الذين نبغوا في الأصول وعلم الكلام، محمد بن إبراهيم المهرى من أهل بجاية، وأصله من اشبيلية،[4] وكتاب الغبريني نفسه شاهد على تراجم العلماء الأندلسيين الذين استوطنوا بجاية في عهده. ومنهم أبو بكر محمد الزهري، المعروف بابن محرز، (ت655هـ/1258 م)، ، ثم هاجر إلى مصر، وبرع في الفقه والأدب والشعر ثم قدم بجاية حيث استقر بها، وغيرهما كثير،[5] ومنهم أبو عبد الله محمد بن الجيّان المرسى (ت650هـ/1252 م)، واستقر بمدينة بجاية، وكان عالماً بالحديث والرواية، بارعاً في النثر والنظم.[6]

أوردنا هذه الأمثلة على سبيل الاستشهاد فقط ولو أنَّ الموضوع يحتاج الى أكثر من ذلك بكثير. ولاشك أنّ دورهم كان كبيرا جدا في مختلف مجالات الحياة بالمغرب الإسلامي

---

[1] الأندلسيون: يقصد بهم المسلمون الذين عاشوا في جزيرة الأندلس، واشتهروا بالهجرة منها، خاصة بعد سقوط غرناطة 1492/م.

[2] ووصلت إلى المغرب الأوسط(الجزائر) أعداد كبيرة من الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، .للتفصيل أنظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص400.

[3] للتفصيل حول هذا الموضوع أنظر : بوخاوش مريم، آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط(6-10هـ/12-16م)، رسالة دكتوراة في التايخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة-، الجزائر، 2014-2015.

[4] محمد عبدالله عنان، المرجع نفسه،ج4، ص659.

[5] علي بن المنتصر، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 2005 م، ص400.

[6] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج5، ص455.

عامة، وبجاية بالذات لأنها كانت الوجهة المفضلة لكثير من الأندلسيين وخاصة أصحاب كفاءة علمية أو طموح سياسي أو حرف أوصناعة أو تجارة. ولم تكن بجاية محصورة على الأندلسيين فقط، بل عاش فيها أهل الذمة من يهود ونصارى، فكيف عاش هؤلاء في مدينة بجاية بمختلف طوائفها في ظل السلطة الموحدية والحفصية؟

4- أهل الذمة[1]:

إنَّ تواجد اليهود في المغرب الاسلامي يعود الى عهد قديم ولوبعدد ضئيل جدا[2]، فقد كانت بجاية بدورها تضم آنذاك مجموعة لا بأس بها من اليهود[3] إلا أن تواجدهم وتأثيرهم تراجع بشكل كبير في ظل حكم الدولة الموحدية بسبب سياسة هذه الأخيرة اتجاه أهل الذمة وخاصة اليهود في المغرب الإسلامي بشكل عام، ما يؤكده هذا النص "عندما استولى عبد المؤمن على مراكش، قتل المقاتلة، وكفَّ عن الرعية، وأحضر اليهود والنصارى وقال: إن المهدي أمرني أن لا أُقرَّ الناس إلا على ملة الإسلام، وأنا مُخيركم بين ثلاث، إما أن تُسلموا، وإما أن تلحقوا بدار الحرب، وإما القتل. فأسلمت طائفة ولحقت أخرى بدار الحرب، وخرَّب كنائسهم، وعملها مساجد، وألغى الجزية، فعل ذلك في جميع مدائنه، وانفق بيوت الأموال، ولم يدع مشركاً في بلاده لا يهودياً ولا نصرانياً، فجميع رعيته مسلمون"[4].

من خلال النص السابق نستنتج سبب عزوف المصادر التاريخية العربية الحديث عن اليهود لهذه الفترة بالذات، لأنه تم إدماجهم عنوة في العهد الموحدي. وتم طمس كل ما له علاقة بهذه الطائفة وما يميّزها عن غيرها في جميع مدن المغرب الإسلامي بما فيها بجاية.

---

[1] أهل الذمة: أي اليهود والنصارى وسائر من تؤخذ منه الجزية غير المسلمين،أنظر: بن حجر أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري،ج12، تح: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت ، 1379هـ، ص166.

[2] للتفصيل حول هذا الموضوع أنظر: فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الاسلامي ،خلال القرنين السابع والتاسع هجري الموافق13-15 ميلادي، كنوز الحكمة،2011، ص ص13-15.

[3] محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ص 417.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، ط: 1، 1997م ، ص258. أنظر: عَلي محمد الصَلاَبي، دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، د.ط، د، ت، عمان، ص.119.

ولم يكتف الموحدون باجبار اليهود بالتخلي عن معتقدهم فحسب بل حتى بلباسٍ وَزَيٍ خاص يُميِّزهم عن بقية السكان شَكًا في اسلامهم، كما أنهم حافظوا على جماعتهم في السِّر بعيدا عن عُيُون السلاطين الموحدين وكانوا يشكلون أقلية تدافع عن حقوقها عند الحاجة،كما تم منعهم من التعامل مع المسلمين في جميع المعاملات من عقود أنكحة وغيرها. وذلك من خلال ما أورده صاحب المعجب عبدالواحد المراكشي(ت 647هـ/1249م) بقوله "وفي آخر أيام أبي يوسف يعقوب(580 - 595 هـ/1184-1194م) أمر أن يميّز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم؛ وذلك ثياب كُحلية وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلًا من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم؛ فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب؛ ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدرًا من أيام ابنه أبي عبد الله، إلى أن غيره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة، واستشفعوا بكل من يظنون أن شفاعته تنفعهم. فأمرهم أبو عبد الله بلبسان ثياب صفر وعمائم صفر؛ فهم على هذا الزي إلى وقتنا هذا-وهو سنة621هـ/1224م- وإنما حمل أبا يوسف على ما صنعه من إفرادهم بهذا الزي وتمييزه إياهم به، شكه في إسلامهم؛ وكان يقول: لو صح عندي إسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم، ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أموالهم فيئًا للمسلمين؛ ولكني متردد في أمرهم.ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام أمر المصامدة، ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة؛ إنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ويصلون في المساجد ويُقرئون أولادهم القرآن؛ جارين على ملتنا وسنتنا، والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم.[1] واستمرت هذه السياسة اتجاه أهل الذمة حتى مع السلاطين الأوائل للدولة الحفصية منذ بداية حكم السلطان المستنصر سنة 648هـ/1250م، حيث فرض لباسا مميزا على اليهود.[2] كما عبر عن ذلك ابن قنفذ "جعلت الشّكلة لليهود وبولغ في ذلّتهم".[3]

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق،ج1 ، ص223-224.

[2] فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص63.

[3] ابن قنفذ القسنطيني،المصدر السابق، ص117.

رغم ما قام به الموحدون والحفصيون اتجاه أهل الذمة بحجة حماية الاسلام والمسلمين إلا أنَّ ذلك يتنافى مع مبادئ الإسلام[1] ولكن الشيء الثابت أنَّ أهل الذمة كانوا موجودين في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي في المغرب الإسلامي، ولكن قلّ نشاطهم وتراجع وقتئذ.

أما النصارى فقد كانت بجاية تضم عددا من النصارى الذين كان معظمهم من الرقيق أو التجار[2]. وبحكم مكانة المدينة وموقعها فقد تواجد فيها الرقيق سواء كانوا من الروم أو الزنوج وغيرها من الطوائف التي أطلق عليها هذا المصطلح، واستقروا فيها كعبيد أو أجراء[3]، خاصة عن طريق السَّبْي وكثرته من الجزر الرومانية حتى بِيعَ بيضاوان من الروم بسوداء،[4]

أما طبقات المجتمع البجاوي، فقد كانت بها طبقة التجار، فعلى الرغم من أنَّ التجارة نشاط اقتصادي محض إلا أنّ رواج التجارة وكثرة التجار في بجاية بشكل كبير في المدينة جعل منهم طبقة، فثمة أسواق عديدة داخلية أوردها الغبريني في كتابه دلت على حجم المدينة، كقوله: "باب الدباغين"[5] ومنه:"سوق باب البحر"،[6] وأيضا "سوق الصوافين من بجاية" . فالحياة الاقتصادية في المدينة تدل بوضوح على وجود شريحة مهمة من المجتمع البجاوي احترفت مهنة التجارة.[7]

كما أنّ الفقهاء ورجال التصوف فكان يشكلون بدورهم طبقة هامة في مجتمع المدينة، فكانت لديهم مكانة اجتماعية هامة لدى حكام وسكان المدينة[8]، بحكم مكانتهم العلمية من

---

[1] فاطمة بوعمامة،المرجع السابق، ص38.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج ، ص417.

[3] عبد الحليم عويس،المرجع السابق، ص238.

[4] فسر أحد الحاضرين ذلك بِقِلَّةِ النساء في تلك الفترة رَدًا عن تساؤل للأستاذ المشارك في ندوة حول مصادر المغرب الأوسط بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة في شهر فيفري 2016م عند عرضه كتاب الدراية للغبريني ، ولكن عندما قرأت كتاب الغبريني حسب ما تبين لي أن سبب ذلك قد يكون هو لعملهن في البيوت كخادمات.

[5] الغبريني،المصدر السابق، ص50-51

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص134.

[7] الغبريني،المصدر نفسه ،ص195.

[8] للتفصيل حول دور رجال التصوف في بجاية في عصر الغبريني، أنظر: خالد بلعربي، **حركة التصوف في بجاية خلال القرنين 6 و7 هـ- 12 و13م**، مجلة حوليات التراث، العدد:14، السنة: 2014.

فتاوي وأقضية واهتمام بشؤون الناس في دينهم ودنياهم، وكذلك الأولياء وخاصة رجال التصوف عجت بهم المدينة في هذه الفترة خاصة لدى العامة، وكتاب الغبريني في العديد من الشواهد التى تدل على ذلك.

غير أنَّ المجتمع البجاوي بمختلف عناصره الأصلية والدخيلة من بربر الذين شكلوا الفئة الغالبة على سكان المدينة ولكنهم كانوا يقطنون خارج المدينة ثم العرب وفئة قليلة من الأندلسيين بالإضافة إلى أهل الذمة من يهود ونصارى، وبمُضُيِ الزمن وتعاقب الحوادث والمؤثرات الاجتماعية والإقليمية تَحَوَلَ مجتمع مدينة بجاية إلى أمَّة عربيَّة إسلاميَّة بطابع مستقل ومميزاتٍ خاصة، صقلتها حضارة رفيعة زاهرة، فقد تعددت الأجناس في بجاية وبلاد المغرب الإسلامي، وبتعايشها مع بعض أفرزت ثراء في الحياة الاجتماعية بالمغرب، ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن وجود صراعات أو تنافر بين هذه الطوائف على الرغم من اختلاف وتعدد أصولها ومعتقداتها. ولكن السؤال المطروح الآن ما طبيعة الحياة المذهبية بالمدينة؟ فهل انعكس هذا التنوع الاجتماعي على الحياة المذهبية بمدينة بجاية؟ ما هي الحياة العقدية والمذهبية التي نشأ وتكون فيها الغبريني.

4-الحياة المذهبية:

إنَّ التعرف على الحياة المذهبية السائدة في مدينة بجاية مدينة الغبريني في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، لها دور مهم في فهم توجه السلطة الحاكمة للمدينة وتأثيرها على الحياة المذهبية، وكذلك لفهم الحياة الفقهية والسلوكية لمجتمع مدينة بجاية، ومنه فما هي المعالم المذهبية من عقيدة وفقه في مدينة بجاية في هذه الفترة؟ وما هو دور السلطة والفقهاء في رسم تلك المعالم وتوجيها؟

فقد مثّل هذا القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي في نصفه الأول ضعف الدولة الموحدية وانهيارها التي كانت تتبنى في الأصول مذهب أبي الحسن الأشعري (ت524هـ/1134م) ففرضته على المغرب الإسلامي بما فيها بجاية –أول سلطة أدخلت الأشعرية ودعمتها في المغرب الإسلامي لأنّ قبل ظهور الموحدين كان المذهب الأشعري منتشرا بشكل فردي متواضع بل وضعيف[1]– التي مرّ عليها محمد بن تومرت[2] لبلاد المغرب المغرب من خلال ما أورده صاحب المعجب "ولم يزالوا مكرمين له إلى أن نزل من بلاد المغرب بجاية, فأظهر بها تدريس العلم والوعظ، واجتمع عليه الناس، ومالت إليه القلوب، فأمره صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عاديته، فخرج منها متوجهًا إلى المغرب"[3]

وعن دخول الأشعرية للمغرب ودعم السلطة الموحدية لها ومحاربة كل من يخالف ذلك، ما جاء عند تقي الدين المقريزي(ت845هـ/1448م) في كتابه الخطط بقوله " اتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزاليّ مذهب الأشعريّ، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم

---

[1] للتفصيل حول دخول الأشاعرة الى المغرب الاسلامي، أنظر: مصطفى مغزاوي، البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الاسلامي ومغربه، كنوز الحكمة،2011م، ص23.

[2] محمد بن تومرت(ت524هـ/1134م): وتومرت بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح الميم وسكون الراء بعدها تاء مثناة من فوقها أيضا، وهو اسم بربري.هو أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهرغي،...وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب، ونشأ هناك ثم رحل إلى المشرق في شبيبته طالبا للعلم، فانتهى إلى العراق، واجتمع بأبي حامد الغزالي.. و الطرطوشي وغيرهم، وحج وأقام بمكة...وحصل طرفا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط: 1، 1994م، ص ص45-55.

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ج27، ص77.أنظر أيضا: بن خلدون،المصدر السابق، ج6، ص302. أنظر أيضا: ابن القلانسي، تاريخ دمشق ، ج1، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق، ط :1، 1983م، ص455.

ويعلمهم، وضع لهم عقيدة تلقَّفَهَا عنه عامّتهم، ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن عليّ القيسيّ، وتلقب بأمير المؤمنين، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعد مدّة سنين، وتسموا بالموحدين، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم، المهديّ المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلّا الله خالقها سبحانه وتعالى"[1]

وأيضا ما جاء عند صاحب **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** عن اهتمام سلاطين الموحدين بنشر المذهب الأشعري من خلال حديثه عن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي(505-554هـ/1133-1163م) "وجمع الناس في المغرب على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه في الفروع، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول."[2] بل قاموا بالاعتناء بمؤلفات ابن تومرت الأشعرية بترتيبها وجمعها في سفر واحد ككتابه أعزما يطلب[3]. وحتى بزوال دولة الموحدين سنة 627هـ/1230م وفقدان سلطتها عن المغرب الأدنى، وظهور الدولة الحفصية إلا أنّ الواقع العقدي للمنطقة لم يتغير بما فيها بجاية التي كانت تعتبر الحاضرة الثانية للحفصيين بعد تونس عاصمة دولتهم، بل استمر بعد ذلك لمدة طويلة المذهب الأشعري ليس في المغرب الإسلامي فقط، بل في معظم العالم الإسلامي عصرئذ، من خلال ما أورده المقريزي أيضا بقوله " فاستمرّ الحال على عقيدة الأشعريّ بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضا، لإدخال محمد بن تومرت رأي الأشعريّ إليها، حتى أنه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد، بحيث أن من خالفه ضرب عنقه، والأمر على ذلك إلى اليوم".[4]

وظاهرة أخرى اتصف بها المغرب الإسلامي في تلك الفترة وهي انتشار التصوف[5] انتشارا كبيرا على أيدي متصوفة أمثال أبي مدين شعيب الأندلسي(ت594هـ/1198م) وأبي

---

[1] المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1418 هـ، ص167.

[2] شهاب الدين العمري ، المصدر السابق، ج27، ص77.

[3] مغزاوي،المرجع السابق، ص94.

[4] المقريزي، المصدر السابق، ج4، ص 193.

[5] التصوف: يرجع أصل تسمية التصوف إلى عدة أمور منها: لباس الصوف, وصوفة القفا, وأهل الصفة, وأهل الصفاء, والصفوة من خلق الله, والصف المقدم بين يدي الله تعالى. وَسئلَ الْجنَيْد عَن التصوف فَقَالَ تصفية الْقلب عَن موَافقَة الْبَريَة ومفارقة الْأَخْلَاق الطبيعية وإخماد الصفَات البشرية ومجانبة الدَوَاعي النفسانية ومنازلة الصفَات الروحانية والتعلق بالعلوم

علي حسن المسيلي(نحو580هـ/1158م) وأبي محمد عبدالحق الأزدي الاشبيلي (ت581هـ/1185م). وكذلك ما نقله الغبريني من عبارات عن شيوخ الصوفية تؤكد أن القرن السابع هجري يعتبر بحق عصر تطور الصوفية حيث تحدث عن الدرجة التي وصل إليها الصوفي أبو مدين شعيب الأندلسي(ت594هـ/1198م) بقوله:" إنّ الشيخ أبا مدين لم يمت حتى تقطب قبل أن يغرر بثلاث ساعات والقطبية للعارف هي منتهى مناله وغاية أماله"[1]، وأيضا من خلال الكرامات العديدة التي اختص بها رجال الصوفية التي تحدّث عنها الغبريني في كتابه ومن تلك الكرامات على سبيل المثال قوله: " كان يحج من بجاية في بعض العشر من ذي الحجة ويرجع من غير أن يعلم بذلك سوى من هو على السرائر والخفيات مطلع".[2]

ومما يؤكد على أنّ القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي كان عصر التصوف بحق[3]، ذلك أنَّ عناوين الكتب ومواضيعها التي ذكرها الغبريني وكانت متداولة في عصره ومنها: رسالة القشيري في التصوف واصفا أحد مجالس أبا مدين شعيب الأندلسي، قوله: "وكان حديثه في ذلك المجلس على رسالة القشيري"،[4] وأضاف أيضا: "وله نظم حسن وقطع مستحسنة كلها في المعاني الصوفية"،[5] وأيضا وصف مجلسا آخر، بقوله: "وكان يقوم على الإرشاد لأبي المعالي قياما حسنا".[6]

لم يكتف الغبريني بذلك بل أشار إلى وجود مخالفين ومعارضين للتصوف في ذلك العصر بتعقيبه على مؤلف هذا الكتاب، بقوله:"وله في علم العقائد باع وساع وفكر مطاع،

الْحَقيقيَة وَاسْتعْمَال مَا هوَ أولى على الأبدية والنصح لجَميع الْأمة وَالْوَفَاء لله على الْحَقيقَة وَاتبَاع الرَسول صلى الله عَلَيْه وَسلم في الشَريعَة. للتفصيل أنظر: الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، بيروت، ص21-25.

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص 23.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص49.

[3] للتفصيل حول هذا الموضوع، أنظر: الطاهر بونابي،التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته- تياراته- دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د.ط، د. ت.

[4] الغبريني،المصدرالسابق، ص 26.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص104.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص198.

يميط شبه الملحدين"[1] وأيضا من خلال دفاع الغبريني عن كرامات الأولياء، بقوله: "وقد يقع في هذا إنكار من ملحد لا علم له وحقه لإعراض عنه وعدم الالتفات إليه، وإن زاد فيصفع في وجهه عوضا عن قفاه، كما جمع الله له الخزي في أولاه وأخراه.[2] وما جاء في كتابه من ذلك كثير، غير أنّنا اقتصرنا على ما ذكرناه على سبيل الاستشهاد والاختصار. ويبرز هذا أنّ التصوف كان الميزة الغالبة على أهل العصر وأن هناك فئة قليلة كانت تعارض ذلك.

أما الحياة المذهبية الفقهية فالمذهب[3] المالكي هو المسيطر على الفقه في القرن السابع هجري، رغم الفتور الذي عرفه بظهور الدولة الموحدية[4] بحكم أن المذهب المالكي كان مذهب المغاربة في الأصول والفروع وهو كذلك مذهب خصومهم المرابطين، بل حافظ على مكانته في الفروع أيضا حتى مع الموحدين ما جاء عند صاحب **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** عن اهتمام سلاطين الموحدين بنشر المذهب الأشعري في الأصول والمذهب المالكي في الفروع من خلال حديثه عن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي "وجمع

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص195.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص50.

[3] المذهب : لغة: مكان الذهاب وهو الطريق. واصطلاحا: الأحكام التي اشتملت عليها المسائل. شبهت بمكان الذهاب بجامع أن الطريق يوصل إلى المعاش، وتلك الأحكام توصل إلى المعاد.و يعنى بها في هذا مدارس الفقه الإسلامي التي درس هؤلاء العلماء تلاميذهم فيها، وكتب تلاميذ كل عالم القواعد والمسائل التي استنبطها من آيات القرآن وأحاديث الرسول، فنسبت هذه المسائل إليه، وسميت مذهبا له فيما بعد، فهي متفقة في أصول الإسلام، ومرجعها كلها القرآن، وأحاديث الرسول، وما وجد بينها من اختلاف فهو في مسائل فرعية نادرة،كالمذاهب الأربعة الحنبلي والمالكي والشافعي والحنفي.أنظر:عبد الرحمن بن حماد آل عمر، مجلة دين الحق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط: 4، 1420هـ، ، ص116. وأنظر أيضا: وَهْبَة الزحَيْلي،الفقْه الإسلامي وأدلّته ، ج1، دار الفكر دمشق، سوريَة ، ط:4، ص42.

[4] كذلك بحكم أن الأشعرية ارتبطت بالمذهب الشافعي في المشرق، إلا أن المغرب كان أشعريا مالكيا نظرا لتمسك المغاربة بالمذهب المالكي.وكذلك خوف الموحدين من غضب–رغم محاولتهم القضاء على المذهب المالكي– وثورة سكان المغرب الاسلامي، أنظر: مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص339. مصطفى مغزاوي، المرجع السابق، ص .

الناس في المغرب على مذهب الإمام مالك[1] رضي الله عنه في الفروع، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول."[2]

وكذلك ما جاء عند ابن خلدون من جهود المغاربة في نشر كتب المذهب بقوله" إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحاجب لخّص فيه طرق أهل المذهب في كلّ باب وتعديد أقوالهم في كلّ مسألة فجاء كالبرنامج للمذهب. ...جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السّابعة، عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصا أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم أبوعليّ ناصر الدّين الزّواويّ هو الّذي جلبه إلى المغرب. فإنّه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاء به وانتشر بقطر بجاية في تلميذه، ومنهم انتقل إلى سائر الأمصار المغربيّة وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه لما يؤثر عن الشّيخ ناصر الدّين من التّرغيب فيه.[3]

كما أنّ العديد من الشواهد التي ذكرها الغبريني في كتابه،تدل على سيطرته ولم يخبرنا عن اضطهاد ومحاربة الموحدين للمذهب، بل بالعكس كانت علاقة المالكية بالسلطة علاقة تفاهم .ولعل أصدق عبارة تؤكد العمل بالمذهب المالكي في الفقه هي قول الغبريني بعد فتوى أحد مشايخ بجاية وفق المذهب المالكي فعقّب عليه الغبريني بقوله " وعلى هذا يجب أن يكون العمل وهو مذهب مالك..."[4]

وخاصة فيما يتعلق بالحياة العلمية فكان الطلبة يتدارسون على المذهب المالكي مؤكدا ذلك بما يلي: "وقيّد الطلبة عنه كثيرا واستكملوا التقييد على الجلاب كل إنسان بحسب قوته، ومنهم من قيد على المُوطأ ورغب في التأليف فامتنع منه... رأى فيما ألفه أهل المذهب كفاية[5]، حيث تعتبر كتب أمهات المذهب المالكي هي المتداولة والفقه المالكي عليه العمل

---

[1] وَمَالك هوَ الْإِمَام أَبو عَبْد اللَه مَالك بْن أَنَس بْن مَالك بْن أَبي عَامر الْأَصْبَحي(ت179هـ/795م)، هوَ شَيْخ الإِسْلَام، حجَة الأمَة، إمَام دَار الهجْرَة، صاحب الموطأ، أنظر:الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة، ط: 3 ، 1985 م،ص48.

[2] شهاب الدين العمري، المصدر السابق،ج27، ص77.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون،المصدر السابق، ج1 ، ص571.

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص37.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص64.

في مختلف المعاملات الفقهية والفتوى[1] والقضاء. حيث انتشرت كتب المذهب فيصف الغبريني متحدثا عن دروس أحد المشايخ الذي ترجم لهم في بجاية " وكانت تقرأ عليه سائر الكتب المذهبية، كالتلقين...[2] والجلاب[3] الرسالة[4] ...ومنتقى الباجي[5] وغيرها من الأمهات،يقصد بالكتب المذهبية مذهب الإمام مالك. وواصفا مرة أخرى إحدى حلقات التدريس في بجاية قائلا:"وقيّد الطلبة عنه كثيرا واستكملوا التقييد على الجلاب كل إنسان بحسب قوته، ومنهم من قيد على الموطأ ورغب في التأليف فامتنع منه...رأى فيما ألفه أهل المذهب كفاية"[6] ، ومنه فإن الطلبة كان لزاما عليهم دراسة كتب المذهب المالكي في بداية الطلب، كما أنّ علماء المغرب وبجاية لم يكتفوا بضبط وحفظ ودراسة وتلقين أمهات المذهب المالكي. بل كان بمقدروهم التأليف وبإلحاح أيضا من طلبهم، ولكن سعة وكثرة مؤلفات المذهب جعلتهم يمتنعون عن ذلك بحجة أن ما كتبه شيوخ وأعلام المذهب فيه كفاية للطالب والعالم.فحتى الغبريني لم يخرج عن هذا النسق العام بدراسة كتب المذهب المشهورة، وذلك مما جاء على لسانه متحدثا عن شيوخه " قرأت عليه الجلاب وقرأت بعده الموطأ .."[7]، وتكرر في عدة مواضع من كتابه ما يدل على أن من علماء بجاية كان متمكنا ومحصلا

[1] أنظر بعض الفتاوى الواردة في كتاب عنوان الدراية مثل ص37 وما بعدها.

[2] التلقين: هو كتاب للقاضي عبد الوهاب (ت 422هـ/1031 م) عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، أبو محمد: قاض، من فقهاء المالكية، له نظم ومعرفة بالأدب. له كتاب «التلقين » في فقه المالكية. الزركلي، الأعلام ، ج4، دار العلم للملايين، ط: 15 ،2002 م، ص184.

[3] الجلاب:هو كتاب التفريع في المذهب لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن الجلاب الفقيه المالكي البغدادي (ت 378هـ/ 988م)، أنظر: رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج6، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، ص239.

[4] الرسالة:هي كتاب لابن أبي زيد القيرواني (ت 386 هـ / 996 م) عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (أبو محمد) فقيه، مفسر، مشارك في بعض العلوم .من تصانيفه: ،كتاب الرسالة، أنظر: رضا كحالة، المرجع السابق، ص73.

[5] المنتقى: هو كتاب أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي(ت474هـ/1081م) من كبار فقهاء المالكية، له شرح على المدونة والمنتقى في شرح موطأ مالك وغيرها.أنظر:ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، دار الفكر، د.ط،1986م، ص122.

[6] الغبريني،المصدر السابق، ص64.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص64.

للمذهب المالكي بقوله " وكان حافظا للخلاف العالي والمذهب المالكي.."[1] ومنها أيضا قوله في وصف أحد المشائخ " أحد الفقهاء المحصلين لمذهب مالك رضي الله عنه".[2]
كما أنّ الفتاوى[3] والنوازل[4] والقضاء[5] كان يعمل فيها على المذهب المالكي، ودائما من خلال خلال ما ورد في كتاب الغبريني، وأشار الغبريني الى المذاهب الفقهية الأخرى كالحنفي[6] والشافعي[7]، ولكن ذكرها بشكل عابر أو للمقارنة بينها[8] وبين المذهب المالكي في بعض المسائل فقط، وليس لوجودها والعمل بها.

ومن خلال ما سبق يتأكد لنا أنَّ المذهب المالكي ترسخ وتمكّن في الحياة العلمية والفقهية والقضائية لبلاد المغرب الأوسط بشكل خاص والمغرب الإسلامي بشكل عام في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي. ولا عجب في ذلك إذا علمنا أنّ تاريخ تغلل وتمكين المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، لا يعود للقرن السابع هجري/ الثالث عشر فحسب. بل الى بداية القرن الخامس هجري/الثامن ميلادي مع الدولة الزيرية والدولة

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص65.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص257.

[3] الفتاوى: هي نص جواب المفتي، أوهي الحكم الشرعي الذي يخبر عنه المفتي بإفتائه، للتفصيل أنظر:عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة،ج1، مؤسسة الرسالة، ط:9،2001م، ص161.

[4] النوازل: لغة: والنازِلة الشديدة تنزِل بالقوم وجمعها النَّوازِل المحكم والنازِلة الشدَّة من شدائد الدهر تنزل بالناس، أنظر: ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري،لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت،ط:1، د.ت، ص 666.
وفي اصطلاح أهل العلم هي القضية الفقهية الحادثة التي لم تكن فيما سبق بحيث أنها تحتاج إلى اجتهاد جديد ونظر جديد وإعمال ذهن وتبيّن لحكم الله سبحانه وتعالى فيها.

[5] القضاء في اللغة يطلق على معان متعددة منها الحكم. وأما في الاصطلاح فالقضاء يعني فصل الخصومات وفض المنازعات عن طريق إلزام الخصوم بالأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والاجتهاد بطريقة ، أنظر: سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ج2، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط:1،2003م، ص619.

[6] الحنفي: هو أقدم المذاهب الأربعة نسبة الى أبي حنيفة النعمان الكوفي (ت 150 هـ/767م)، وكان منشأ مذهبه بالكوفة ثم انتشر في سائر بلاد العراق، يقال لأصحابه أهل الرأي لأنهم استكثروا من القياس ومهروا فيه، للتفصيل أنظر: أحمد تيمور باشا، المذاهب الفقهية الأربعة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: 1 ،2001م، ص50.

[7] الشافعي: ثالث المذاهب الأربعة في القدم نسبة الى محمد بن إدريس الشافعي القرشي (ت204 هـ/819م)، ،أخذ العلم عن الإمام مالك ثم استقل بمذهب خاص، كان ظهور مذهبه بمصر، يقال لأصحابه أهل الحديث، للتفصيل أنظر: أحمد تيمور باشا، المرجع نفسه، ص75.

[8] للتفصيل أنظر: الغبريني،المصدرالسابق، ص 37–38 ومابعدها.

الحمادية وتعزز وجوده مع دولة المرابطين، رغم الفتور الذي عرفه المذهب في فترة الموحدين، فهذه الفترة الزمنية كافية مع خلو الساحة له دون منازع أو منافس، وأيضا لتراكم مؤلفاته وشروحاته مع العمل والتطبيق لأحكام المذهب في مختلف معاملة الحياة العلمية والعملية فقها وفتوى وقضاء.

ومنه نستنتج أنّ الوضع المذهبي خلال عصر الغبريني كان في الأصول أو الجانب العقدي قد اعتمد على تبني المذهب الأشعري من طرف الموحدين والحفصيين، أما الفروع فقد أقرت السلطة الحاكمة عهدئذ المذهب المالكي الموجود سلفا لترسخه وتغلله في المغرب الإسلامي ككل، لهذا سيطرا على الحياة العلمية تنظيرا وتطبيقا في عهد الغبريني.

وفي نهاية هذا المبحث يُمكن القول أنَّ مدينة بجاية في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي كانت ذات أهمية بالغة في الجانب السياسي للقوى المتصارعة في هذه الفترة سواء من بقايا المرابطين كإبن غانية أو الموحدين وكذلك الحفصين، فلقد كانت بمثابة العاصمة الثانية التي لجأ إليها كل من لديه طموح سياسي في الوصول إلى السلطة خاصة في الجانب الشرقي للمغرب الأوسط، فرغم هذه الصراعات السياسية التي عكرت في بعض الأحيان هدوء المدينة إلا المدينة عرفت حياة اقتصادية مزدهرة بمختلف جوانبها الصناعية والزراعية والتجارة الداخلية والخارجية، فكانت تمثل في هذا الجانب عاصمة اقتصادية للتجارة في المغرب الأوسط بشكل خاص ومن المدن الاقتصادية الكبرى في المغرب الإسلامي بشكل عام، بل وفي حوض البحر المتوسط. أما الحياة الإجتماعية بالمدينة على الرغم من تعدد عناصر المجتمع البجاوي من بربر وعرب وأندلسيين وأهل الذمة، إلا أنَّ المدينة لم تشهد اضطرابات بسبب هذا التنوع، فقد عرفت انسجاما تاما بين مختلف طوائفها المسلمة، أما أهل الذمة فقد تعرضوا لمراقبة من طرف السلطة السياسية وقابله تعايش وتسامحه من المجتمع البجاوي. أما في يخص الحياة المذهبية فمدينة بجاية لم تخرج عن مظاهر الحياة المذهبية بالغرب الإسلامي ككل نظرا لوقوعه تحت حكم الدولة الموحدية التي تبنت المذهب الأشعري في الأصول ومرافقة المذهب المالكي له في الفروع. وعلى العموم فقد عرفت المدينة حراكا في الجانب السياسي وإزدهارا في الجانب الاقتصادي وإنسجاما في الجانب الإجتماعي ونشاطا وحيوية في الجانب المذهبي.

لقد تبيَّن لنا من خلال هذا المبحث أنَّ البيئة التي عاش فيها الغبريني في مدينة بجاية في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي كانت بيئة ملائمة للبحث والدراسة والتأليف لكل باحث عن الظروف الملائمة للإنتاج الفكري والعلمي، بعد تعرفنا على عصر الغبريني فهل انعكست هذه الظروف على حياة الغبريني نشأة وتكوينا علميا، وهل أثرت على نوعية وطريقة كتابته؟

ثانيا: حياته

بعد أنْ تعرفنا على العصر الذي عاش فيه الغبريني بمختلف جوانبه السياسية والإقتصادية والإجتماعية والمذهبية وأهم سمات هذا العصر، فمن خلال هذا المبحث أيضا سنحاول أنْ نُعَرِّفَ بالحياة التي عاشها أبو العباس الغبريني ونربط العلاقة بين عصره ومختلف جوانب حياته، انطلاقاً من تحديد اسمه ونسبه ولقبه، وكذلك مولده ونشأته وثقافته، وصولا إلى شيوخه وتلامذته وأولاده، وفي الأخير ذكر وفاته ومؤلفاته وأقوال أصحاب التراجم فيه.

1- اسمه ونسبه ولقبه:

لم يذكر مؤلف عنوان الدراية اسمه في مقدمة كتابه على طريقة مؤرخي الإسلام،[1] وإنما أورده الأستاذ ابن أبي شنب[2] ناشر الكتاب في مقدمة الطبعة الأولى، التي جاء فيها أنه: "الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني"،[3] ولم أطلع على ترجمة وافية في كتب المصادر التاريخية والتراجم المعروفة، وهذا ما أشار إليه أبو القاسم الحفناوي[4] بقوله"ويا ليتني أقف على ترجمته أو أسمع بها في كتاب فأستعيره لأطالعها فيه أو أنقلها منه"،[5] ولقد ترجم العديد من مؤلفي كتب[6] التراجم لأبي العباس الغبريني، ولكنهم اختلفوا في

---

[1] أنظر مثلا مقدمة كتاب البستان لابن أبي مريم،ومقدمة تاريخ عبد الرحمن ابن خلدون.

[2] ابن شنب: محمد بن العربي بن محمد أبي شنب(1866-1926م) باحث جزائري وعالم بالأدب،صنف وحقق العديد من الكتب، للتفصيل أنظر: عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط:2، 1980م، ص ص189-191. وله تعريف جيد في آثار ابن باديس، للتفصيل أنظر: عمار الطالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:2، 1983م، ص46.

[3] أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص16.

[4] أبوالقاسم الحفناوي:(1852-1941م) محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي بن ابراهيم الغول،شاعر وكاتب جزائري، له اشتغال بالتاريخ، له العديد من المؤلفات، للتفصيل أنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص121.

[5] أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ط، 1906م، ص26.

[6] التسولي، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، ج1، تح:عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1996م، ص 391.

في اسم أبيه بين أحمد ومحمد[1]، فطائفة من المؤرخين وخاصة أقدم من ترجموا له، قالوا بأنه أحمد بن أحمد، كما جاء ذلك في كتابي الديباج[2] وشجرة النور الزكية،[3] بالإضافة إلى صاحب كتاب المرقبة العليا[4] وتبعهم في ذلك جماعة من كتاب تراجم الأعلام والمعاجم المتأخرين في كتبهم-باعتباره أحمد بن أحمد- نذكر منها كتب الأعلام[5] ومعجم أعلام الجزائر[6] ومعجم المؤلفين.[7]

أما الطائفة التي قالت بأن اسم أبيه محمد، فمن أقدمهم ابن قنفذ القسنطيني[8] كما جاء في كتبه الوفيات[9]و أنس الفقير[10] وشرف الطالب[11] ومثله عند صاحب درة الحجال[12] ومؤلف ومؤلف لقط الفرائد[13]، وهم كذلك وافقهم جماعة في ذلك ونذكر منهم كتاب الحفناوي.[14]

---

[1] ولقد أشار إلى الاختلاف في اسم أبيه بين مؤرخي التراجم، المحقق عادل نويهض في كتاب ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط: 4، 1983م، ص338-340.

[2] ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1996م، ص252.

[3] محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، المطبعة السلفية القاهرة، د.ط، 1349هـ، ص215.

[4]النباهي، المرقبا العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:5، 1983م، ص132.

[5] الزر كلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.،ج1، دار العلم للملايين، ط:15، بيروت،2002م، ص90.

[6] عادل نويهض، المرجع السابق، ص248.

[7] رضا كحالة،المرجع السابق،ج1، ص151.

[8] ابن قنفذ القسنطيني:(ت 809هـ/1406م)أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون،الشهير بابن قنفذ وبابن الخطيب،باحث له علم بالتراجم والتاريخ، من أشهر مؤلفاته، الوفيات،أنس الفقير وعز الحقير،للتفصيل أنظر: عادل نويهض،المرجع السابق، ص268-269.

[9]ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات،ص338-340.

[10] ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ط، 1965، ص62.

[11] ابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، ط:1،1996م، ص579.

[12] ابن القاضي المكناسي، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال،ج1، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت، ص10-11.

[13] أحمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، ط:1،1996م، ص579

[14] أبو القاسم الحفناوي ، المرجع السابق، ص151.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنه للخروج من هذا الخلاف حول اسم والد مؤلفنا أبو العباس الغبريني، يحتم علينا الرجوع إلى أقدم المصادر التي ورد فيها ذكر لترجمته، خاصة ما جاء عند تلميذه الوادي آشي[1] في برنامجه بقوله" أَبُو الْعَبَّاس أَحْمد بن أَحْمَد بن عبد الله الغبريني"[2] وتبعا لهذا، فإنّ القول الصحيح مع ابن فرحون[3] صاحب الديباج،[4] أي أن والد أبي أبي العباس الغبريني هو أحمد وليس محمد، نظرا للفترة التي كتب فيها هذا المصدر، وباعتبار أهمية الكتاب وقيمته العلمية والتاريخية لدى الباحثين –مصدرا هاما ولا يستغنى عليه في التعريف بالأعلام– وكذلك للفترة الزمنية التي عاش فيها، وأيضا من الناحية الجغرافية فهما أقرب من غيرهم عن موضوع التأليف،وهذا ما توافق مع ما جاء عند القاضي النبّاهي[5] صاحب الكتاب المسمى المرقبة العليا[6]، فهو الآخر مصدر لا يقل أهمية عن الديباج، ويشترك هذان المصدران في الخصائص العلمية والتاريخية والتزامن التاريخي لشخصية المترجم له– حيث عاشا في القرن الثامن الهجري.

وكذلك يرجع إلى الأخذ بالرأي الأول–أحمد بن أحمد– دون الرأي الثاني–أحمد بن محمد– لأن صاحب أول طبعة للكتاب بعناية أبو شنب،أورد اسم والد مؤلف العنوان موافقا للرأي الأول–أحمد بن أحمد– ولا شك أن هذا التوافق لم يأت اعتباطا بل أخذ به بعد اطلاع على مصادر توفرت لديه من القائلين بالرأيين، فترجح عنده الرأي الأول دون غيره، ومن المؤكد أن مختلف المصادر توافرت لديه.

---

[1] الوادي آشي (ت 746هـ/1345م): محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن جابر، أبو عبد الله، شمس الدين الوادي آشي: فاضل أندلسي.نسبته إلى وادي آش ووفاته بغرناطة. له (برنامج – خ) في مروياته وأشياخه، أنظر : الزركلي،المرجع السابق، ج7، ص35.

[2] أبو عبد الله الوادي آشي، برنامج الوادي آشي، تح: محمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي، أثينا، بيروت، ط:1، 1980م، ص43.

[3] ابن فرحون: ابراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، عالم أبحاث نشأ ومات في المدينة، وهو مغربي الأصل، ترك العديد من المصنفات أشهرها الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، للتفصيل أنظر :الزركلي، المرجع السابق،ج1، ص52.

[4] ابن فرحون، المصدر السابق، ص136.

[5] النباهي: القاضي أبوالحسن علي بن عبدالله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي المالقي، من الأدباء المؤرخين، له كتب مفيدة، أنظر: الزركلي، المرجع السابق،ج4، ص306.

[6] النباهي، المصدر السابق، ص132.

وعلى الرغم من أنّ ابن أبي شنب لم يشر إلى المصادر التي استقى منها ترجمة أبي العباس الغبريني، إلا أنه ما دام وافق صاحب الديباج ولعله أخذ بقوله بعد ما اطلع عليه، ورأى قوله الأقرب للصواب– هذا ما قال به أول محقق[1] كتاب العنوان– وأخذ بهذا الاسم أيضا صاحب التحقيق الثاني[2] لعنوان الدراية بالإضافة إلى فهارس المخطوطات الموجودة في المكتبات الأجنبية فذكرت والد الغبريني باسم أحمد وليس محمد،[3] كما أنّ ترجمة ابنا المؤلف أبي القاسم وأبي سعيد وردت أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني،[4] وهذا ما يزيد من قوة صحة القول الأول، وحتى مما هو متعارف عليه عند تسمية الأولاد فغالبا ما تتوافق أسمائهم مع اسم الأب أو الجد أو معهما جميعا، وهذا ما توافر في اسم والد مؤلفنا وتأكد كذلك بتسمّي ابنيه على أبيهما وجدّهما.

ومنه فإن الاسم الكامل لمؤلف عنوان الدراية كما يلي: أبو العباس أحمد بن أحمد بن أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عمر الغبريني، وورد اسمه كاملا عند أبي القاسم الحفناوي فقط دون غيره ممن ترجموا للمؤلف وأخبرنا بأنه وجده هكذا في النسخة التي بحوزته وهذا يزيد من صحة الرأي الأول بقوله:"وأقول الذي رأيته في نسخة النحرير المؤلف الشهير أبو العباس أحمد بن أحمد بن أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عمر الغبريني[5] ولعل هذا الاسم يميل للصواب أكثر من غيره لأنّ –أبا القاسم الحفناوي– كان يملك إحدى النسخ الأربع التي اطلع عليها ابن أبي شنب أثناء عنايته بالكتاب، كما أخبرنا بذلك صاحب الطبعة الأولى في مقدمة كتاب عنوان الدراية.[6]

---

[1] ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ص338–340.

[2] الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرفَ من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر،الجزائر، د. ط، د.ت، ص12.

[3] حسب فهارس مخطوطات : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،المملكة العربية السعودية،الرياض2155– فب خزانة التراث والمخطوطات ج14، ص86. ومخطوط المكتبة الوطنية بباريس، فرنسا ، باريس، اطلعت على هذا من خلال بطاقات وصفية عبر الشبكة العنكبوتية.

[4] محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص224. وأنظر أيضا: التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتاب، طرابلس، ط:2،2000م، ص104.

[5] أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص21.

[6] الغبريني، المصدر السابق، ص16.

أما نسبه فقد أجمعت كل المصادر التي ترجمت لمؤلف عنوان الدراية أنّ نسبته إلى بني غبرين،[1] ولكنّها اختلفت كذلك في حركة الغين في كلمة الغبريني،[2] فمنهم من أوردها بالضم[3] ومنهم من أوردها بالفتح والأصح أنها بالضم أي الغبريني.[4] أما بنو غبرين بطن من من بطون قبيلة زواوة، وزواوة بدورها فرع من قبيلة كتامة[5] إحدى قبائل البربر الكبرى، إذ يقول عنهم ابن خلدون بأنّهم من أكثر أهل الغرب لهذا العهد ومن بعده، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، ومواطن زواوة[6] في عهد ابن خلدون

---

[1] أنظر ترجمته عند: ابن فرحون ،المصدر السابق،ج1،ص 252. محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص215، ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص10-11. ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ص338-340. النباهي، المصدر السابق، ص 132. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص462.

[2] هناك العديد من العلماء من تلقب بالغبريني، ذكر بعضهم عادل نويهض في كتابه أعلام الجزائر وهم ستة أشهرهم أبوالعباس الغبريني، وابناه أبالقاسم وأبا سعيد ومن أحفاده أبو مهدي عيسى الغبريني(813هـ-1410م). وآخرون كأبي محمد عبدالحق بن حمامة بن يوسف الغبريني(ت ق7هـ/13م)، وموسَى بن محَمَد بن محَمَد الغبريني، أَبو عبد الله الملقب بمنديل، محَمَد بن يحيى بن مؤمن بن عَلي الزواوي الغبريني(ت787هـ/1385م)، ا للتفصيل أنظر: عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، ص ص248-250. السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج11، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص59. وأيضا: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د. ط، د. ت، ص267.

[3] أنظر: النباهي،المصدر السابق، ص132. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص462.

[4] والأصح أن الغين بالضم وهذا ما ضبطته معظم التراجم التي ترجمت للغبريني، ولم يشذ عن هذا الضبط إلا البعض، وغيره من لقب بالغبريني وردت بالضم وليس الفتح.

[5] وهم من قبائل البربر وأشدهم بأسا وقوة، وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر وهم من ولد كتام بن برنس ويقال لهم: كتم ونسابة البربر يقولون إنهم من حمير، وأول ملوكهم افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة، وهو الذي افتتح افريقية ومواطنهم بأرياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل الأوراس من ناحية القبلة. ولهذه القبيلة بطون كثيرة المعروف منها ثمانية عشر بطنا. ومن تلك الفروع ما يتفرع الى فروع وأفخاذ، أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص168. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر قي القديم والحديث،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص106.وأيضا: موسى لقبال، دوركتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص259.

[6] أما زواوة حاليا تقطن حاليا في منطقة جنوب شرق مدينة ثامغوت، بين قبيلة آيت جناد وآيت يجر،
Ammar boulifa: le Djurdjura a travers al histoire de l antiquité

بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة[1] أوطنوا عنها جبالا شاهقة متوعرة تتذعر منها الأبصار ويضلّ في غمرها السالك مثل بني غبرين بجبل زيري، وفيه شعراء من شجر الزان يشهد بها لهذا العهد.[2]

ومنه فالغبريني ينحدر نسبه من قبيلة تعد من أهم قبائل البربر وهي قبيلة كتامة التي كان لها دور في التاريخ السياسي لمنطقة المغرب الإسلامي،[3] كما أنّ قبيلة زواوة هي بدورها أنجبت العديد من العلماء الذين حفلت كتب التراجم بذكرهم، ومنه فالغبريني جمع في نسبه وأصله بين المجد السياسي والعلمي.

2- مولده ونشأته وثقافته:

لم يُشر الغبريني إلى تاريخ ومكان ولادته في كتابه[4] مع أنّ المعاجم والموسوعات الحديثة فقط- دون المصادر- هي التي انفردت بذكر تاريخ ولادته كالزركلي في الأعلام[5] و و عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر[6] وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية،[7] حيث أجمعوا على أنّ تاريخ ولادة مؤلف عنوان الدراية كان سنة 644 هـ/1246م ببجاية، وهناك من أضاف بأنّ مسقط رأسه كان في موطن قبيلته بني غبرين،[8] وبها نشأ وتعلم ولعل

---

[1] صنهاجة: و من أوفر قبائل البربر وأما بطونها فكثيرة،وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما بعده،أما ذكر نسبهم فإنهم من ولد صنهاج وهو صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم. إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج، وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن بر،أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6 ، ص202.

[2] أنظر: مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص106. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص169.

[3] للتفصيل أنظر: موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م).

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص16.

[5] الزر كلي، المرجع السابق، ج1، ص90.

[6] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص248.

[7] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ،ج3، دار الهلال، ص 222-223.

[8] في أيامنا هذه بناحية مدينة عزازقة تقع شرق مدينة الجزائر،أنظر: القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، 2009م، ط:1، ص66.

ما يؤكد ذلك ما ذكره الغبريني متحدثا عن فترة شبابه بقوله:"ولقيته ببلد بني يتورغ بموضع سكناه منها وأنا أول السن".[1]

ولم تحدثنا المصادر التي ترجمت للغبريني عن حياته الشخصية والعلمية، وإنما هناك بعض الإشارات التي يمكن من خلالها رسم الخطوط العريضة لحياته. فلا شك أنّ نشأة الغبريني كانت علمية منذ طفولته، ويتضح ذلك من خلال الكمّ الهائل للعلماء الذين أخذ عنهم وخاصة أولئك الذين لازمهم لمدة طويلة في مدة شبابه، وما يثبت اتصاله بالعلم والعلماء في سنّ مبكرة من حياته من خلال قوله:"ولقيته ببلد بني يتورغ بموضع سكناه منها وأنا أول السن، ففرح بي وسر بي واستدناني لنفسه، وأخذ يقرأ ويقول ويمسح على رأسي ويجبذ، وهو أحد أشياخي المباركين"[2] وكذلك تأثره بشيوخه من خلال القصيدة الصوفية التي نظمها في شبابه وعرضها على شيخه، فقال له شيخه: "بصّرك الله لمعانيها واطلعك الله على ما فيها" فرد الغبريني معقّبا عليه،لأن الحال كان حال شبيبة، فاعتقد الشيخ رحمه الله أن ما أتيت به فيها إنما هو على سبيل الصناعة لا على سبيل الاطلاع والشهود. والله يؤتي الفضل من يشاء .. "[3] وكلام الغبريني يدل على أنه بلغ مرحلة متقدمة في العلم والتصوف في فترة مبكرة من حياته، ومن خلال هذا يمكن استنتاج أن الغبريني نشأته كانت في كنف مشايخ الصوفية وما يؤكد ذلك ما ذكره في كتابه الدراية من ألفاظ وعبارات[4] توحي بأنّ طبيعة الحياة الدينية والمذهبية كانت صوفية في بجاية وأحوازها، ومنه فنشأة الغبريني بطبيعة الحال لن تخرج عن هذا الجو الديني الصوفي والعلمي.

لم تحدثنا كذلك المصادر عن التكوين العلمي للغبريني، وإنما بعض الإشارات التي من خلالها يمكن رسم الخطوط العريضة لشخصيته العلمية، فالغبريني عاش في بيئة علمية محضة، فمن خلال قراءة الصفحات الأولى من كتابه تؤكد ذلك بوضوح، ولا شك أنه تدرج وفق الطريقة السائدة للتعليم في عصره من حفظ للقرآن الكريم وتعلم العربية ثم الفقه والتفسير وعلوم المنطق، بالإضافة إلى علم التصوف الذي كان يُميِّز شيوخ ذلك العصر، فهذا بطبيعة

[1] أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص125.

[2] أبو العباس الغبريني،المصدر نفسه، ص125.

[3] أبو العباس الغبريني ،المصدر نفسه، ص13.

[4] عبارات كالظاهر الباطن الغوث القطب ....إلى غيرها.

الحال ينطبق على تلامذتهم ومنهم الغبريني الذي بدا تأثره واضحا بهذا الجانب الصوفي وبكرامات الأولياء وخوارقهم. وكذلك من خلال برنامج مشيخة مؤلف الدراية التي ذكرها في كتابه، بالإضافة الى ميلاده سنة 644هـ/1246م، فيمكن من خلالها تتبع نشأته وتكوينه العلمي فقد كانت بداية تلقيه العلم بعلوم اللغة والعربية كما هي طريقة التعليم السائدة في عصره على شيخه **أبي عبد الله التميمي** (ت 673هـ/1274م) بقوله: لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام واستمتعت به كثيرا واستفدت منه كبيرا، ومضى في الميعاد في مدة قراءتي عليه أضعاف ما قرأته بلفظي عليه،..."[1] ثم أخذ الفقه على **أبي محمد عبد الله بن عبادة**(ت 669هـ/1270م) [2] بقوله: " قرأت عليه رحمه الله وسمعت منه وأخذت عنه، وهو أول من بدأت قراءة الفقه عليه، وكان يبدأ في مجلسه بالرقائق وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث والرواية".[3] وأيضا على شيخه **أبي العباس ابن خالد** (ت660هـ/1262م) بقوله: " قرأت عليه جملة من الإرشاد وجملة من المستصفى، وقرأت عليه في بدء أمري بعض معيار العلم في المنطق"،[4] فالغبريني في بداية حياته كان متأثرا بالصوفية ومظهرا ما يتعلق بها من زهد وانعزال عن الناس قبل أن يتولى القضاء من خلال العبارة التي أوردها ابن القاضي النباهي عن الغبريني بقوله "ولما ولي خطة القضاء ترك حضور الولائم ودخول الحمام. وسلك طريق اليأس من مداخلة الناس". ثم تولى القضاء في عدة مواضع، ومنه فإن الرجل كان ذا مكانة علمية وملّما بشروط مهنة القضاء[5] من فقه وعلم بالنوازل على قدرة ولي القضاء بمواضع عدة، كما أن النبّاهي أخبرنا عنه عن صفته في القضاء آخرها مدينة بجاية، "فكان في حكمه شديدا، مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه، وحفظ لفروعه وقيام على النوازل، وتحقيق للمسائل."[6] وبقوله أيضا "لما أقمت المدة التي أقمتها بتونس، ولما أردت الانصراف إلى بجاية، جئت لوداعه فودعته وتبركت به،[7] رأيته ببجاية ولقيته بها ورأيته أيضا

---

[1] أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص69.
[2] أبو العباس الغبريني، المصدر نفسه، ص355-356.
[3] أبو العباس الغبريني، المصدر نفسه، ص66.
[4] أبو العباس الغبريني، المصدر نفسه، ص73.
[5] النباهي، المصدر السابق، ص132.
[6] النباهي، المصدر نفسه، ص132.
[7] أبو العباس الغبريني ،المصدر السابق، ص102

أيضا بتونس رؤية جيدة، واستفدت من أخلاقه ومن الإطلاع على أحكامه بحضوري مجلسه، ما انتفعت به كثيرا[1] فمن المؤكد أن له رحلتان إلى تونس، الأولى التي ذكرها الغبريني في كتابه، والثانية التي كان فيها في سفارة إلى سلطان تونس في آخر أيامه في مطلع القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي، وقام فيها مدرسا ومقرئا لكتبه كما ذكر تلميذه أبوعبدالله الوادي آشي في برنامجه. بل وسفيرا إلى تونس عاصمة الحفصيين، كما ورد ذلك عند ابن خلدون[2] في سفارة التي قتل على إثرها بتهمة تحريض قومه على التمرد على السلطان، وهذه تدل على قيمة الرجل وخوف الولاة من كما أنّ الغبريني كان كبير قومه ومشاورا فيهم، وكانت لديه مكانة لدى ولاة بجاية ومن كبار أعيانها إثارته للأوضاع وتهديد ولايتهم، فالرجل لم يكن صاحب مكانة علمية ودينية فحسب، بل كانت لديه مكانة اجتماعية وسياسية في قومه وبلده.

لم ترد معلومات عن رحلة الغبريني إلى المشرق لا في كتابه ولا عند غيره، وإنّما الرحلات التي قام بها كانت داخل القطر المغربي وفي ظل حكم الدولة الحفصية، وخاصة إلى حاضرة افريقية تونس وهذه الرحلة كانت في آخر حياته ولم تكن لمدة طويلة، كما أنها حدثت بعد أنْ حصّل الغبريني تعليمه في بجاية. ومما وردعن رحلته في كتابه "لما أقمت المدة التي أقمتها بتونس، ولما أردت الانصراف إلى بجاية، جئت لوداعه فودعته وتبركت به،[3] وفي هذه الرحلة قرأ عليه أبوعبد الله الوادي آشي كُتُبَهُ غير عنوان الدراية.

لا شك أنّ الغبريني زاول عدة مناصب تدريسية ودرّس في بجاية وتونس وبالضبط بجامع الزيتونة[4]، ولكن الإشارة الوحيدة التي وردت عن مزاولته التدريس عندما كان بحاضرة افريقية بقوله: " ولما حللت بحاضرة افريقية، اجتمع جمع من الطلبة وكلفوني بالجلوس للإقراء فأسعفتهم بذلك "،[5] وكذلك من خلال ما ذكره تلميذه أبوعبدالله الوادي آشي عن شيخه شيخه بأنه زوال التدريس في بجاية من خلال قوله عن شيخه: "الشَّيْخ الْفَقِيه الْخَطِيب

---

[1] الغبريني ،المصدر السابق، ص120.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص169.

[3] الغبريني ، المصدر السابق، ص102.

[4] القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص66.

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص100.

الْمدرس قَاضِي الْجَمَاعَة ببجاية وأنظارها"[1] ومن المؤكد أن الغبريني تقلد مناصب عدة في التدريس، وذلك لسعة اطلاعه وتبحره في مختلف علوم عصره من حديث وفقه ولغة، وكذلك من خلال ورود اسمه في سلسلة الرواة لبعض الكتب التي رواها عن شيوخه.[2]

حفل العصر الذي عاش فيه الغبريني بمجموعة من الشعراء الذين ذكر لنا بعض الشواهد التي تؤكد ذلك، وبالرغم من هذا، إلا أنّ الغبريني كان له نصيب مما جادت به قريحته الشعرية، أوردها في كتابه، كقصيدته الصوفية الهمزية التي نظمها في شبابه وعرضها على شيخه بقوله " وكنت في زمان الشباب نظمت القصيدة الصوفية الهمزية التي مطلعها:

واحيرة العشاق بالرقباء　　　　حرموا الوصول لطيبة الوسعاء[3]

وهي نحو أربعين بيتا، فحملته وأنشدتها بين يديه، ففرح بها غاية الفرح وجعل يدعو لأن حال كان حال شبيبة.[4] ومن أناشيده التي وردت عند غيره:

لا تَتْكِحَنَّ سِرَّكَ المَكْنُونِ خَاطِبَهُ　　　　واجْعَلْ لِمَيِّتِهِ بَيْنَ الحَشَا جَدْثَهُ

وَلا تَقُلْ نَفْثَةَ المَصْدُورِ رَاحَتَهُ　　　　كَمْ نَافِثٍ رُوحَهُ مِنْ صَدْرِهِ نَفْثًا[5]

3- شيوخه[6] وتلامذته وأولاده:

لعل من أهم ميزات كتاب عنوان الدراية لأبي العباس الغبريني، أنه ذكر فيه أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم أو كما سمّاها بطريقة استفادته–بشكل عام في ثنايا كتابه عند ترجمته للعلماء الذين ذكرهم[7] أو في الجزء الأخيرالذين من كتابه– حيث يقول فيه "رأيت أن أذكر بعد ذلك طريقة استفادتي مما استفدته، ووجه تلقي ما تلقيته من العلم ورويته" [8] فهو

---

[1] الوادي آشي أبو عبد الله ، المصدر السابق، ص43.

[2] الروداني، صلة الخلف بموصول السلف، ج1، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1988م، ص ص57–65.

[3] هناك من أكد أن قصيدته موجودة كمخطوط في إحدى المكتبات في المغرب.

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص104.

[5] النباهي ، المصدر السابق، ص132.

[6] لمعرفة أسماء شيوخ الغبريني وعناوين الكتب التي رواها عنهم، أنظر: الملحق 04.

[7] بعبارات مثل ذلك" شيخنا..قرأت عليه" الى غيرها من العبارات.

[8] الغبريني، المصدر السابق، ص355.

بهذا يخبرنا عن طبيعة الحياة العلمية ونشاطها في عصره، وتنوع منابع ومصادر تلقي العلم وروايته لهذا خصنا بذكر طريقته ومنابعها. بل وذكر الفائدة من ذكر شيوخه بقوله "لينتفع بذلك من له أرب، وليجده منظوما كيف يريد من له عليه بحث وطلب[1]" فهذه الطريقة لم تذكر من طرفه صدفة واعتباطا وليس لمجرد التسلية والفضول، وإنما ذكرها لينتفع بها طالب العلم الباحث عنها لإدراك أبي العباس الغبريني لأهميتها ومدى اهتمام الطلاب بها في عصره –سواء كانوا أبناء جيله أو من سيأتي بعد– ليكف عنهم عناء البحث والتحقق عند غيره[2]. بالإضافة أن الشيخ أو العالم قيمته لا ترتبط فقط بعلمه ومؤلفاته، وإنما كذلك بشيوخه بشيوخه ومن روى عنهم مختلف العلوم التي حصلها.

لم يكتف الغبريني بذكر شيوخه فقط، بل صنّفهم حسب نوعية العلوم التي تلقاها عنهم، حيث سنترجم لشيوخه وفق الطريقة التي اعتمدها، وفي حديثنا عن شيوخه سنركز على الذين كان لهم تأثير قوي في تكوين شخصية الغبريني ونذكر منهم:شيوخه في علوم الدراية[3] بالتعريف بهم بشكل موجز وما قاله الغبريني عنهم، أما علوم الرواية[4] فسنخصص لهم جدولا لملائمته لذلك يحتوي على الكتب التي رواها أو سمع عنهم.[5]

1–أبو محمد عبدالعزيز القيسي: (686 هـ/1287م) هو أبو محمد ويكنى أبا فارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف ،وصف الغبريني شيخه " فصيح اللسان والعبارة حسن الإشارة، له عكوف على التدريس دؤوب عليه... كان مشاورا وعلى فتواه العمل"[6]

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص355.

[2] حتى نحن كطلبة سهل علينا جهد البحث عن شيوخه –وما أصعب ذلك– بل يكاد يستحيل،إذ يكاد يندر أن يذكر عالم بنفسه شيوخه مثل ما فعل الغبريني فضلا أن يذكر شيوخ غيره من العلماء.

[3] علوم الدراية: يراد بها العلوم التي يحتاج فيها إلى إعمال الفكر والنظر والاستنباط كعلم الفقه وعلم الأصلين أصول الدين وأصول الفقه وعلم التصوف وعلم المنطق، أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، تح: رابح بونار، ص25.

[4] علوم الرواية: يراد بها العلوم التي يتوصل إلى معرفتها بالرواية والسماع كعلوم التفسير و الحديث و الفقه والعربية والتصوف، أنظر: أبو العباس الغبريني، المصدر نفسه، تح: رابح بونار، ص25.

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص ص300–360

[6] الغبريني، المصدر نفسه، ص63–64.

" فاني تلقيته تعلما وتفقها وتبسطا بالقراءة على الفقيه أبي محمد عبدالعزيز القيسي" [1]، وقوله أيضا:" قرأت عليه رحمه الله وحضرت دروسه وسمعت منه كثيرا، قرأت عليه الجلاب وقرأت بعده الموطأ بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره.[2]

2-أبو محمد عبد الله بن عبادة: (ت 669هـ /1270م)[3] أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي من قلعة بني حماد وصفه الغبريني بقوله " وكان حافظا للخلاف العالي والمذهب المالكي، حسن النظر والتوجيه وحافظا للتأريخ وذاكرا لجسد الصالح من الحديث، وكان مشاورا شاهدا بالديوان، وانتهت الرياسة إليه،

قرأت عليه رحمه الله وسمعت منه وأخذت عنه، وهو أول من بدأت قراءة الفقه عليه، وكان يبدأ في مجلسه بالرقائق وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث والرواية.[4]

3-أبو محمد عبد الحق بن ربيع: (ت 675 هـ/1276م) [5] أبو محمد عبد الحق بن ربيع ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري، ولد ببجاية وقرأ بها ولقي مشائخ ، وكان رحمه الله روح بلده ومصره [6]

4-أبو العباس الغماري: (ت672هـ/1273م).[7] أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري، وكان له لسان يستلزم به العصم، وكان جادا طلبا، مناصيا للأمراء ومناصبا لهم، وسيوسا مع ذلك لهم........وكان سريع البداهة بالجواب، يطبق المفصل بموافقة الصواب.

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص355.

[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص64.

[3] الغبريني، المصدر نفسه ص355-356.

[4] الغبريني، المصدر نفسه، ص66.

[5] الغبريني، المصدر نفسه، ص355-356.

[6] الغبريني، المصدر نفسه، ص56.

[7] الغبريني، المصدر نفسه، ص356

وكان ممن يستفاد بالنظر إليه، والمثول بين يديه، وكانت دروسه منقحة الإيراد عذبة المورد بقريب ما يستفاد، حضرت دروسه وشاهدتها، له علم بأصول الفقه، وحظ من أصول الدين ومشاركة في علم الأدب[1].

5- **أبو العباس ابن خالد:** (ت660هـ/1262م) أبو العباس أحمد ابن خالد من أهل مالقة قرأ بالأندلس وقرأ بمراكش، وكان قليل الكلام كثير الملكة في إمساك نفسه في البحث.قرأت عليه جملة من الإرشاد وجملة من المستصفى، وقرأت عليه في بدء أمري بعض معيار العلم في المنطق.[2]

6- **أبوعبد الله التميمي:** (ت 673هـ/1274م) سبق ترجمته هو نفسه أحمد بن خالد المالقي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي من قلعة بني حماد، وبها قرأ وبرع. كان في علم العربية بارعا مقدما محكما لفنونه الثلاثة، النحو واللغة والأدب. وهو أفضل من لقيت في علم العربية لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام واستمتعت به كثيرا واستفدت منه كبيرا، قرأت عليه الإيضاح من فاتحته الى خاتمته، وقرأت عليه النصف من كتاب سيبويه وقرأت عليه قانون أبي موسى الجزولي وقرأت عليه جملة من الأمالي ومن زهر الأدب ومن الأدب ومن المقامات وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي وحضرت قراءة المفصل، ومضى في الميعاد في مدة قراءتي عليه أضعاف ما قرأته بلفظي عليه[3] وما رأيت في علم العربية مثله، وانتفعت به ما لم انتفع بغيره، وقرأت عليه النحو واللغة والأدب والتصريف.[4]

7- **أبو الحجاج ابن سعيد:** أبوالحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري،له علم بالعربية واللغة والنحو والأدب، وكان فيهما جيد. قرأت عنه وسمعت منه وأخذت

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص93-94.

[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص73.

[3] الغبريني، المصدر نفسه، ص68.

[4] الغبريني، المصدر نفسه، ص358.

عنه.[1].فقرأت عليه وأعربت، وسمعت بقراءة الحاضرين وكان ميعادا مشحونا بالطلبة، والذي يقرأه هذا غير الذي يقرأه هذا، والذي يعربه هذا غير ما يعربه هذا، فوقع الانتفاع به بالقراءة والسماع.[2]

8- **أبوعبدالله الكناني:** (ت 699هـ/1297م) أبوعبدالله محمد بن أحمد صالح الكناني، من أهل شاطبة، رحل إلى العدوة واستوطن ببجاية ولقي المشائخ بالعدوتين، روى ودرى واستجاز وأجاز، وروى وأقرأ، واستمتع وانتفع به خلق كثير،كان له علم بالقراءات متقن فيها مجيد لها،وله معرفة بالعربية واللغة والنحو،له رواية متعة في الحديث وغيره. وهو أحد من كثرت عليه القراءة ببجاية[3] فقرأت عليه بعض النحو وبعض اللغة وأعربت عليه وسمعت بقراءة غيري.[4]

9- **أبو الحسن الرندي**:(ت691 هـ/ 1292م) أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحي الأزدي من أهل رندة رحل إلى العدوة وتخير استيطانه بجاية فاستوطنها.

10- **أبوزكرياء ابن محجوبة:** (ت977 هـ/ 1278م) أبوزكرياء يحي بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي، كان من المتعبين الزهاد رحل إلى المشرق ولقي مشائخ،ورأيت له تأليفا حسنا في شرح أسماء الله الحسنى وله في التصوف تقاييد كثيرة.[5]

11- **أبو العباس بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي**:(ت674هـ/1275م) لقي المشائخ ببجاية.ألف كتابا في مرسوم الخط،وجزءا في بيان ورش. وروينا عنه بعض الكتب، واستفدنا منه بالمشابهة في علم القراءات.

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص77-78.

[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص358.

[3] الغبريني، المصدر نفسه، ص79-83.

[4] الغبريني، المصدر نفسه، ص358.

[5] الغبريني، المصدر نفسه، ص103-104.

أمّا **تلاميذه** فلم تذكر لنا كتب التراجم تلاميذ الغبريني، ما عدا ما جاء في ترجمة محمد بن أحمد بن محمد بن شبرين، من شيوخه أبي العباس الغبريني[1]، وكذلك ما جاء في ترجمة محمد بن جابر بن محمد القيسي، حيث اكتفت كتب التراجم بذكر فقط اسم الغبريني في سلسلة شيوخ هؤلاء دون تقديم تفاصيل حول طبيعة العلوم التي أخذوها عن شيخهم الغبريني.

ومن أشهر تلاميذ الغبريني تلميذه الواد آشي الأصل والتونسي الاستيطان يكنّى أبا عبد الله ويلقب شمس الدين ويعرف بابن جابر ولد ونشأ بتونس وجال في البلاد المشرقية والمغربية واستكثر من الرواية ونقب عن المشايخ وقيد الكثير حتى أصبح جماعة المغرب وراوية الوقت ثم قدم الأندلس. كان محدثاً مقرئاً مجوداً له معرفة بالنحو واللغة والحديث ورجاله وكان فقهه قليلاً. [2] فالوادي آشي من شيوخه قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس الغبريني، كما أنّ تلاميذ الغبريني الذين سبق ذكرهم رووا عنه بعض الأحاديث والكتب.[3]

وكذلك **أولاده** لم ترد في أغلب المصادر التي تناولت ترجمة للغبريني أخبارا عن أولاده، ما عدا ما نقله ابن مخلوف في كتابه شجرة النور الزكية وابن حجر في أنباء الغمر عندما ترجم لأبي العباس الغبريني. فذكرا له ولدين اثنين وهما أبا القاسم وأبا سعيد.

1-**أبو القاسم:** (ت770هـ/1368م):[4]

هو أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني فقيه تونس و مفتيها. أخذ عن ابن عبد السلام و طبقته و تولى الفتيا بتونس. قال البر زلي: هو شيخنا الفقيه الرواية المفتي الصالح المسن

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب،المصدر السابق،ج2، ص154.

[2] لسان الدين ابن الخطيب،المصدر نفسه، ج3، ص125. ابن فرحون، المصدر السابق، ج2، ص300.

[3] للتفصيل أنظر: الروداني ، المصدر السابق، ج1، ص57-65.

[4] ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج3، تح حسن حبشي ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، د.ط، 1969م، ص526. محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص215. شمس الدين ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ/1430م)، غاية النهاية في طبقة القراء،ج2، عناية ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ، ص28. أبو العباس البسيلي التونسي (ت 830 هـ/1427م)، نكت وتفسيرات القران المجيد ج1، تح محمد الطبراني، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط 1، 2008م، ص96-99.

أبو القاسم. قال تلميذه أبو الطيب ابن علوان شيخنا الإمام العلامة المشاور الثبت الرواية المدرس المفتي الخطيب ذو الخطط الشرعية و العلوم النقلية. و أخذ عنه جماعة من علماء من تونس كالقاضي أبي مهدي عيسى الغبريني و أبي عبد الله القلشاني و صاحب الترجمة ولد أبي العباس الغبريني صاحب "عنوان الدارية" وقاضي بجاية. توفي بعد السبعين و سبع مئة.

2-**أبو سعيد** :(ت775هـ/1337م):[1]

وهو أخوه وشقيق أبو القاسم أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني. قال ابن علوان: هو شيخنا الفقيه الإمام الخطيب الموقر المشاور الرئيس المسند المحدث بقية الشيخ. و لم يذكر وفاته.[2] ومن الملاحظ أن أبا سعيد الغبريني لم تترجم له المصادر عكس أخوه أبا القاسم الذي له العديد من الثناء والفتاوى في كتب المذهب المالكي.كما أن من أحفاد أبي العباس الغبريني أبو مهدي عيسى. ومن أحفاد الغبريني.

أبو مهدي: (ت815هـ/1478م)

عيسى بن يحي بن أحمد بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي ، قاضي الجماعة ب «تونس» وعالمها وصالحها، وحافظها وخطيبها، قال الشيخ الثعالبي: شيخنا أوحد زمانه علما ودينا. "كان جده أبو العباس ولي خطة القضاء في بجاية وهو مؤلف عنوان الدراية"[3].

4- وفاته ومؤلفاته وأقوال أصحاب التراجم فيه:

إذا كان هناك اتفاق وإجماع بين مختلف المعاجم والتراجم والمراجع التي ترجمت لأبي العباس الغبريني حول تاريخ ولادته، فإن هناك خلافا حول سنة وفاته، وأرخوا لوفاته على أربعة أقوال وهي كالتالي:

1-منهم من ذكر تاريخ وفاته أنه كان سنة 704هـ/1304م،[1] وعلى رأس هؤلاء المؤرخين ابن خلدون في تاريخه.وابن قنفذ في وفياته.

---

[1] أنظر:عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص249-250.

[2] محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص215.

[3] محمد السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف، ج 1، ص 287.

2-ومنهم من ذكر أن تاريخ وفاته كان سنة 714هـ/1314م، وعلى رأس هؤلاء المؤرخين صاحب فهرس الفهارس وانفرد عن غيره من المؤرخين بذكر اليوم والشهر جاءت وفاته كما يلي: المتوفي في 2 ذي القعدة عام 714هـ/1314م ،[2]وناشر الطبعة الأولى من العنوان ابن أبي شنب.[3]

1-ومنهم من ذكر أن تاريخ وفاته كان سنة 705هـ/1305م،وهذا التاريخ انفرد به صاحب درة الحجال[4] دون غيره.

4-ومنهم من جمع بين تاريخي الوفاة الأول والثاني، فأورد وفاته سنة 704 هـ/1304م أو سنة 714هـ/1314م، وورد ذلك فقط عند مؤلف شجرة النور الزكية.[5]

بعد عرض مختلف الآراء حول تاريخ وفاة أبي العباس الغبريني، يبدو أن الغالبية من المصادر أجمعت على أن وفاته كانت سنة 704 هـ/1304م، عكس من قال بأن معظم من أرّخ له ذكر

لم يورد أحد من المؤرخين مؤلفات للغبريني غير عنوان الدراية كتاب تلميذه الوادي آشي في برنامجه وأكد عليها بعد قرائته هذه الكتب على شيخه أبي العباس الغبريني بقوله "الْأَرْبَعُونَ الْمُسَمَّاة بالمورد الأصفى لِلْقَاضِي أبي الْعَبَّاس أَحْمد الغبريني القاطن ببجاية قرأتها عَلَيْهِ حِين قدومه تونس فِي الرسَالَة"[6]

[1] أنظر تاريخ وفاته عند: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص462، وأيضا: الونشريسي، وفيات الونشريسي، تح: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1996م، ط:1، ص579. القاضي النباهي ، المصدر السابق، ص132. ابن قنفذ القسنطيني،الوفيات، ص338-340. ابن فرحون، المصدر السابق،ج1، ص 252 .

[2] الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،ج2، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،.ط: 2، 1982م، ص883.

[3] الغبريني ، المصدر السابق، 16.

[4] ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص ص10-11.

[5] محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص215.

[6] الوادي آشي أبو عبد الله، المصدر السابق، ج1، ص 292.

وكذلك جاء في برنامجه أيضا أنه قرأ عليه الفصول الجامعة المسماة بالمورد الأصفى،وذكر عنوان هذا الكتاب كاملا ، بقوله " الْفُصُول الجامعة وَالْحُدُود الْمَانِعَة فِي أصُول الْمعرفَة بِاللَّه تَعَالَى للْقَاضِي أبي الْعَبَّاس احْمَد الغبريني قرأتها عَلَيْهِ[1]

كذلك ذكر مؤلفات الغبريني ابن القاضي المكناسي[2] في درّة الحجال منها الأربعين المسماة بالمورد الأصفى،وكتاب الفصول الجامعة بالإضافة إلى عنوان الدراية الذي هو موضوع كتابنا.

وأشار الحفناوي الى وجود مؤلفات أخرى غير عنوان الدراية ولكنه لم يذكرها بعدما عرف عنوان الدراية بقوله " صاحب عنوان الدراية وغيره"[3]

غير أنه لم يصل إلينا إلا كتابه عنوان الدراية وحتى الغبريني نفسه لم يحدثنا عن بقية الكتب–لعله كتبها بعد الدراية.

أنّ وفاته كانت سنة 714هـ/1314م[4] .ولا يمكن أن تجمع كل هذه المصادر على خطأ واحد، وهو الرأي الأول ولم يخالف هذا الرأي إلا مصدر واحد فقط[5] خاصة ما ورد عند تلميذه الوادي آشي بالتفصيل حول وفاته ووافق بذلك ابن خلدون " قدم تونس من بَلَده عَام أَرْبَعَة وَسَبْعمائة فِي الرسَالَة فاجتمعت بِهِ.... وَتُوفِّي فِي بَقِيَّة عَامه بعد قفوله إِلَى بَلَده بعد محنة شَدِيدَة ذبيحا آجره الله تَعَالَى"[6]– الرأي الثاني– وبالتالي لا يمكن أن يصمد أمام المصادر خاصة أمام مصدر متخصص وذو قيمة علمية وقريب من العصر الذي عاش فيه المؤلف كابن خلدون مثلا. أمّا صاحب الطبعة الأولى –ابن أبي شنب– من كتاب المؤلف عنوان الدراية، فهو الآخر لا يمكن اعتبار التاريخ الذي ذكره لوفاة المؤلف صحيحا للأسباب التي سبق ذكرها– رغم أنّه لم يخبرنا عن مصادر التي استقى منها هذا التاريخ– فحتى محقق الطبعة الأولى من كتاب عنوان الدراية استدرك فيما بعد وتراجع في كتاب آخر[7] عن

---

[1] الوادي آشي أبو عبد الله، المصدر نفسه، ج1، ص 303.

[2] ابن القاضي المكناسي،المصدر السابق، ص ص10–11.

[3] أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص21.

[4] القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص66.

[5] الكتاني عبد الحي، المرجع السابق، ج2، ص883.

[6] أبو عبد الله الوادي آشي، المصدر السابق، ص44.

[7] ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ص338–340.

تاريخ الوفاة سنة 714 هـ/1314م، بعد أن تأكد لديه أن تاريخ وفاته هو 704هـ كما جاء عند ابن خلدون لا 714هـ/1314 كما ذكره ابن أبي شنب. وما يزيد من صحة هذا الرأي أنّ مؤلف عنوان الدراية نفسه ذكر في مقدمة كتابه ما يدعم هذا الرأي بقوله " وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة

السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات"[1] وبالتالي فمن خلال هذه العبارة يستبعد أن يطول في تأليف كتابه إلى غاية 704هـ/1304م. كما صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف[2] نقل عن ابن قنفذ تاريخ وفاة الغبريني سنة 704هـ/ 1304م ولم يشر الى أي اختلاف في ذلك.

أما الرأي الثالث فهو شاذ ولا يمكن الاعتبار به، لأنه لم يقل به سوى مصدر واحد، أما الرأي الرابع فهو جمع بين أكثر التواريخ صحة وتدولا بين المصادر، فهو يؤكد لنا عن وجود اختلاف في تاريخ وفاة المؤلف– ربما لاطلاعه على مختلف المصادر التي ذكرت تاريخ الوفاة سنة 704هـ/1304م والتي ذكرت تاريخ الوفاة 714 هـ/1314م – بعدما لم يترجح عنده أحدهما، ففضل ذكرهما معا وهو عندي أفضل ممن قال بتاريخ واحد وأجزم بصحته– دون تقديم مصادر أو قرائن تثبت ذلك– دون ذكر الخلاف الموجود مع غيره.

وكذلك تتفق كل المصادر على وفاته لم تكن بطريقة عادية، وإنما كان شهيدا[3] أو قتيلا[4] ومن أورد ذلك بالتفصيل ابن خلدون عند عودة أبي العباس الغبريني من سفارته إلى السلطان الحفصي بتونس سنة 704هـ/1304م بقوله " فاستوحش منه السلطان، وتقبّض عليه سنة أربع وسبعمائة، ثم أغروه بقتله فقتل بمحبسه في سنته تلك. وتولى قتله منصور التركي.[5]

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص20.

[2] أبوالقاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص21.

[3] هناك في بعض المصادر يستخدم لفظ شهيد وهذا لمكانة الغبريني أو لأنه قتل مظلوما، أنظر مثلا:ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ص338–340. ابن قنفذ القسنطيني ، شرف الطالب في أسنى المطالب، دار الغرب الإسلامي.ط:1،1996م، ص579.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ص579. أحمد بن القاضي، المصدر السابق، ص579.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص462.

أثنى كثير ممن كتب عن الغبريني ووصفوه بأوصاف تدل على المكانة العلمية والمنزلة الرفيعة التي وصل إليها، ومن الملاحظ أن هذه العبارات التي أطلقت عليه، تعددت واختلفت ألفاظها وعبارتها فمنهم من وصفه بالعلامة والقاضي كصاحب الديباج قال عنه : الإمام العلامة قاضي القضاة ببجاية، [1] وتحدث النبّاهي في كتابه تاريخ قضاة الأندلس عن كيفية قضائه فقال عنه: كان في حكمه شديدا، مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه، وحفظ لفروعه وقيام على النوازل، وتحقيق للمسائل. [2] وابن قنفذ كتبه بالفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية.[3] أما ابن خلدون فقد وصفه أثناء سفارته بالقاضي بقوله: وبعث معه القاضي أبي العباس الغبريني كبير بجاية وصاحب شوارها.[4] أما في وفيات الونشريسي فقد وصفه: بالشيخ الشهير الفاضل قاضي بجاية.[5] وهناك من ألحقه بالأدباء كمؤلف فهرس الفهارس قائلا عنه:هو العلامة القاضي الأديب أبوالعباس أحمد بن الشيخ الأثيل الصالح أبي العباس.[6] وحتى أصحاب كتب التراجم الحديثة لم تخرج عن الأوصاف السابقة كصاحب تعريف الخلف الحفناوي الذي قال عنه بأنه: " قاضي بجاية العالم النحرير المؤلف الشهير الفقيه المطلع الخبير " [7]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أنه لا غرابة في الأوصاف المتعددة والمتتابعة التي أطلقت على الغبريني، هي أوصاف اتصف بها علماء عصره، لأنه عصر كانت فيه موسوعية الإطلاع وكثرة المشايخ وتنوع العلوم التي ميزت الحياة العلمية عصرئذ. وسيتأكد ذلك بالكم الهائل للمشايخ الذين عاصرهم وأخذ عنهم أثناء الحديث عن مشايخه وخاصة وأنه حدثنا عن أشهرهم– وهم قلة بالنسبة لغير المعروفين عنده لدى غيره– وللعلوم التي درسها وللكتب التي رواها.

---

[1] ابن فرحون المالكي، المصدر السابق،ج1، ص 252.

[2] القاضي النباهي ، المصدر السابق، ص.132.

[3] ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، ص ص338–340 وأيضا: ابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب،ص579.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص462.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ص579.

[6] الكتاني عبد الحي، المرجع السابق، ج2، ص883.

[7] أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص ص21.

ورغم كل هذا، إلاّ أنّ الغبريني لم يكن بذلك المتخصص في كل فن من الفنون كما رأينا سابقا، بل الصفة الأولى التي اشتهر بها وتداولتها أغلب المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة هي مهنة القضاء.. وهي بدورها مهنة ارتبطت بعلماء عصره- كما حفل بذلك كتابه بالعديد من القضاة- كما جاء عند النبّاهي متحدثا عن الغبريني في كتابه الذي خصّه بالتأريخ للقضاة وجعله واحدا منهم : "ولي القضاء بمواضع عدة، آخرها مدينة بجاية"[1]. إن صفة القضاء تعني أن صاحبها ذا اطلاع واسع على علوم الفقه والحديث.

كما أنّ صاحب الديباج جعله من رجال المالكية وفقهائها وصنّفه في الطبقة الخامسة عشر لعلماء المالكية[2]. فيمكن اعتبار ذلك صحيحا -رغم عدم اطلاعنا على فتاويه وآرائه- لأن تعليقاته وإلمامه بأمهات كتب الفقه المالكي وتعليقاته وتعقيبه على الفتاوى الصادرة في عصره، تجزم بأن الرجل كان من فقهاء المالكية في عصره، كما رأينا سابقا من خلال التدريس في حاضرة افريقية بطلب من طلابها ، وذلك لا ينبئ إلا عن شهرة الرجل في الفقه المالكي.

أما المحدّث فهي صفة مبالغ فيها، وسيتضح ذلك من خلال القيمة العلمية للأحاديث التي أوردها في ثنايا كتابه[3]. كما أنّ كتب الحديث المتخصصة في علم الحديث ورواته،[4] لم لم تذكر قط أو تشير لصلة الغبريني بعلم الحديث. وما يؤكد ذلك أيضا قول تلميذه أبو عبد الله الوادي آشي عنه: " ..ولم يكن لَهُ علو فِي الحَدِيث.."[5] أما صفة المؤرخ فلم ترد إلاّ عند صاحبا الأعلام الزركلي[6] ومحقق الطبعة الثانية من الدراية.[7]

أما كلمة المؤرخ التي وصفه بها صاحبا الأعلام ومحقق الطبعة الثانية من الدراية، فهي بعد اطلاعهما على مؤلفه عنوان الدراية، مع أنَّ كتابه تخصص في تراجم علماء

---

[1] النباهي ، المصدر السابق، ص132.

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص 252.

[3] أغلب الأحاديث التي استشهد بها لا ترقى الى درجة الحديث الصحيح، أنظر ذلك عند تخريج أحاديث المؤلف.

[4] لم أعثر على اسم الغبريني في كتب الحديث والرجال كسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرها من كتب الحديث.

[5] أبو عبد الله الوادي آشي، المصدر السابق، ج1، ص 43.

[6] الزر كلي، المرجع السابق، ج7 ، ص35.

[7] الغبريني، المصدر السابق، ص5.

عصره، إلا أنه حمل في طياته حوادث تاريخية تنوعت مجالاتها سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية بالدرجة الأولى، وما يؤكد هذه الأخيرة ما جاء في وصف عنوان الدراية من مؤلف الفهارس بقوله:" له برنامج ختم به كتابه عنوان الدراية في عيون من كان من العلماء في المائة السابعة ببجاية في نحو كراسة، وهو جمع لأسانيد غالب الكتب المتداولة في عصره ومصره".[1]

أما صفة الأديب التي أطلقها المكناسي فهي صفة بعيدة كل البعد عنه، فهو لم يرد اسمه عند الأدباء سواء كان نثرا أو نظما، مع أنه لم يصل ما نحكم به على أدبه وأسلوبه الفني، غير ما ورد في كتابه الدراية من نظمه الذي يمكن أن ينظمه أيا كان من عاش في عصره، الذي يعبر عن لغة عصره بأسلوب سهل قلّ فيه التكلف في الألفاظ واستخدام الخيال والتصوير وخصائص الكتابة الأدبية.

ومنه الغبريني هو فقيه وقاض ومؤرخ فهو كل هذه الألقاب مجتمعة، وهي صفات تعبر عن مدى سعة واطلاع الرجل، وكان منارة عصره في هذه العلوم. وتجدر الإشارة إلى أننا لم نعثر على العلماء أو الكتاب الذين انتقدوا الغبريني، ماعدا ما جاء عند محقق الطبعة الثانية من الدراية الأستاذ عادل نويهض انتقده في تأثره بشيوخه الصوفية.

وبعد عرض موجز لحياة الغبريني بمختلف جوانبها، فمن الملاحظ أن الغبريني لم تختلف سيرة حياته عن غيره من العلماء سواء من عصره أو في غير عصره، فهو من أسرة لها وزن تأثير اجتماعي وسياسي وفي الجانب العلمي في مدينة بجاية وتواصل هذا الدور حتى الى قرون تلت عصر الغبريني، كذلك كغيره من العلماء سلك واجتاز طريق العلم تدريجيا بداية من مرحلة التكوين والنشأة كحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية وعلومها حتى مرحلة التدريس وممارسة القضاء وتأليف الكتب، تتلمذ على شيوخ عدة في شتى العلوم التي تلقاها عنهم وأخذ عنه تلاميذ كثير ولكن لم يصل من أسمائهم إلا القليل.

وفي نهاية هذا الفصل يُمكن لنا القول في جملة واحدة أنّ مدينة بجاية في القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي كانت تمثل بيئة ملائمة من الناحية السياسية والاقتصادية والإجتماعية وخاصة في الجانب المذهبي – له علاقة مباشرة بالإنتاج الفكري

[1] الكتاني عبد الحي، المرجع السابق، ج2، ص883.

والعلمي– للحياة العلمية ونشاطها، وأنَّ حياة الغبريني ونشأته وتكوينه تعتبر مرآةً عاكسة لهذا العصر بمختلف جوانبه، فهل ينطبق هذا على كتابه؟ فهل انعكس عصرُ الغبريني وتكوينه في كتابه عنوان الدراية؟ سنجد إجابة على هذا التساؤلات في الفصل التالي.

الفصل الثاني

منهج الكتابة التاريخية عند أبي العباس الغبريني:

أولا: التعريف بكتابه عنوان الدراية

ثانيا: أسلوبه الأدبي في الكتابة التاريخية

ثالثا: تمهيد حول كتابة التراجم في المغرب الإسلامي

رابعا: منهجه في عرض التراجم

خامسا: منهجه في عرض الحوادث وتحديد الأماكن

سادسا: منهجه في المقارنة

اشتمل هذا الفصل على التعريف بكتاب الغبريني المُسَمَّى "عُنْوان الدِّراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السَّابعة ببجاية"، ثُمَّ تَطرقتُ إلى أسلوبهِ في الكتابةِ وتحدثت عن حال كتابة التراجم في المغرب الإسلامي قبل عصره، ثم ذكرت أسس انتقاء التراجم عنده وأيضا منهجه في عرض التراجم وفي حوادث وأخبار ذَكَرَهَا في ثَنَايا كتابه، وكذلك منهجه في تحديد الأماكن، وكيفية استخدامه منهج المقارنة وذكرت في هذا الفصل أيضا منهجه في التوثيق وكيفية الإشارة إلى المصادر. وقد عرضتها كالتالي:

أولا- التعريف بكتاب عنوان الدراية:

واشتمل المبحثُ الخاص بالتعريف بكتاب الغبريني عناصر عدّة منها: وصف الكتاب وموضوعه وسبب تأليفه وتاريخ تدوينه وتحقيق عنوان الكتاب وعدد نسخه وطبعاته المنشورة ووصفها والتعليق عليها.

1- وصف الكتاب:

يُعتبر كتاب أبي العباس الغبريني من أَجَلِّ ما أُلِّف في تراجم عُلماء المغرب الأوسط في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي، وكذلك لكونه من الكتب التي سجلت لنا مظاهر الحياة العلمية ببجاية بشكل خاص والمغرب الأوسط بشكل عام، فقد كان الغبريني معاصرا للفترة الزمنية ومشاركا لكثير من حوادث كتابه، وشاهد عيان لأغلب التراجم التي ذكرها في كتابه، وهذا ما جعله ينفرد عن معاصريه من مؤرخي المغرب الأوسط كابن قنفذ القسنطيني في كِتَابَيه والونشريسي في وفياته، حيث اقتصرا على ذكر سنين الوفيات وأخبار شبه منعدمة.

فلقد بيّن الغبريني في كتابه سبب التأليف في هذا النوع من الكتابة، ألا وهي كتابة تراجم الرجال، لمعرفة أحوالهم وصفاتهم وللتثبت من أخبارهم التي رويت عنهم بقوله: "إنه

لما كان طلب العلم اللّدني[1] فَرْضًا على الكفاية حِينًا ومُتَعيّنًا في الحال، ولم يكن بُد في تحصيله من تلقّيه عن الرجال، وكان التلقي أما بمباشرة أو عن سند ذي اتصال، وكان المباشر تكفي معرفتُه، والمُسْند عنه لا بدّ أن تعرف صفته، فلذلك اهتم العلماء بذكر الرجال، واستعملوا في تمييز أحوالهم الفكر والبال ليوضحوا سبيل التحمل، ويبينوا وسيلة التوصل"[2]

والغبريني كذلك خصّ كتابه للتعريف بتراجم الرجال دون النساء، ويظهر ذلك من تحدُّثه عن ترجمة لإحدى النساء، عندما تحدث عن ابنة أبي الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، كنحو قوله:" وكانت له رحمه الله ابنة تُسمّى عائشة كانت أديبة أريبة، فصيحة لبيبة، وكان لها خطٌ حسن،..."[3]، حيث لم يُرِد أخباراً كثيرة عنها، اقتصر على الاستشهاد فقط، وذلك بقوله: "ولها رحمها الله ظرائف أخبار، ومستحسنات أشعار، لكن هذا الموضع لم يقصد به هذا المعنى فيقع منه الإكثار، وإنما المقصود منه صورة التعريف بالرجال، وذكر بعض شواهد الحال".[4]

أما الهدف من تأليفه فهو هدف ديني ونستشف ذلك من قوله: "وأن يكون القصد في هذا إنّما هو ما يتعلق بالأمور الدينية، ويوصل إلى سبيل المرضية، والله تعالى متولي صلاح النِّية والطِّوية، وذلك بحيث يعلم طالب العلم الأئمة الذين بهم يقتدي، وبسلوك سننهم السوي يهتدي"[5]

---

[1] العلم اللدني: يقصد به عند الصوفية العلم الذي يلقيه الله عز وجل في قلوب المتصوفة دون واسطة أو تعلم وهذه من أعلى درجات التصوف، ولا تكون هذه المرتبة حسب زعمهم إلا للأنبياء والأولياء من الصوفية، وهذا خطأ فالعلم لا يكون إلا بالتعلم، أنظر: رفيق العجم، موسوعات مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط:1، 1999م، ص673.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص19.

[3] الغبريني، المصدر نفسه، ص47.

[4] الغبريني، المصدر نفسه، ص47–48.

[5] الغبريني، المصدر نفسه، ص20.

ولقد عاب الغبريني على غيره الذين كان قصدهم غير هذا، بقوله:" وإنّما ينبغي أنْ يَعرض في هذا على سبيل المُكاثرة، وطريق المُباهلة والمفاخرة، كما قصده بعض من قَصُرتْ معرفته، ولم تَرْقَ إلى درجة أولي النُّهي درجته".[1]

2-تاريخ تدوين عنوان الدراية:

يبدو أنّ الغبريني شرع في تدوين كتابه في أواخر القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي وما يؤكد ذلك قوله: "وإنّي قد رأيتُ أنْ أذكر في هذا التقيِيد من عُرف من العلماء "ببجاية" في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات"[2] وألّفه على دفعةٍ واحدةٍ، وما يؤكد ذلك طريقة ترتيبه للتراجم حيث رتّبها حسب درجاتِهم أو طبقاتِهم، حيث بدأ بالترجمة لشيوخ شيوخِه ثم شيوخه ثمّ أصحابه ومعاصريه، أمّا الانتهاء من كتابته، فمن المؤكد نهاية القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، خاصّة أنّ الغبريني ترجم لشيخه أبا عبد الله ابن صالح الكِناني، بقوله:"وهو إلى هذا الوقت وهو عام التسعة والتسعين وستمائة إمام مبارك أبقاه الله ووقاه".[3]

3-عنوان الكتاب:

لا يَحْتَاجُ عنوان كتاب الغبريني الدِّراية نِسبتهُ إلى مُؤَلِّفِه الغبريني لأنّه وَرَدَ في العديد من المصادر نسبة إليه، ولكن هذا العنوان وَرَدَ بِصِيَغٍ مُختلفة، حيثُ وَرَدَ عند صاحب شجرة النُّور الزَّكية "أَلّف عُنْوان الرِّواية في علماء بجاية"[4] أما عند مؤلف فهرس الفهارس "عنوان الدِّراية في عُيُون من كان من العلماء في المائة السابعة ببجاية"[5] أما عند لسان الدين ابن

---

[1] الغبريني، المصدر السابق ، ص19.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص20.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص82.

[4] محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص215.

[5] الكتاني عبدالحي، المرجع السابق، ص10–11.

الخطيب جاء عُنوان الدَّراية كما يلي: "وعُنوان الدَّراية في ذِكْرِ من كان في الماية السابعة ببجاية، لأبي العباس بن الغبريني".[1]

أمّا في نسخة الكتاب التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة-بتحقيق عادل نويهض- فقد جاء العنوان في مقدمة الكتاب على لسان مؤلفه بقوله: وسمّيت هذا المجموع (عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)[2] وتبعه في ذلك مؤلفي كتب التراجم والمعاجم الحديثة والمعاصرة.[3]

4-نسخ الكتاب:

قد أورد ابن شنب في مقدمة كتابه النسخ التي اعتمد عليها وهي أربع نسخ وذكرها بقوله:"وقد اعتمدنا في التصحيح على أربع نسخ (الأولى) للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظة تحت عدد 1734 (والثانية) للفقيه النبيه سيدي عبد الرزاق الأشرف قاضي (باتنة) الحالي (والثالثة) للعالم العلامة سيدي علي بن الحاج موسى، الإمام بمسجد ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر (والرابعة) للفقيه النجيب والوجيه الأديب الشيخ سيدي أبي القاسم محمد الحفناوي المدرس بالمسجد الأعظم بالجزائر"[4]

5-طبعات الكتاب:

كتاب الدراية تمّ نشره ثلاث مرات:

1-وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة في مدينة الجزائر سنة 1910م بعناية الأستاذ محمد بن أبي شنب. فجاء الكتاب الأصلي الذي يحتوي على 220 صفحة بعناية ابن شنب، حيث قام ابن شنب، بالمقارنة بين النسخ الأربعة التي كانت بحوزته، وإخراج

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب ، المصدر السابق، ج1، ص6.

[2] الغبريني، المصدر السابق ، ص20.

[3] جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص 222-223. الزر كلي، المرجع السابق، ج1، ص90.

[4] الغبريني،المصدر السابق، ص16.

الكتاب في 220 صفحة، دون تعليق على ما جاء فيه، والإشارة في الهامش أحيانا إلى الاختلاف البسيط بين مختلف النسخ.[1]

2- عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلّق عليه، رابح بونار، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر،1970 م، يقع في حوالي 362 صفحة، واستهل تحقيق الكتاب بالتعريف بمدينة بجاية منذ نشأتها حتّى عصر المؤلف، وأشار إلى طبيعة الحياة السياسية والثقافية في المدينة، وقام بالتعريف بالمؤلف وحياته وأسرته ومناصبه التدريسية، ثمّ تكلم باختصار عن الكتاب ومنهج الغبريني، وسبب تأليفه والتراجم التي ذكرها في كتابه.[2]

3-طبعة ذخائر التراث العربي،حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، 1979م. و"دار الآفاق الجديدة" التي قدمت للعالمين، العربي والإسلامي، أنفس ما في تراثنا من مؤلفات، يسرها اليوم، أن تقدم هذا الكتاب في طبعة جديدة، أشرف على تحقيقها والتعليق على أصولها تعليقات وافية، الأستاذ عادل نويهض.[3] وقد اعتمدت على هذه الطبعة بتحقيق عادل نويهض في دراستي هذه لمنهج التدوين التاريخي عند أبي العباس الغبريني في كتابه "عنوان الدراية فيمن عاش من العلماء في المائة السابعة ببجاية".

---

[1] لم أطلع على نسخة الكتاب الأصلية بعناية ابن شنب، وإنما من خلال وصفها من طرف عادل نويهض محقق النشر الثالث للكتاب.

[2] الغبريني، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر،1970م.

[3] الغبريني، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ، 1979م.

ومنه فإن موضوع كتاب الغبريني يدخل في فن التراجم، فحافظ الغبريني فيه على خصائص الكتابة عند المؤلفين في هذا الفن، كترجمته لرجال قرنه وذكر سبب تأليفه لخدمة الدين الإسلامي، وتاريخ بداية تدوينه والانتهاء منه ، ورغم التضارب في عنوان الكتاب عند أصحاب المعاجم إلا أنها اتفقت كلها حول عنوان الدراية ونسبته إليه دون غيره، ومن خلال اطلاعنا على مختلف طبعات الكتاب المحققة وجدنا أفضلها الطبعة الأخيرة التي حققها عادل نويهض لأنه اعتمد فيها كل معايير التحقيق الحديثة، لذا كان اعتمادنا عليها في هذه الدراسة.

ثانيا-أسلوبه الأدبي في الكتابة التاريخية:

كان لِاطِّلاع الغبريني على الكثير من علوم ومعارف عصره، وخاصّة العربية وأدبها ونحوها وبلاغتها، وإنشاده للشعر وروايته له واطلاعه على نماذج أدبية وأساليب متعددة، أثّر كل هذا في أسلوبه الأدبي في الكتابة التاريخية، حيث بدت عباراته واضحة سهلة الفهم، دون تكلّف لفظي، فصيحةً ويمكن إيجاز خصائص الكتابة عند الغبريني ومنها:

1-فصاحة اللفظ:

كنحو قوله: "حسن الشارة والصفة له الهمة السنية، والأخلاق المرضية"[1] وقوله أيضا: "وكانت له رحمه الله ابنة تسمى عائشة كانت أديبة أريبة فصيحة لبيبة وكان لها خط حسن".[2] والكتاب حفل بالكثير من الشواهد التي تدل على ذلك.

2-السجع والتكلف في اللفظ:

استخدم الغبريني السجع والمحسّنات البديعية كثيرا، ولم يقتصر على ذلك في مقدمة كتابه على غرار المؤرخين القدامى كابن عذارى في البيان المغرب[3] بل يكاد يكون ذلك في مجمل كتابه، ولكن الملاحظ أنّ سجعه والمحسّنات البديعية لم يكن فيها متكلفا، بل كانت ألفاظه بسيطة سهلة متداولة كأسلوبه في الكتابة بشكل عام، ومن ذلك قوله:" حسُن الشارة والصفة له الهمة السّنية والأخلاق المرضية"[4] "وكان مسدد النظر حسن الفكر"[5] "وكان سريع البديهة بالجواب، يطبق المفصل بموافقة الصواب"[6] "هذه كلمات طيبات ونبذ متخيرات"[7]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص53.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص47.

[3] أنظر مثلا مقدمة كتاب: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ، تح: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 3، 1983م، ص ص5-6.

[4] الغبريني،المصدر السابق، ص53.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص73.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص94.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص32.

وأيضا قوله:"كانت أديبةً أريبةً، فصيحةً لبيبةً"[1] والكتاب يزخر بالكثير من الشواهد اقتصرنا على هذا القليل للاختصار.

3-تخيّر الأساليب البلاغية لعلو الأسلوب والمحافظة على بلاغته:

كنحو قوله على سبيل الطباق: "وكان مجلسه القاضَوِي معتدلا لا هو بالمُوَسع ولا هو بالمضيّق"[2] ، " فتارة قائم وتارة قاعد"[3] ، " نَبُلَ قدْرُها، واشتهر أمرها، فنزلت الخيْل معدة ولما وصلت له مستعدة "[4] " فترك بلباله، وزال عن لسانه عقاله"[5] ، " مخفيا لأمره، مستترا بصورة بصورة مدة دهره".[6] ومثال ذلك أيضا على سبيل المقابلة : " فجزاه الله عن نيته، وعامله بالحسنى عن طويته،حسن العبارة مليح الإشارة"[7] ، والجناس الناقص أيضا في قوله:" قصيدة قصيدة حسن المعنى، قدسية المبنى"[8]، "فصيح اللسان والعبارة، حسن الإشارة".[9]

4-توارد الكثير من اصطلاحات وتعبيرات العصر في سياق عباراته:

أدرج الغبريني العديد من المصطلحات التي ذكرت في عصره وتداولها الناس، ومنها ما يلي: "وما عرف من **رسمه**"[10]، "وهو بقية **اللمتونيين**" [11] ، " فأصبحت في المرسى **أجفان** غزوانية للنصارى" ،[12] السبي[13]،**الموحدين**[1] قبره معمر مشهود، وحوض مورود والدعاء عند

[1] الغبريني،المصدر السابق،ص47.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص111.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص112.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص46.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص47.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص49.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص58.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص60.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص63.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص51.
[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص46.
[12] الغبريني،المصدر نفسه، ص101.
[13] الغبريني،المصدر نفسه، ص46.

مستجاب".[2] ، " فكشف له **الميورقي** عن وجهه"[3] ، " **كرامات**" [4] **حومة**[5] من أهل اشبيلية **أعادها الله دار إسلام**"[6] ، " برّد الله ضريحه"[7]، "حرسها الله"[8] ، " أنا من **موحدي** افريقية"[9] واستوطن بجاية[10] ، "وبلغ الحال من كثرة **سَبْيِ** الآدميين أن يُباع **بيضاوان** من **الرّوم بسوداء** من **الوخْش**"[11] ، "إذا عرض عليه **الرّقيق** للشراء".[12]

ومن الملاحظ على هذه المصطلحات أنّها تتناسب مع طبيعة الحياة بمختلف جوانبها في العصر الذي عاش فيه الغبريني، كما رأينا ذلك بوضوح في الفصل الأول، ومنه فالغبريني عكس لنا لغة عصره من خلال أسلوب كتابته.

5-تضمين العبارات بعض العبارات البليغة شائعة الاستعمال لدى بلغاء الكتاب:

كنحو قوله: " كان ابن مقلة زمانه"[13] ، "وكانت بضاعته فيه مزجاة"[14] ، " وواسطة نظام أهل زمانه وعصره" ، " وكان من أملح الناس نادرة " [15] ، "أحد الأفاضل الذين قلّ أنْ يسمح الزمان بمثلهم" [16]، ولكن هذه المصطلحات قليلة في الكتاب.

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص46.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص28.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص34.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص138.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص27.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص202.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص317.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص60.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص31.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص197.
[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص45-46.
[12] الغبريني،المصدر نفسه، ص110.
[13] الغبريني،المصدر نفسه، ص57.
[14] الغبريني،المصدر نفسه، ص77.
[15] الغبريني،المصدر نفسه، ص57.
[16] الغبريني،المصدر نفسه، ص133.

6-التأثر بالقرآن الكريم والاقتباس منه:

أورد الغبريني العديد من الألفاظ التي اقتبسها من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله: " ولا جرم "[1] وقوله: "وإنّه لا يضيع أجر من أحسن عملا"[2] وقوله: "وكان لا يخاف في الله لومة لائم"[3] وقوله: "إنّ أريد الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"[4] ، وقوله: "وإنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"[5] ، وقوله: "ممن اختصه الله بخالصة ذكر الدار"[6]. وقوله: " فسبحان من لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"[7]. وقوله أيضا: "كسراب بقيعة".[8]

7-التأثر بالحديث و اصطلاحات المحدّثين والفقهاء والاقتباس منها:

كذلك تأثر بالسُّنة النبوية واقتبس من أحاديثها، كنحو قوله: "وحين الموت انقطع العمل"[9]، وقوله أيضا: " فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه".[10]

واستخدم الغبريني كذلك العديد من العبارات والمصطلحات التي تدل على تأثره بالمحدِّثين-ولا عجب في ذلك خاصة كتابه الدراية جاء في التعريف بالرجال وهو علم نشأ

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص123، ويقابلها: سورة النحل، الآية 62.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص128، ويقابلها: سورة الكهف، الآية 30.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص38، ويقابلها: سورة المائدة، الآية 54.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص211، ويقابلها: سورة هود، الآية 80.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص26، ويقابلها: سورة آل عمران، الآية 73.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص178، ويقابلها: سورة ص، الآية 46.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص196، ويقابلها: سورة الكهف، الآية 49.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص243، ويقابلها: سورة النور، الآية 39.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص128، ويقابله ما رواه مسلم رقم: 2682 وصححه الألباني، أنظر: مسلم ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج4، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ص2065. الألباني ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج7، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1، 2002م، ص1712.

[10] الغبريني،المصدر السابق، ص128، ويقابله ما رواه مسلم رقم:2685 وصححه الألباني، أنظر: مسلم، المصدر السابق، ج4، ص2066، الألباني، المصدر السابق، ج7، ص1512.

عند المحدِّثين– ومن ذلك قوله: "**قويًا** في علم التصريف"[1] ، وفي موضع آخر: "**متواترة**"[2] ، ، ومنه: "إلا من **المباح**"[3] وأيضا: "وهذا **طريق حسن**"[4] ، كقوله: "وهذا من ورعه ووقوفه مع مع **ظاهر الشرع**"[5] ، كنحو قوله: "وهذا **السند عالٍ**"[6] وعبارة: "وقد **رَوَى عنه** الأندلسيون ببجاية، **لقصور** سندهم عن هذا السند"[7] وبقوله: "سند **قاصر** عن هذا السند، وهذا السند **أعلى أعلى** منه، وهو من أعلى الأسانيد ومن أحسن ما تلقّى"[8] ، وقوله: "مما لا عيْنٌ رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر"[9]، ومثله:" شَكَّ الرّاوي في ذلك"[1]، ومن ذلك " له رواية عالية عالية متسعة"[2] وأيضا قوله: "ومعرفته بوجوه الحلال والحرام".[3]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص67.

[2] الغبريني،المصدر نفسه،ص125، التواتر في الحديث لغة: هو اسم فاعل مشتق من التواتر أي التتابع، تقول تواتر المطر أي تتابع نزوله. اصطلاحا: ما رواه عدد كثير تحيل العادة على تواطؤهم على الكذب. للتفصيل أنظر: محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 9، 1996م، ص19.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص127، المباح: وهو في اللغة مشتق من الإباحة، وهي الإظهار، يقال: باح بسره، إذا: أظهره، وقيل: من باحة الدار وهي ساحتها، وفيه معنى السعة وانتفاء العائق، لأن الساحة تتسع للتصرف فيها بالسعي والحركة بحسبها، والعائق من ذلك منتف فيها. أما في الشرع فهو: «ما اقتضى خطاب الشرع التسوية بين فعله وتركه من غير مدح يترتب عليه ولا ذم» أي: من غير مدح يترتب على فعله ولا ذم على تركه، وهو ظاهر. أنظر: الطوفي نجم الدين ، الصرصري، أبو الربيع، سليمان بن عبد القوي بن الكريم، شرح مختصر الروضة، ج1، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط : 1 ، 1987 م، ص386.

[4] الغبريني،المصدر السابق، ص128، الحسن هو أحد درجات صحة الحديث، لغة: هو صفة مشبهة من الحسن بمعنى الجمال، اصطلاحا: هو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة، للتفصيل أنظر: محمود الطحان، المرجع السابق، ص45–46.

[5] الغبريني، المصدر نفسه، ص38.

[6] السند العال في الحديث لغة: العالي اسم فاعل من العلو ضد النزول، اصطلاحا: هو الذي قل عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أكثر. للتفصيل أنظر: محمود الطحان، المرجع السابق، ص181.

[7] الغبريني،المصدر السابق، ص139.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص141.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص144، رواه البخاري تحت رقم:7498 وصححه الألباني، أنظر: البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي،الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ج9، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: 1، 1422هـ، ص144. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته،ج2، المكتب الإسلامي، ص794.

إنّ تأثر الغبريني بمصدري التشريع الإسلامي القرآن الكريم والسُّنة النَّبوية ناتج عن تكوينه الديني فهو فقيه قبل أنْ يكون مؤرخًا أو من كُتَّاب التراجم.

8- تضمين الكتاب الكثير من أبيات الشعر من إنشاده أو رواية عن غيره:

استخدم الغبريني الشواهد الشعرية لتعبير أو وصف حالة، كنحو قوله :

وَمَلِيحَةٌ شَهِدَتْ لَهَا أَعْدَاؤُهَا والحُسْنُ مَا شَهِدَتْ لَهُ الأَعْدَاءُ[4]

وفي قوله أيضا لشعر استشْهَدَ به:

كُتُبِي لِأَهْلِ العِلْمِ مَبْذُولَةٌ يَدِي مِثْلَ أَيْدِيهِمْ فِيهَا
أَعَارَنَا أشْيَاخُنَا كُتُبَهُمْ وَسُنَّةُ الأَشْيَاخِ نَمْضِيهَا[5]

واستشهد أيضا في كتابه، بقوله: " ولكن كما قال أبو العلاء المعري[6]:
تَكَلَّمَ بِالقَولِ المُضَلَّلُ حَاسِدٌ ... وَكُلُ كَلاَمِ الحَاسِدِينَ هُرَاءُ"[7]

إنّ استشهاد الغبريني بالشواهد الشعرية نَدُرَ في كتابه، وربما يعود ذلك إلى طبيعة موضوع كتابه هو تراجم للتعريف بالعلماء وأحوالهم وليس لمعالجة ودراسة إنتاجهم وأشعارهم. كما أنّ كتابه حَفَلَ بالكثير من القصائد والأبيات الشِّعرية لمَنْ ترجم لهم، فكمية وقيمة

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص155.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص204.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص251.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص33. والرواية المشهورة: ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص70.

[6] أبو العلاء المعري: (ت 449 هـ / 1057 م) أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر، ورسالة الغفران من أشهر كتبه،للتفصيل أنظر: الزركلي، ج 1، المرجع السابق، ص157.

[7] الغبريني،المصدر السابق، ص312

الشواهد الشِّعرية[1] التي ذكرها في كتابه تدل على سِعَةِ اطِّلاعه على الشعر والأدب خاصة، بل كل ما ذكره هو على سبيل الاستشهاد فقط، كما في قوله:"ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحد منهما ما يستطرف معناه ويروق محياه".[2]

9-استعمال الاختصار في التراجم:

استخدم الغبريني عبارات تدل على سلوكه منهج الاختصار والإيجاز في كتابه والاقتصار على ذكر شواهد تتعلق بأحوالهم وحياتهم وتثبت القيمة العلمية لأصحاب التراجم، كقوله: "ولكن ليس المقصود من هذا التقيِّيد الإسهاب، وإنَّما هو الإشارة إلى الباب"[3]، وفي قوله أيضا:" وليس القصد في هذا الأُنْمُوذَج الاستكثار من كُتُبِ الكُتَّاب وشِعْرِ الشُّعَراء وإنَّما القصد الإيذان والإعلام بما يستدل به على أنَّ المرءِ من العلماء وفي إعداد الفضلاء".[4]

أمّا سبب الاختصار فهو مخافة التطويل الذي يؤدي إلى الملل، ومن العبارات التي تدل على اختصاره، ما جاء في قوله: "ولولا الإطالة لذكرت من كتابته الأدبية والشرعية ومن ظرائف أخباره وملح آثاره مما رأيت وشاهدت، ما تصغي له الآذان ويسعد به الفؤاد والجنان"[5]

والجنان"[5]

وأخيرا يُذّكِرُ القَارِئَ في نهاية الشَّواهد أو أخبار المترجم لهم بأنَّ نقْله كان مختصرًا، مثْل ما قاله: "ولولا الإطالة لألحقت كل كلمةٍ منها بعالمها، وبيّنت وجه ارتباطها بما هو من مراسلها، وفي حفظها إنْ شاء الله والعمل بها ما يرْقي إلى منازل الأبرار، ويوصل إلى عالم

---

[1] تحتاج الشواهد الشعرية –على كثرتها– التي ذكرها الغبريني في كتابه إلى دراسة من طرف الباحثين المتخصصين لإبراز قيمتها الفنية والأدبية.

[2]الغبريني،المصدر السابق، ص72.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص217.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص351.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص59.

المقرّبين الأخيار"[1] "ليس هو المقصد في هذا الإيراد وإلا لطال الكلام، واتسع النظام"[2]، وفي قوله أيضا "هذه كلمات طيبات ونبذ متخيّرات من كلامه "[3]، وفي موضع آخر أيضا: "ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحد منهما ما يستطرف معناه ويروق محياه".[4]

على الرغم من أنَّ أسلوب الاختصار في إيراد الأخبار جيّد فيما تعلق بأخبار وصِفات وأحوال المترجم لهم، إلا أنّ الغبريني كان اختصاره في مواضع يُطْلَبُ فيها الإسهاب والتوسع فيها أمر ضروري وهَامْ للحياة العلمية، كإعراضه في الكثير من المواضع عن إيراد الشواهد الأدبية والشعرية لعلماء عصره، فَيَا لَيْتَهُ أسهب وأكثر في ذلك وحَفِظَ لنا أعمالهم وإنتاجهم الفكري والأدبي أَوْلَى وأَفْضَلْ من أحوالهم وصفاتهم لأنَّ هذه الغاية التي يَنْشُدُهَا كل طالبٍ للعلم هي تَتَبع إنتاجهم وإرثهم العلمي والأدبي وليس أحوالهم وصفاتهم فقط.

10–التدوين التأريخي بالحروف:

اعتمد الغبريني في كتابه على تدوين الأرقام بالحروف لا بالرموز، ونورد هذا المثال للتدليل على ذلك –لأن التأريخ في الكتاب كله تم بالحروف– كنحو قوله: "وتوفي أبو العباس أحمد بن خضر ببجاية يوم السبت الموفى عشرين لذي حجة عام أربع وسبعين وستمائة"[5]

ويورد عبارات تشير إلى عدم تأكده من التأريخ بالضبط فيوردها بالتقريب فقط: "لزمت عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام".[6]

وفي مواضع أخرى يورد التأريخ مرتبطًا بحدثٍ هام، بل ويقوم بشرح طبيعة الحدث ثم يُتْبِعُهُ بالتأريخ للحدث بالحروف، كما في قوله: "ولما كان في عام الأَرْكَشْ احْتَزَمَ في يوم من

---

[1] الغبريني،المصدر نفسه، ص30.
[2] الغبريني،المصدر السابق، ص360.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص32.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص72.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص91.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص68.

الأيام فأُرِّخَ ذلك الوقت من اليوم، فكان هُوَ اليوم الذي هُزِم فيه النَّصَارَى في عام الأركش[1] وهو يوم الأربعاء التاسع لشعبان الحرام عام واحد وتسعين وخمسمائة".[2]

وفي موضع أَرَّخَ بالسلطة القائمة عَصْرئذٍ، كنحو قوله:"وكان ذلك في مدة ابن غانية المعروف بالمَيُورْقِي اللمْتُوني"[3]، أو يُؤَرِّخ الحدث بمعركةٍ شهيرةٍ، كقوله: "لما كانت وقعة بني مرين بطنجة،[4] عرض عليه أهلها أنْ يقْدِم وأنْ يُبايعوه"[5]، أو بحدثٍ هام ذاع أَمْرُهُ واشتهر في في وقته، كقوله:"وذكر لي، إنّه لما كان الصُّلْحُ[6] الواقع بين المسلمين والنصارى عام نُزُول الفرنسي على تونس، كتب رَسْم شَهِدَ فيه مشائخ الفقهاء أنَّ الصُلْح المذكور صَلَاح وسَدَادْ في حق المسلمين". [7] ومن ذلك قوله:" إنّه عَرَضَ عليه في مُدَّة الأمير أبي يحيى".[8]

لقد التزم الغبريني التأريخ بالسنوات وبالحروف في مولدِ ووفاةِ المترجم لهم كما رأينا ذلك سابقا، وحتّى في التأريخ للأحداث والوقائع التاريخية التي ذكرها في كتابه.

11-الإفصاح عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ:

عَبَّر الغبريني عن رأيه وأوضَحَ انفعالاته نَحْوَ تراجم كتابه، سواء ما تعلّق بحالتهم الصّحية، كنحو قوله:" ودخلت عليه رحمه الله في مرضه الذي تُوفِيَ فيه فَأَلِمْتُ لألَمِهِ وذرفت

---

[1] الأركش: يقصد بها معركة الأرك بين الموحدين بقيادة أبو يوسف المنصور و ألفونسو الثامن ملك قشتالة سنة 591هـ /1195م، والأرك حصن على بعد عشرين كيلومترا إلى الشمال الغربي من قلعة رباح، على أحد فروع نهر وادي آنه، وهي نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس في حينه. للتفصيل أنظر: دولة الموحدين، الصّلابي علي محمد ، دار البيارق للنشر، عمان، ص175.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص49-50.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص41-42.

[4] طَنْجَة: مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر، فيها آثار كثيرة للأول وقصور وأقباء، للتفصيل أنظر: عبد المنعم الحُمَيْرِى، المصدر السابق، ص395.

[5] الغبريني،المصدر السابق، ص117.

[6] يقصد به الصلح الشهير الذي جرى بين السلطان الحفصي المستنصر بتونس وملك الإفرنج سنة 669هـ/ 1270م وحضره الفقهاء فتولى عقده وكتابه القاضي ابن زيتون، للتفصيل أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص429.

[7] الغبريني،المصدر السابق ، ص100.

[8] الغبريني، المصدر نفسه، ص103.

عيْنَاي لما اعتراه من سقمه"،[1] أو عنْدَ اللِّقاء بل يُبالغ أحياناً في وصف شُعُوره وحَالَتِه، كقَوْلِهِ: "ولَمَّا وَقَعَ بَصَرِي عليه أدركني من الوقار له والخشية لله ما لم أكن أقدره، ودَمَعَتْ عَيْنَايْ، ووجَدَتْ نفسي نشاطًا وسروراً بلُقْيَاهْ"،[2] وبقوله أيضا: "وخرج عن خاطري"،[3] وفي موضع آخر يُبْدِي إعجابه، كما في هذا المثال: " فعَجِبْتُ من كلامه ذلك"،[4] فهذه الأمثلة كلها تدُّل على أنّ الغبريني ارتبطت أحاسيسه ومشاعره بتراجم كتابه، وحاول أنْ يَذْكُرَ أدق الأشياء عن تراجمه ولو كانت مشاعره وعواطفه الوجدانية نحوهم.

12-عبارات التَّرَحُم والتَّرَضِي عنْهُم:

أوردِ الغبريني كذلك عبارات الترحم والترضي عن تراجمه، وأَوْرَدَهَا بِصِيَغٍ مختلفة، ومن ذلك قوله: "رحمه الله ورضيَ عنه"[5]، وقوله أيضا في أغلب تراجمه "رحمه الله"،[6] بل وحتّى الدعاء لهم بعد وفاتهم، كما في المثال التالي: " برّد الله ضَرِيحَهُ"[7] أو حتّى أثرهم في حياة النّاس بعد موتهم، بقوله: "ظهرت عليهم بَرَكَتُه"[8] أو بعبارة أخرى كنحو قوله: "وأبقى بَرَكَتُه"[9] بَرَكَتُه"[9] وأيضا لُجُوء البعض إليهم تلبيةً لحاجتهم قائلا: "يلتمسون بَرَكَتُه".[10]

فكل هذه العبارات تدل على تَعَلُّق وإعجاب الغبريني بمشايخه وأقرانه ومعاصريه، وهذا كذلك يؤكد على طبيعة الحياة الدينية الصوفية التي كانت سائدة في عصره كما رأينا ذلك بوضوح في المبحث الخاص الحياة الدينية والمذهبية في هذا العصر.

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص61.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص99.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص100.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص101.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص29.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص34.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص104.
[8]الغبريني،المصدر نفسه، ص127.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص254.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص195.

رغم غلبة الأسلوب الأدبي والتكلف في اللفظ وتَخيُّر العبارات للحفاظ على نسقٍ فَنِّي واحد للكتاب، إلاّ أنّ أسلوب الكتابة عند الغبريني تنوَّعت أساليبه واستخدم فيه كل ما يحتاجه أي كاتب آخر، من اقتباس من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو من شعر أو استخدام عبارات بليغة شائعة عند الكتّاب والأدباء أو التعبير بلغة عصره وألفاظه وغيرها من الأساليب السابق ذكرها.

هذا فيما يخص الأسلوب الأدبي للغبريني في كتابه الذي اهتم فيه بموضوع التراجم، هذا ما يقودنا للبحث عن منهجه عند عرضه لتراجم كتابه، وقبل الحديث عن ذلك سنحاول القيام بعرض موجز لكتابة التراجم في المغرب الإسلامي قبل تأليف الغبريني لكتابه.

خَصَّصْتُ هذا المبحث للإشارة -بإيجاز- إلى طبيعة كتابة التراجم في المغرب الإسلامي في للعصر الذي عاش فيه الغبريني، بعرض أهم رُوَّادها وذِكْرِ أهم مؤلفاتهم في هذا الفن، ثمّ تحديد أُسُس انتقاء الترجمة عند الغبريني، وأيضا ذكر العناصر التي اهتم بها الغبريني للتعريف بهوية تراجمه، وأيضا العناصر الخاصة بنشأة وتكوين المترجم لهم في كتابه.

ثالثا- تمهيد حول كتابة التراجم في المغرب الإسلامي:

تُعْتَبَر كُتُب التراجم[1] جُزْءاً من المؤلفات التاريخية، وربّما كانت أقدم نماذج التعبير التاريخي وأثبتها، يدُلنا على ذلك ما عثر من نقوش ملكية غلب عليها الطابع الشخصي في مختلف مناطق الشرق الأدنى القديم،[2] ولكن رغم هذا السَّبْق إلاَّ أنَّ المسلمين انفردوا بمنهجهم بمنهجهم الأصيل في كتابة السِيَر والتراجم، فهيَ أُولَى خُطُواتهم في مِحْراب التاريخ حين بدؤوا التدوين التاريخي بكتابة السيرة النبوية ثمّ أوغلوا في هذا الميدان، فأرّخوا للأعلام، كما أرّخوا للمُدُن والأمْصار،[3] وقد يستمد مؤرخ التراجم والسيَر معلوماته ومواد تاريخه عن طريق السّماع والنَّقل الشَّفَهِي، فيَتَلَقَّى المؤرخ أخبارَ منْ يُتَرْجِمْ له سِيرته وحياته سامعاً عن هذا أو ناقلاً عن ذاك، وكما صَنَع لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة[4] ، ، وكما صنع أيضا المؤرخ المغربي ابن سعيد المغربي الأندلسي، أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي، له أيضاً كتاب الحماسة (633هـ/1236م)، وعبد الله ابن الآبار (ت658هـ/1260م) المعجم في أصحاب علي بن الصدفي، وأيضا كتاب التكملة

---

[1] التراجم: مفردها ترجمة: ترجمة فلان سيرته وحياته، أنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، دار الدعوة، ص83.

[2] محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د. ت، ص167.

[3] عبد العليم عبد الرحمن خضر، المسلمون وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د. ط، 1995م، ص218.

[4] عبد العليم عبد الرحمن خضر، المرجع نفسه، ص220.

لكتاب الصلة وكتابه الحُلة السَّيْراء، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد الغرناطي (ت685هـ/1286م)، وكتاب أبي العباس أحمد بن عبد الله القرشي الشريف الغرناطي (ت693هـ/1292م) وكتابه المُشْرِق في علماء المغرب والمشرق[1]، وأبي زيد عبد الرحمان بن عبد السلام الأسيدي الأنصاري القيرواني(ت699هـ/1300م) وكتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان.

من الملاحظ أنّ كتابة التراجم في المغرب الإسلامي التي سبقت كتاب أبي العباس الغبريني عنوان الدراية الغالب علي ظهورها كان في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، ومنه فالغبريني لم يكن له السبق في هذا النوع من الكتابة في التراجم، ولكن الملاحظ أيضا أنّ الغبريني كان له السَّبق في مغربنا الأوسط، ولكن ما يهمُنَا الآن هو منهج أبي العباس الغبريني في عرض تراجمه والأسس التي اختارها لعرض تراجمه.

[1] ذكره الغبريني في كتابه للتفصيل أنظر: الغبريني، المصدر السابق، ص347.

رابعا- منهجه في عرض التراجم:

وفي هذا المبحث سنوضِّح الأُسُس التي اعتمدها الغبريني في انتقاء تراجم كتابه، ثم نتطرق كيفية عرض تراجمه، وبعد استقرائنا لكتابه تبيَّن لنا أنّ مادة كتابه يمكن تقسيمها إلى قسمين، قسمٌ يتعلق بالتعريف بهوية المترجم له، وقسمٌ آخر يتعلق بنشأته وتكوين المترجم له.

1-أُسُس انتقاء التراجم عند الغبريني:

أشَارَ الغبريني في مقدمة كتابه أنَّ أُولَى خُطُوات الانتقاء في هذه التراجم المكان فكانت بجاية والزمان ففي القرن السابع هجري، بقوله: "وانّي قد رأيتُ أنْ أذْكُرَ في هذا التقييد من عُرِف من العلماء "ببجاية" في هذه المائة السابعة"[1]، وأضاف إليهم ثلاثة ممن عاشوا في آخر المائة السادسة لقُرْبِ عهدهم بهذه المائة، ولم يلتزم بهذا الشرط، لأنّه أضاف من لم يكن في بجاية وبرَّرَ ذلك، كقوله:" أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا، الصدفي الطرابلسي، وهذا الشيخ تعيَّن ذكْرُهُ وإنْ لم يوافق شرط الكتاب، لأنّه لم يكن ببجاية، لكنّي لقيته بحاضرة افريقية وانتفعت برؤيته وتبركت بمشاهدته، وهو من الفُضَلَاء الذين لا يسُوغُ الإخلال بذكرهم في المشيخة[2]......"[3]. وكذلك لم يلتزم بالحَيِّز الزماني، حيث ترجم لمن عاشوا في القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي، كترجمته لأبي تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردوي (ت584هـ).[4]

ولم يَذْكُرْ كُلُ العلماء بل اقتصر على من اشتهر منهم في العلم فقط، بقوله: "أذكر من اشتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته وعرفت مرتبته في العلم ومكانته"،[5] رغم هذا المعيار الذي وضعه شرطا لنفسه في هذا الكتاب لانتقاء تراجمه، إلاّ أنَّ معيارَ الشهرة هو معيار

---

[1] الغبريني،المصدر نفسه، ص20.

[2] المشيخة: الشيخ لغة: الذي استبانت فيه السن، وظهر عليه الشيب، ومن جمعها مشيخة ومشايخ، وفي اصطلاحات المحدثين أطلقوها على الكراريس التي يجمع فيها الإنسان شيوخه، للتفصيل أنظر: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفن كتابة التراجم، مكة المكرمة، ط: 1، 1421هـ، ص17.

[3] الغبريني،المصدر السابق، ص109.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص206.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص20.

نسبي، لأنَّ ما قد يراه الغبريني شهيراً[1] وعُرفت مكانته بالعلم، قد يراه غيره هملا وليس بعالم، خاصة أنّ التراجم تتفاوت طولا[2] وقصرا[3] بين مُترجم له وآخر، بل هناك حتى من ترجم لهم ليس لهم ذكر في كتب التراجم المعاصرة لهم، بل هو أقرّ في بعض الترجمات بأنه لم يجد لهم لا سنة مولد ولا وفاة، كما في هذا المثال بقوله: "لم يتصل بي من حديثه رضي الله عنه سوى ما ذكرته ولا أعلم له وقت ولادة ولا وفاة ولا نسبا سوى شهرة اسمه، وما عرف من رسمه، رحمه الله ورضي عنه".[4]

يبدو أنّ مصطلح العالم لدى الغبريني أوسع بكثير مما هو متعارف عليه، إذا ما اعتبرنا كل الذين أوردهم في كتابه علماء، إلا أنّ الأمر ليس كذلك دائما، لأنّ الغبريني ترجم في كتابه لمن ظهرت كرامته واشتهر ذكره بها وليس بعلمه، وهو أشار لذلك بقوله: "وظهرت جلالته"، بل وتأكد ذلك من خلال الثلاثة من المائة السادسة الذين أضافهم للتبرك بذكرهم، ولانتشار فخرهم كما لاحظنا ذلك في المثال السابق.

ولكن رغم الصبغة الدينية والمذهبية الغالبة على اهتمام الغبريني بتراجمه وهي التصوف، إلا أنّ هؤلاء الذين ترجم لهم في كتابه كانت لديهم صفات أخرى مميزة لهم اشتهروا بها فمنهم العلماء[5] والفقهاء[6] والمحدثين[7] والمدرسين[8] والقراء[9] والمتكلمين[10] وأصحاب

---

[1] وهناك من انفرد الغبريني بالترجمة لهم دون غيره من كتاب التراجم، أنظر: تراجم رقم: 99، 100، الغبريني،المصدر السابق.

[2] فهناك من ترجم لهم في صفحات عديدة تجاوزت العشر صفحات، أنظر: تراجم رقم: 01، 02، 03، 31. الغبريني،المصدر نفسه.

[3] فهناك من ترجم لهم في أسطر فقط، أنظر: تراجم رقم:101، الغبريني،المصدر نفسه.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص51.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص220 وما بعدها.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص252 وما بعدها.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص130 وما بعدها.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص265 وما بعدها.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص87 وما بعدها.

[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص110 وما بعدها.

وأصحاب المنطق[1] والكتاب[2] والقضاة[3] والخطباء [4]وأئمة المساجد[5] والمتعبدين[6] ومتوليّ عقود عقود النكاح[7] والأطباء [8]والأدباء[9] والشعراء.[10]

ويُمْكِنُ تَمْيِيز المنهج الذي استخدمه الغبريني في عرض تراجمه، حيث أنّه التزم بالخاصية المكانية والزمنية،[11] فالزمان القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، والمكان مدينة بجاية، وقليلٌ من الكُتُبِ التِّي جمعت بين الخاصِّيَة المكانية والزمنية، فلقد رَاعَى الغبريني في كتابه الانتماء الزماني والانتماء المكاني معاً في كتاب واحد،[12] أمَّا التصنيف حَسْبَ القرون،[13] فهذا التَّصنيف ليس بجديدٍ بل سبَقَه إليه غيره، [14] ولكن الكثير من كتاب التراجم اتبع والتزم بالخاصية الزمنية أي مدة زمنية محددة ولكنها غير مُقَيَّدة بمكان محددٍ ككتاب البَدْر السَّافر للمؤرخ المصري الإفودي (ت 718هـ/1318م) وكتاب علم الدين البرزالي (ت739 هـ/1338م) المُسَمَّى مُخْتَصر المائة السابعة، والحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1448م) في كتابه الدُّرر الكامِنَة في أعْيان المائة الثامِنة ثُمّ تلميذه السَّخاوي(ت902هـ/1497م) في كتابه الضَّوْء اللاَّمع في أعْيَان القرن التاسع، وكتب أيضا

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص144-145 وما بعدها.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص26 وما بعدها.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص34 وما بعدها.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص 41 وما بعدها.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص 63 وما بعدها.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص 174 وما بعدها.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص 63 وما بعدها.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص 73 وما بعدها.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص45 وما بعدها.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص45 وما بعدها.
[11] محمد فتحي عثمان، المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط: 2، 1992م، ص155–156.
[12] علوي بن عبد القادر السّقاف، خزانة الكتب(كتب التاريخ والتراجم)، مؤسسة الدرر السنية، ص424.
[13] علوي بن عبد القادر السّقاف، المرجع نفسه، ص425.
[14] ككتاب يتيمة الدهر للثعالبي (ت429 هـ/1038م)،حيث ترجم لأعلام الشعراء في القرن الرابع هجري، أنظر: حسين عبد الغني، التراجم والسير، ص47.

ككتاب الغزي(ت 1061 هـ/1651م) الكواكب السَّائرة في أعْيَان المائة العاشرة[1]، وأيضا كتاب الغبريني كَتَبَهُ لطبقة معيّنة تشترك في صفة واحدة غلبت على تراجمه وعلى عصره، ألاَ وهي التصوف، لهذا فكتاب الغبريني بهذه الخاصية فهو يندرج ضمن كتب الطبقات التي تهتم بطائفة معينة من الأعلام،[2] كطبقة الصوفية، وأقدم كتب طبقات الصوفية التي سبقت كتاب الغبريني: يرجع إلى محمد بن علي الحكيم التِّرمذي (ت 255 هـ/869م)، ثم ظهر كتاب طبقات النُسّاك لابن سعيد الأعرابي (ت 341 هـ/952م)، وأخبار الصُّوفية والزهّاد لمحمد بن داود النَّيْسابوري(ت 342هـ/953م)، وتاريخ الصوفية لأبي العباس النسوي (ت 396 هـ/1006م)، وطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ت 421 هـ/1030م)، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت 430هـ/1039م) والرسالة القشيْرية لأبي عبد الكريم القشيري، وصفوة الصفوة لابن الجوزي (ت597هـ/1201م).[3]

ومن خلال عرض الكُتُب والمصادر التي سبقت الغبريني في الاهتمام برجال التصوف وتسجيل حياتهم وأعمالهم، يلاحظ أنّ معظم مؤلفيها من المشرق الإسلامي، وكأنّ الغبريني أراد أنْ يكون له السَّبْق في هذا المجال في مغْربَنَا الأوسط وفي المغرب الإسلامي بشكل عام، ويرجع إلى تأخر ظهور التصوف نفسه في المغرب الإسلامي كما رأينا سابقا، لهذا تأخرت الكتابة فيه عن بلاد المشرق بلد المنشأ والظهور. هذا فيما يخص موضوع كتابه، وسنتحدث في المبحث المُوالي عن كيفية عرضه تراجم كتابه.

---

[1] محمد فتحي عثمان، المرجع السابق، ص155–156

[2] محمد فتحي عثمان، المرجع نفسه، ص151.

[3] محمد فتحي عثمان، المرجع نفسه، ص153.

1- منهجه في التعريف بهوية المترجم له:

سوف نتطرق في البداية إلى منهجه أو أهم العناصر التي اعتمدها الغبريني في التعريف بتراجمه من حيث الاسم والكنية والشهرة والنسبة والموطن والمولد والوفاة،

1-الكنية:[1]

وهي غالبا ما تتصدر الترجمة وقد ورد ذكرها في أغلب التراجم، كنحو قوله: " الإمام أبو علي، أبو محمد، أبو الطاهر، أبو عبد الله، أبو القاسم، أبو زكرياء، أبو الحسن، أبو تمام،أبو إسحاق، أبو تميم، أبو جعفر، أبو عثمان،أبو زيد، أبو سعيد، أبو العباس، أبو سليمان، أبو يوسف، أبو الخطاب،أبو الربيع، أبو بكر، أبو المطرف، أبو الحكم، أبو الحجاج".[2]

ومن الملاحظ أنَّ الكُنَى تعددت أسمائها ولكن أكثر الكُنَى تداولاً عدداً، هي أبا محمد وأبا عبد الله وأبا العباس، كما أنَّ هناك من أصحاب التراجم من ذَكَرَ له أكثر من كُنْيَة واحدة مثل قوله: "يكنّى أبا الفضل وأبا العلى[3] وكذلك في قوله: "أبو محمد ويكنّى أبا فارس"[4] وفي موضع آخر، قوله: "ويكنّى أبا العباس وأبا جعفر".[5]

---

[1] الكنية: ما يكنى بها، نحو: أبي سعد وأبي بكر (وأم عمرو. والمراد بالكنية: التنبيه والتعظيم، وأصل الكُنَى للعرب لخفة أسمائهم وسهولة كلامهم، فإن نسبوا إلى الكنية نسبوا إلى الاسم الثاني فقالوا في النسب إلى أبي بكر: بكري ونحو ذلك، وكذلك نسب كل مضاف يتعرف بالثاني نحو ابن الزبير ينسب إليه زبيري، فإن كان غير متعرف بالثاني نسبوا إلى الأول نحو: عبد مناف وعبد شمس فقالوا: عبدي، أنظر: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني(ت 573هـ/1178م) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج9، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، ط: 1، 1999م، ص5905.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص33 وما بعدها.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص53.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص63.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص345.

وأحيانا لا يكتفي فقط بذِكْر كُنْيَة المترجم له فحسب، بل يذكر حتَّى كُنية أبيه، كنحو قوله:" أبو عبد الله محمد ابن أبي القاسم" [1]، وكذلك في قوله: "أبو العباس محسن بن أبي بكر بن شعبان"[2] وفي بعض التراجم يذكر حتّى كُنَى أجداده، في قوله: "أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن أبي عيسى بن أبي بكر". [3]

2-الاسم:

وهو غالبا ما يَلِي كُنْيَة المترجم له وقد تسلسل ليشمل: اسم المترجم له فوالِدَه فأجداده، كنحو قوله: " الإمام أبو علي حسن بن علي بن محمد "[4]، وفي موضع آخر، قوله: "أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم "[5] ، وكذلك في قوله: " أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة ".[6]

3-الشهرة:

قد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم، وقد تكون شهرته بغير لقبه أو كنيته، وهنا نجد أنّ الغبريني قد أورد اسم الشهرة مسبوقا بما يشير إليها بقوله:"المعروف بـ..." "الشهير بـ..." أو " قد اشتهر ويعرف .." فقد ورد اسم الشهرة بصيغ مختلفة، كنحو قوله : " قد اشتهر ويعرف بابن محشرة" [7] "عرف بابن السراج"[8] "الشهير بابن زيتون"[9] المشتهر بالزواوي[10]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص123.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص212
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص218
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص33.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص41.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص45.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص53.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص202.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص97.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص127.

"المعروف بابن الخراط "[1]، وفي بعض المواضع يورد أكثر من اسم شهرة، بقوله: " المعروف المعروف بابن سراقة، ويلّقب بمحي الدين، ويعرف بابن العربي"[2]، "المعروف بالجمل"[3] "عرف بابن عصفور"[4]"عرف بابن أساطير".[5]

إنّ الملاحظ على أنّ أسماء الشهرة وردت في آخر اسم المترجم له، كما تنوعت ألفاظها فهناك من اشتهر بمدينته أو قبيلته أو بصفة ارتبطت به دون غيره، ولا يكاد يخلو مترجم له دون اسم شهرة عُرف به وما ذكرناه على سبيل الاستشهاد فقط.

4- النسبة

وتكون بنِسْبَة المترجم له إلى القبيلة، كنحو قوله: "الحسني"[6] ،"الكناني"[7] ،"الغبريني"[8] "الصنهاجي"[9]، "الزواوي"[10] ،"القضاعي"[11] ،"النفزي"[12] ،"الخشني"[13]، "الغماري"[14]، وفي بعض بعض المواضع يوردِ أكثر من اسم للنسبة، كنحو قوله: "الطائي الحاتمي"[15]، أو بنسبته إلى مدينة، كقوله: "المسيلي" [16] ،"الشاطبي"[17] ،"القلعي من قلعة بني حماد"[1] ، "الموصلي"[2] ،"الملياني"[3] "الهمذاني"[4]، "الأريسي".[5]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص133.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص156.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص225.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص317.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص227.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص45.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص79.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص185.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص218.

[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص205.

[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص309.

[12] الغبريني،المصدر نفسه، ص193.

[13] الغبريني،المصدر نفسه، ص252.

[14] الغبريني،المصدر نفسه، ص93.

[15] الغبريني،المصدر نفسه، ص49.

[16] الغبريني،المصدر نفسه، ص33.

[17] الغبريني،المصدر نفسه، ص85.

وأحيانا يورد نسبة المترجم له إلى القبيلة ثمّ إلى المدينة معًا في موضع واحد، كقوله: "القرشي السطيفي"[6] "الصدفي الطرابلسي"[7] "المعافري القلعي"[8] "المرجاني الموصلي"[9] "المتوسي الملياني[10]"، "القرشي الغرناطي"[11] ،"الحضرمي القرطبي"[12] ، "التميمي القلعي"[13] "القرشي الصقلي".[14]

وفي مواضع يذكر اسم قبيلة المترجم له ثم يُتْبِعُهُ بفرع من فروعها، ما جاء مثل ذلك قوله: "الزواوي اليتورغي"[15] ليكون المقصود بالانتساب الأول تحديد القبيلة التي انحدر منها المترجم له، والثاني الفرع الذي ينتمي إليه المترجم من فروع هذه القبيلة، ويورد اسم النسبة بالخطأ أو ما هو شائع عند الناس ثم يذكر نسبته الصحيحة، كقوله:"... وهو عندما يكتب اسمه يكتب الحسني "منسوب إلى بني حسن" من أقطار بجاية، والناس ينْسُبُونَ فيه الحسناوي".[16] وقد تَتَوَالى النَّسَبْ إلى المواضع، كنحو قوله: "الخزرجي، الأنصاري ثمّ الشاطبي"[17]، ليكون المقصود بالانتساب إلى الأول تحديد الأصل الذي انحدر منه المترجم

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص65.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص180.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص227.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص254.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص249.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص103.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص109.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص133.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص178.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص188.
[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص347.
[12] الغبريني،المصدر نفسه، ص325.
[13] الغبريني،المصدر نفسه،ص67.
[14] الغبريني،المصدر نفسه،ص222.
[15] الغبريني،المصدر نفسه ، ص125.
[16] الغبريني،المصدر نفسه، ص127.
[17] الغبريني،المصدر نفسه، ص115.

له، وبالانتساب الثاني المَوضع الذي وُلِدَ فيه أو نَشَأَ به، وفي مواضع أخرى من الذين ترجم لهم، يُضيف لقبًا إلى اسم قبيلة المترجم له كقوله: "الوجهاني الصَّوَاف"[1] , وأيضا قوله: "التميمي الخطيب"[2]، كنحو قوله: "الشريف الحسني".[3]

5- الموطن:

كان الغبريني حريصاً على ذكر الموطن الذي ينحدر منه أصل المترجم له فجاء التعبير عن الموطن الأصلي للمترجم له – لأنّ الكثير ممن ترجم لهم في كتابه استوطنوا بجاية سواء أكان المترجم له نفسه أو أحدا من أجداده- فَذَكَرَ عبارات بعدّة صِيَغ مختلفة تشير إلى أصل المترجم له، كنحو قوله: "أصله من "أَبَدّة" [4] " أصْلُهُ من مرسية".[5] " أصله من تدلس"[6]، وأحيانا يضيف المدينة أو القرية إلى بلد أو منطقة، كقوله: "أصله من هسْكُورة من المغرب" [7] ومنه: "وأصله من "أبدة" عمل "جَيَّانْ"[8] وأيضا "أصله من قرية تعرف "بحمزة" "بحمزة" من حوز قلعة بني حمّاد".[9]

كما أنّ بعض الذين ترجم لهم كانت تنحدر أصولهم من مدينة بجاية وأحوازها ومن مدن الغرب الإسلامي-ولا غَرَابَةَ في ذلك بما أَنَّ الكِتَاب يَختص بعلماء مدينة بجاية – فالذين ينحدرون من المغرب الإسلامي، خاصّة المغرب الأوسط، بحكم أَنَّ بجاية كانت تُمثِّل مركزه الحضاري، كما في قوله: "من أهل بجاية" [10]، "من أهل قلعة حماد"[11] ،"من أهل

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص200.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص243.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص45.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص57.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص156.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص341.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص193.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص291.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص218.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص53.
[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص213.

بونة"[1] ،"من أهل الجزائر "[2]، بالإضافة إلى تراجم علماء ينحدرون من حاضرة افريقية، في قوله: " من أهل تونس"[3] ، "من افريقية"،[4] وحتّى من مُدُن المغرب الأقصى، كنحو قوله: "من "من أهل أغْمَاتْ من المغرب"[5]، ولأنَّ بجاية كانت ملجأ لعلماء الأندلس كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي الكبرى، فقد حَفَلَ كتاب الغبريني بالعديد من العلماء الذين ينحدرون من أصول أندلسية، بقوله: "من أهل رندة"[6] ، "من أهل مالقة"[7] ،"من أهل مرسية"[8] ،"من أهل شاطبة"[9]، "من أهل اشبيلية"[10] ، "من أهل بلنسية"[11] ،"من أهل جزيرة شقر "[12]، وعندما يغيب عنه أصل المترجم له يَنْسُبُه إلى الأندلس بشكل عام، كنحو قوله: "من أهل الأندلس"[13]، وفي بعض المواضع يذكر زمن استيطان المترجم له مدينة بجاية، كنحو قوله:"وَرَدَ على بجاية في عشر الستين وستمائة مستوطناً"[14] وفي قوله أيضا: "ودخل بجاية في شهر رمضان المعظّم سنة سبع وتسعين وخمسمائة"[15] أو يَذْكُرَ اسم حاكم مدينة بجاية وقت دخوله إليها: "استوطن بجاية مُدَّة أبي عبد الله ابن يرمور ".[16]

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص251.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص111.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص97.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص307.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص223.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص107.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص73.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص75.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص79.
[10] الغبريني،المصدر نفسه،ص202.
[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص289.
[12] الغبريني،المصدر نفسه، ص298.
[13] الغبريني،المصدر نفسه، ص260.
[14] الغبريني،المصدر نفسه، ص75.
[15] الغبريني،المصدر نفسه، ص157.
[16] الغبريني،المصدر نفسه، ص270.

6- المولد:

التأريخ على وجه الاكتمال بِذِكْرِ اليوم بالتحديد والشهر والسَّنة والمكان، كنحو قوله: "ولد بتلمسان يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الآخرة من عام اثنين وستمائة" [1] وفي مواضع يَكْتَفِي بذكر الشهر والسنة والمكان دون تحديد اليوم، كما في قوله:"ولد بشاطبة في الليلة التاسعة والعشرين لذي القعدة، من عام أربعة عشر وستمائة"[2] ، "وولد أول ليلة من جُمَادَى الأولى سنة سبع وخمسين وخمسمائة "[3] وهذا نادر جدا، وفي مواضع يكتفي بذكر الشهر والسنة فقط دُونَ اليوم، كما في قوله: "ولد في ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة"،[4] وقوله أيضا: "مولده منتصف جمادى الأخيرة سنة أحدى وستين وخمسمائة".[5] وأحيانا يذكر المكان والسنة، بقوله:" وولد ببلنسية سنة سبع وسبعين وخمسمائة"،[6] وفي موضع آخر ذكر المولد بتفصيل أدق وبتحديد الزمن "وولد ليلة السبت منصرف الناس من صلاة العشاء لست خلون من جمادى الأخيرة من عام أحد وستمائة رحمه الله"،[7] وأيضا قوله: "وولد في عام واحد وستمائة". [8]

التأريخ للمولد بذكر الشهر والسنة، كنحو قوله:"وولد في ذي الحجة عام خمسة وخمسمائة "[9] وفي قوله أيضا "وولد سنة خمسين وأربعمائة".[10] ويذكر أيضا مكان المولد "ومولده بجزيرة شقر في شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة".[11] وفي موضع آخر "ومولده في آخر شهري ربيع سنة خمس وسبعين وخمسمائة".[12]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص64.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص82.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص390.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص44.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص297.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص290.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص306.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص108.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص395.

[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص382.

[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص301.

[12] الغبريني،المصدر نفسه، ص313.

التأريخ للمولد بذكر السنة فقط، كنحو قوله: " وولد في عام واحد وستمائة"[1]، وقوله أيضا: "وولد سنة خمسين وأربعمائة"[2] وكذلك: "وولد سنة أربع وستين وخمسمائة".[3]

ومع ذلك فإنه لا يَجْزُم بالتأريخ في مواضع كثيرة، بل يكون تَقْدِيرُهُ لَهُ على وجه التقريب نَاصًا على ذلك، كنحو قوله: "ومولده في حيّز الثمانين وخمسمائة"[4] وفي موضع آخر "ومولده في آخر شهري ربيع سنة خمس وسبعين وخمسمائة"،[5] وقوله:"وولد سنة أربعين وخمسمائة أو قبلها بيسير".[6] ونحو ذلك "ومولده في حيّز الثمانين وخمسمائة"[7] وأيضا: "ومولده في حدود سنة ستمائة".[8]

كما أنّه قام بتحديد مكان الميلاد، كلما تَيَسّر له ذلك، ومثال ذلك قوله:"ولد بتلمسان"[9] بتلمسان"[9] وفي قوله: "ولد بشاطبة" [10] "وولد ببلنسية"[11] "مولده بقرطبة"[12]، كما أنّ هناك من ذَكَرَهُ دون مولد.[13]

ومن الملاحظ أنّ تاريخ الميلاد وَرَدَ في بداية الترجمة وفي وسَطِهَا وفي الغالب في نِهاية الترجمة، وهناك الكثير لم يذكر لهم تاريخ الميلاد، لأنّه لا يمكن معرفَتُهُ إلاّ إذا صَرَّحَ به المترجم نفْسَه خاصّة في هذا العصر.[14]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص108.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص382.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص364.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص324.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص313.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص55.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص324.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص295.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص64.

[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص82.

[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص290.

[12] الغبريني، المصدر نفسه،ص174.

[13] الغبريني، المصدر نفسه، ص233.

[14] محمد أحمد ترحيني، المرجع السابق، ص167.

7- الألقاب[1] العلمية والصفات الأصيلة:

وقد تَتْبَعْ هذهِ العناصر أو تَتَخَلَّلُهَا بعض الألقاب العلمية أو الصَّفات الدَّالة على أَصَالَة المترجم له وعَرَاقَة نَسبِه، كنحو قوله: "الشَّيْخ"[2] كان الابتداءُ بها في أغلب التراجم، ثم تَلَتْها "الفقيه"[3] فهيَ الأخرى وَرَدَتْ في تراجم الغبريني جُلَّها، وكذلك " القاضي"[4] وَصَفَ بها العديد العديد من المترجم لهم، وأحيانًا تأتي صِفَةُ القاضي متبوعة بكلمة "العدل"[5]. كما أنّ هناك صفات أخرى، وردت بدرجة أقل ونَدُرَ ذِكْرها كالشريف" [6] ، "الخطيب"[7]، وردت في عِدّة مواضع للمترجم لهم "الفاضل"[8]، أما صفات ك:"المقرئ"[9] ، و"التاريخي"[10] ، "النحوي اللغوي"، اللغوي"، [11] الكاتب[12]، "الصدر المحصّل المتقن المجيد".[13]

وهناك من أورد سَبَبَ شُهرته بهذا الاسم، كقوله:"وشهرته بالأديب سَمَّاه بذلك الشيخ أبو الحسن الحرّالي، وذكر أَنَّ سببَ هذه التسمية في قوله: " إنّه جرى بين يدي الشيخ رضي الله عنه ذكر ما قاله الرجل "واترك الريحان برحمة الرحمن للعاشقين" وتكلّم في معناه فقال بعض من حضر أشار إلى العذار لأنّ ولوع القائل كان به، قال فقلت إنما أشار إلى دوام العهد

---

[1] لقب: جمعها ألقاب، القاف، في الغالب، تأتي بالتشديد، لقب ؛ كرم، منح، ملقب بألقاب شرف، ذو لقب شريف،والألقاب ثلاثة أنواع لقب تعريف ولقب تشريف ولقب تسخيف والثالث منهي عنه وفي المصباح وقد يجعل اللقب علما من غير نبز فلا يكون حراما ومنه تعريف بعض الأئمة المتقدمين بالأعمش والأَخْفَشْ والأعرج ونحوه. أنظر: دوزي رينهارت بيتر آن (ت1300هـ/1883م)، تكملة المعاجم العربية، ج9، تر: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط:1، 2000 م، ص261.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص65.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص99.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص41.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص115.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص45.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص39..

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص197.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص85.

[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص283.

[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص67.

[12] الغبريني،المصدر نفسه،ص53.

[13] الغبريني،المصدر نفسه،ص115.

لأنّ الأزهار كلُّها تنقضي أزمانها والرّيحان يدوم عهده، فاستحسن ذلك الشيخ رحمه الله وقال أنت أديب، فَجَرَى عليه اسم الأديب"،[1] وأيضا في قوله:" كان يُسَمَّى أبا حامد الصغير،.....وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب "الإحياء" وبه سُمِّي أبا حامد الصغير".[2]

ومن الملاحظ والغريب في الألقاب التي وَصَفَ بها من ترجم لهم عديدة ومتشابهة ووردت لأغلبهم على وتيرة واحدة، فهي تكاد تكون صفات واحدة وجّعَلَتْ من تراجم الغبريني في مستوى واحد، وهذا يصعب اجتماعها في ترجمة واحدة فضلا عن مجموعة كبيرة من التراجم في زمن واحد وفي مدينة واحدة.

8- الوفاة:

التأريخ على وجه الاكتمال بذكر اليوم بالتحديد والشهر والسّنة، في بعض التراجم، كنحو قوله:" توفي ...في النصف الأول من ليلة الثلاثاء السابع لرجب عام إحدى وتسعين وستمائة" ونحو قوله:" توفي ...في الثامن عشر لصفر عام أحد وتسعين وستمائة"[3] ، وأيضا وأيضا قوله:"وتوفي ....في الثلث الأخير من ليلة الاثنين الثالث لجمادى الأولى عام أربعة وخمسين وستمائة[4]، ونحو قوله: "توفي في يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر عام ثمانية وستين وستمائة.[5]

وفي بعض التراجم يذكر حتَّى السّاعة التي ولد فيها المترجم له، كقوله:" تُوفي .... في آخر السّاعة الرابعة من يوم السبت السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم عام ثمانين وستمائة توفى ...وتوفي...ضُحَى يوم الأحد السابع لصفر عام سبعة وخمسين وستمائة[6]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص72.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص33.

[3] الغبريني،المصدر نفسه ، ص117.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص290.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص139-142.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص395.

"...في الثامن والعشرين لربيع الأول من عام خمسة وسبعين وستمائة"[1]، "...عند أَذَانِ العَصْر في اليوم الثاني عشر لشهر شعبان المكرم عام ثمانية وثلاثين وستمائة"[2]، " توفى ليلة الخميس مستهل جمادى الأولى من عام اثنين وأربعين وستمائة"[3]، " توفي...ضَحْوَة يوم الثلاثاء المُوَفَّي عشرين لمحرم عام ثمانية وخمسين وستمائة. ومولده في آخر شهري ربيع سنة خمس وسبعين وخمسمائة"[4] ، وأحيانا يربِط اسم وفاته بحدثٍ هام:"وتوفي بتونس في يوم يوم عاشوراء من عام ثلاثة وتسعين وستمائة".[5]

التأريخ للوفاة بذكر الشهر والسنة، كنحو قوله:" توفي...في رمضان المعظم عام أحد وتسعين وستمائة[6] ، وفي قوله: " توفي ... في غِرَّة ذي القعدة عام سبعة وسبعين وستمائة".[7]
وستمائة".[7]

التأريخ للوفاة بذكر السنة فقط، كنحو قوله: "توفى ...في عشر الستين وستمائة"[8]
وأيضا قوله:"في عشر الثمانين وستمائة"[9] ، وفي موضع آخر: "توفي في سنة تسع وعشرين وعشرين وستمائة"[10]. وتارةً يربط تاريخ الوفاة بالسُّلطة الحاكمة "وتوفي بتونس في عشر السبعين وستمائة أيام الواثق بحاضرة أفريقية".[11]

وقد يُقدِّر عُمْرَ المترجم له عند وفاته بقوله:"وكان ينِيفُ على الثمانين" [12] أو ما يُشير إلى ذلك بقوله: "واقتُطِف قبل أن يستكملَ الأربعين".[13]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص60.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص154.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص193.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص313.

[5] الغبريني،المصدر نفسه،ص121.

[6]الغبريني،المصدر نفسه، ص97..

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص105.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص74.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص234.

[10] الغبريني،المصدر نفسه،ص264.

[11]الغبريني،المصدر نفسه، ص102.

[12] الغبريني،المصدر نفسه، ص220.

[13] الغبريني،المصدر نفسه، ص231.

وبعض التراجم لم يوردْ لها لا تاريخ وفاة ولا تاريخ ولادة، بقوله: "...ولا أعلمُ له وقْتَ ولادة ولا وفاة..." [1]

وهناك من ذَكَرَ مصدر تاريخ وفاته، بقوله:"وتاريخ وفاته في رُخَامة وضعت لَحْدًا على قبره وكُتِبَ فيها بَيْتان هُمَا من نَظْم الأديب الفاضل أبي نصر الجِيني:

بَكَيْتُكَ عبد الحق حقًا لأنَّنِي ... بكيتُ بك الدُّنْيا وما في جمِيعها

من الدِّين والأفضال والعلم والحِجَا ... وانْ كُنْتَ زين الدين يا ابن ربيعها[2]

وأيضا في قوله:"...هكذا ذَكَرَهُ ولَده أبو زكرياء"[3] ، والملاحظ أنّ تاريخ الوفاة وَرَدَ في بداية الترجمة وفي وسطِهَا وفي الغالب في نهايةِ الترجمة.

وفي مواضع أخرى يذكر حَتَّى مكان الوفاة، كقوله: "توفي ... بتونس"[4]، وقوله: "توفي ...ببجاية"[5]، وأيضا: "توفي بقلعة بني حماد"[6] ومنه "توفى ...بالشام بمدينة دمياط".[7]

وفي مواضع أخرى يذكر حَتَّى مكان ووقت الدَّفْن، كقوله: "ودُفِنَ ظُهْرَ يوم الاثنين بعده بحومة المصلى من غربيها"[8] ، وأيضا: "ودُفِن بعد صلاة الظهر بمقربة من الباب الجديد" [9]

9

وفي مواضع أخرى يقتصرُ على ذكر مكان الدفن واسم المقبرة، كقوله: "...ودُفِنَ بباب أَمَسْيُونْ"[10] ومثال ذلك:"ودفن بخارج باب أمسيون بمقبرة الفقيه القاضي أبي محمد عبد الله

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص50.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص60.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص430.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص319.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص39.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص124.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص139–142.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص324.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص108.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص39.

بن حجاج"[1] ومنه: "ودفن بخارج باب البُنُود بالمقبرة المعروفة بابن سُمَيّة أَحَدَ تِيجَانِ بجاية"[2] بجاية"[2] ودفن بخارج باب المرسى"[3]، وعندما يختلط على الغبريني قَبْرَ المترجم له يُشير بعبارة تُفِيدُ عدم تأكده منه، بقوله:" قبور هنالك ثلاثة أو أربعة لا يعلم أيّهَا هوَ من بينِها".[4]

وفي بعض المواضع لا يكتفي فقط بذكر اسم المَقْبرةِ التِّي دُفن فيها المترجم له، بل ويَقُوم بشرح سبب تسْمِيتها في قوله:"ودفن بحومة باب أمسيون، بالمقبرة التي الشجرةِ المُسَمَّاة بزادٍ رَخُصَ بها، وهي شجرةٌ عظيمةُ وليسَ في تلك النّاحية ولا في غيرها من نَوَاحِي البلد شجرة زادٍ رَخُصَ سِوَاهَا".[5] ويُحَدِّد مَوْضِعَ قَبْرِهِ بدقة:" وقبرُه بمقربة من قَبْرِ الفقيه أبي زكرياء الزواوي ...وله رابِطَة بخارج باب أمسيون وهي اليوم دائرة".[6]

وفي بعض التراجم يصِف كيف كانت جنازاتُهم، بقوله: "وكانت جنازَتُه مشهود وأُهِيبَ شعارُ الصَّالحين بين يديه"[7]، ومنه قوله: "...وكان له مشهدٌ لا يكون إلاّ لمثله"[8] ومن ذلك: "وكان يوم وفاته مشهدًا عظيمًا كأنَّه يومَ عِيد ولم يبْق من لم يحضُره".[9]

بل ويذكر أحيانا حتّى مَنْ صَلَّى على جنائزهم ومَوْضِعَ الصلاة، بقوله:"وصلّى عليه على شَفِير القبر تلميذه أبو الحجاج ابن أيوب بوصيَّتِهِ بذلك"[10]، وأردف الغبريني عبارة "وقبره اليوم هناك مزور ..."[11] في أكثر من ترْجَمَ لهم، ليُبيّن لنا مكانتهم ومَدَى تعلّق النّاس بهم،

---

[1] الغبريني،المصدر نفسه، ص290.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص395.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص60.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص36.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص74.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص138.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص324.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص60.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص287.

[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص287.

[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص108.

ذكر الغبريني تاريخ وفاة جُلّ تراجمه، فلقد حافظ على الخاصية التي تشترك فيها جميع كُتُب التراجم، لأنّ تاريخ الوفاة هو التاريخ الثابت في حياة الأفراد.[1]

وأغلبهم ذَكَرَ لهم وفاةَ وبعضهم مولدًا ووفاةً، وتنوّع ذكره للمولد والوفاة تارةً في بداية الترجمة وتارةً في آخرها وفي الكثير من التراجم في آخرها.[2]

[1] محمد أحمد ترحيني، المرجع السابق، ص167.

[2] من استقرائنا لكتاب الغبريني عنوان الدراية.

2- منهجه في التعريف بنشأة وتكوين المترجم له:

بعدما تعرفنا في القسم الأول على منهج الغبريني في التعريف بهوية المترجم له، سنتناول في القسمٌ الثاني ما تعلق بنشأة وتكوين وأحوال وأعمال المترجم له من مؤلفات وغيرها، وأيضا المكانة العلمية والاجتماعية والسياسية للمترجم له. وللوقوف على ذلك، فإنّه يُمكن معرفة نشأة وتكوين المترجم له، بذكر العناصر التالية:

1- ذكر شيوخ المترجم له:

تَبَسّط الغبريني في ذكر الشيوخ وفي مواضع يذكر حتّى الكُتُب التي روَوْهَا عنهم، كنحو قوله: "ومن أشياخه، الفقيه أبو الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري، روى عنه الموطأ، والقاضي أبو سعيد مخلوف ابن جاره رَوَى عنه "المصابيح" وكُتُبًا عِدّة إجازةً وسماعًا، والإمام أبو طالب أحمد بن رجا اللّخْمِي، قَرَأَ عليه وأخذ عنه الأصلين حفظًا واتقانًا، والحافظ أبو طاهر السلفي صَحِبَهُ وأَخَذَ عنه إعجاز القرآن للخطابي"[1]، وفي موضع آخر"ومن شيوخه، رضي الله عنه أيضا، الإمام أبو عبد الله ابن بكرة الكَرْكَنِي قرأ عليه المذهب رِوايةً ودرايةً، وأبو القاسم بن فيرة الشَّاطِبِي الضَّرير، والفقيهان الأخوان أبو عبد الله وأبو العباس الحضرميان عنهما الشهاب القاضي والفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن سلامة، والزاهد أبو عبد الله المغاور، والشيخ أبو عبد الله السلاوي، وغير هؤلاء، ...".[2]

ولا يكتفي بذِكر شيوخه فقط، وأحيانا حتّى أقارب المترجم له، كنحو قوله: "وهو ابن أخت الفقيه أبي بكر بن محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي المقرئ، أخذ عنه وشَارَكَهُ في الأخذ عن أبي القاسم ابن بشكوال وأخذ أيضا عن أبي عمر ابن عبد الحق بن عبد الملك بن بونة العبدري، وعن أبي القاسم السهيلي وأجَازَ لَهُ الإمام أبو عبد الله بن زَرْقُونْ وأبو محمد عبد الله الحجري وأبو القاسم عبد الرحمن بن عمر بن غالب عرف بابن الشَرَّاط وغيرهم"، [3] وأيضا في هذا المثال:" أخذ عن جماعة من العلماء منهم أبو عبد الله بن أحمد وسراج بن عبد الله بن سراج وأبو محمد بن عتاب والقاضي أبو بكر بن العربي والقاضي أبو الوليد بن رشد والإمام أبو بكر الطرطُوشي والإمام أبو عبد الله محمد بن علي التميمي

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص131.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص131-132.

[3] الغبريني،المصدر نفسه،ص203-204.

المازري والفقيه أبو بكر ابن خلف بن فتحون الأريولي والحافظ أبو طاهر السلفي والحافظ أبو علي الغساني والأستاذ النحوي أبو عبد الله محمد بن السيد البطليموسي والفقيه أبو بكر بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي وغيرهم".[1]

2- ذكر تلاميذ المترجم له:

حَاولَ الغبريني أَنَّ يحدثنا كذلك عن أسماء تلاميذ تراجم كتابه، كنحو قوله:"خذ عنه ببجاية جُلّة منهم،الشيخ الفقيه أبو الحسن الرّندي والفقيه أبو عبد الله القضاعي عُرف بابن الآبار والفقيه الرئيس أبو عثمان ابن حكم والخطيب أبو بكر ابن سيد الناس وغيرهم من مشيخة الأندلسيين"[2] ويذكر في بعض المواضع زمان ومكان وطبيعة العلم المأخوذ عنه، في قوله أيضا: "وممن أخذ عنه، الفقيه القاضي أبو عبد الله ابن عبد الحق التلمساني سنة أربع وثمانين. وممن أخذ عنه أبو عبد الله ابن حماد قال: "قرأتُ عليه معيار العلم من أوله إلى آخره، قراءة تفهم وتعلم، في بيت الكتاب من قصر بجاية سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وقرأت عليه المقاصد بالموضع المذكور وفي التاريخ المذكور"،[3] وفي موضع آخر: "هو أحد من أخذ عنه شيخنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبادة رحمه الله رواية وتفقها ودراية، وكان جلوسه بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره، وكان ذلك في عشر الثلاثين وستمائة".[4]

3- ذكر المكان أو الزمان المأخوذ فيه علم المترجم له:

كذلك اهتم الغبريني بذكر المكان والمُدّة التي أخذ فيها هذا العلم، كنحو قوله: "سمعته يقول إنّه لازمه مدة عشرين سنة، جلس للإقراء ببجاية وكان يقرأ عليه في منزله". [5]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص387.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص203–204.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص206–207.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص260.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص73.

4- ذكر بعض محفوظاته أو مسموعاته[1] أو إجازاته:[2]

الاعتناء بذكر بعض صِيَغِ التحمّل والسّماع كَأَذِنَ لهُ أَجَازَ لهُ سَمِعَ تَقْرَأ أَخَذَ لَازَمَ كَتَبَ هَؤلاَءِ خِطَطَهُمْ، كنحو قوله: "وذكر لي أَنَّ الخطيب أجازهُ جميع كتُبِهِ ورِوَايَتِهِ، وإنّه سَمِعَ منه بعضَ تَصَانِيفَهُ" [3]، وينْقُل حتّى إجازاته، كقوله:" فأجابه رحمه الله: "أَجَزْتُ لكم أكرمكم الله جميع ما سألتموه، وأبحْتُ لكم من ذلك ما طلبْتُمُوه، إجازةً عامةً على شروطها المعمول بها عند القائلين، إذ انتم أهل لذلك نفعكم الله ونفع بكم، فلتستعمل نفسك ولتُتَوَّجَ هَدْيُكَ في العمل بمقتضى ما علَّمَكَ الله من ذلك، أبلغكم الله أَمَلَكُمْ، وخَتَمَ بصالح عملِنا وعملكم"[4]، ومثلُ ذلك، قوله: "وأجاز له أبو الحسين ابن زرقون أجازة خاصة وعامة؛ خاصة فيما نصّ عليه، وعامة فيما لم يعنيه، حسبما اقتضى ذلك كله رَسَمَ أجازته له، وكتب له بذلك بخطِّ يده، وذلك في عِقَاب ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة"[5]، ويَصِف كذلك تعامله مع إجازة غيره، كما في في هذا المثال قائلا:"وكان لا يتسامح في إجازة بوجهٍ ولا يُمَكَّن منها إلا بعد التحصيل، ومن ظَفَرَ من الطلبة بإجازته فقد ظَفَرَ بالغاية القصوى، ووصل إلى المرتبة العليا".[6]

ويذكر من اسْتَجَازَ من الطلبة وينقل لنا الغبريني نَص الاسْتِجَازة ونص الإجازة مع تأريخها، بقوله: "واسْتَجَازَ الفقيه العالم أبا عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني فأجازه، وكتب إليه بما نصّه....،فأجابه بما نصه:...أجبتك بأحسنِ تحية....قاله وكتبه حامدًا ومُصَلّيًا على نَبِيِّه، محمد بن عبد الحق بن سليمان في ذي حجة عام ثلاثة وستمائة".[7]

---

[1] السماع: هي قراءة الشيخ في معرض الإخبار ليروي عنه، سواء أكان من حفظه، أم القراءة من كتابه، وهو أرفع درجات القراءة عند الأكثرين، ومن صيغ السماع : قرأت على فلان، حدثنا فلان قراءة عليه أو أخبرنا قراءة عليه، للتفصيل أنظر: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المرجع السابق، ص27-28.

[2] الإجازة: لغة من الجواز بمعنى من الإباحة، فإنه أباح المجيز من أجازه لأنه يروي عنه، أما اصطلاحا: الإذن في الرواية، أما صورتها وهي أن يقول الشيخ للراوي، شفاها أو كتابة أو رسالة، للتفصيل أنظر: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المرجع نفسه، ص28-29.

[3] الغبريني،المصدر السابق، ص89.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص255.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص263.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص316.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص252-253.

وفي مواضع يذكر إجازة المترجم له بشكل عام كما في قوله: "وأَجاز له جماعة من أهل المشرق".[1]

5- يَصِف دروسَه ومجالسَه وأماكنَها وأزمنتَها وأحوالَها:

ويَصِف الغبريني أيضا دروس المترجم له، كنحو قوله:"وكان حديثُه في ذلك المجلس على رسالة القشيري"[2]، وفي مواضع يحدِّد مكان الدرس، كما في قوله:" قال فَسِرْتُ إلى الشيخ أبي مدين ... بالمسجد المعروف الآن بمسجد الفقيه أبي زكرياء الزواوي ... عنه بحُومَة اللُّؤْلُؤَة"[3] وبُيُوتُ العُلَمَاء، قوله: "وكان رَأْسُ الجماعة الأندلسية ببجاية كل كان يأتي إلى منزله وعنده مجتمعهم"[4]، ويذكر أماكن الدروس حَتَّى عند قُبُور المترجم له بعد وفاته، كما في هذا المثال:"وحتّى بعد وفاته وكثيرًا ما رأيت الطلبة يقرؤون تأليفه عند قبره"[5]، وأحيانًا وأحيانًا يُحَدّد أوقاتَ الدروس، في قوله " كان له درس بالغَدَاة، ودرس بين الصَّلاتين، ودرس بين العِشَاءين" ويتحدث أيضا عن عَدَد الحاضرين إلى دروسه، قائلا: "درس عليه العلم خَلْقٌ كثيرٌ وانتفعوا به".[6]

6- شرح شخصية لها علاقة بالمترجم له:

إذا أَوْرَدَ الغبريني شخصية لها علاقة بالمترجم له، يَقُوم بالتعريف بها، شَرَحَ شخصية تَرِدُ في المترجم له، كترجمته لعائشة ابنةَ أبي طاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني[7]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص297.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص26.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص27.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص287.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص44.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص63.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص47.

7- الإبَانَة عن مقدار هذا العلم ومَدَى تَمَكُّنِه منْهُ أو حَظهُ منْهُ:

استخدم الغبريني عبارات تشير إلى تَمكُّن المترجم له من هذا العلم بشكل خاص دون غيره، كنحو قوله: "وكان له تَقَدُّم في علم المنطق" [1]، ومن ذلك قوله:" كان في علم العربية بارعًا مقدمًا مُحْكِمًا لفنونها الثلاثة(النَّحو،اللغة، الأدب)"[2]، وأيضا "عالم بعلم القراءات متقنٌ فيها مجيدٌ لها"[3]، ومن ذلك أيضا: "كان قويًا في علم التوحيد"[4]، "فهو أعلَمُ النَّاس بالمنطق"[5] ،"وكان من أحفظِ أهلِ زَمَانِه باللغة ، ويَذْكُر ما يَنِيفُ على ثلاث عشرة لغة..."[6]، وفي قوله أيضا: "وأمّا الأدبُ فَشَأْوُهُ فيه لا يدرك سَبَقَ فيه أهل الزمان وأَرْبَى ولمِثْلِهِ في الفَصَاحَة والبلاغة تَحُلُ الحُبَى".[7] بل يقوم الغبريني أحيانًا بشرحٍ وبتفصيل أدق، بقوله:" كان روايةً حافظًا بالحديث عارفًا برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم ومَبْلَغَ أعمارهم وكان يقوم على البخاري قيامًا حَسَنًا وكان إذا قرأ الحديث يسنده إلى أنْ ينتهي إلى النّبي صَلَّى الله عليه وسلَّم كلامٌ كثيرٌ وهم في الحديث وهو في معرفة القراءات إمام، ويذكر أنّه كان يسْتَظهر عشرة آلاف حديث بأسانيدها"[8]، وأحيانا يُمَثِّلُهُ بمن يُضْرَبْ به المَثَل في هذا العلم، كقوله:

" أبُو عمرو وقته في علم القراءات أستاذ الأسانيد في وقته"[9]، ومما يدل على تَفَوُّقِهِ على غيره في هذا العلم، كما في هذا المثال:"وما رأيتُ فيمن رأيتُ أحفظَ منه لمذهب مالك"[1]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص193.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص68.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص79.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص 128.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص144.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص 270- 271.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص279-280.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص293-294.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص316.

وأورد الغبريني عبارات تُشِيرُ إلى عدم تمَكُّن المترجم لهُ من هذا العلم تَمَكُنًا تامًا، ليس إلى درجة الإتقان، كنحو قوله: "وكان له حَظٌ في علم الطِّب" [2] ومن ذلك: "وكانت له شَرِكَة في الطب"[3] ،"وله مَعْرِفَة بعلم العربية ..."[4] وقوله: "وله مُشَارَكَة في علم المنطق وعلم العربية".[5]

8- الرحلة في طلب العلم:

تَكَلّم الغبريني عن الرِّحلة العلمية عند تراجم كتابه، ولقد كانت الرحلة في طلب العلم ملازمة للعلماء، لهذا لم يَغْفَلْ الغبريني عنها حيث ذَكَرَ الرِحْلَة واتِّجَاهَاتُها لمَنْ ترجم لهم، كنحو قوله: "رحل إلى المشرق مرتين"[6]، وفي مواضع يُضِيف مُدَّة رحلته، كقوله:"وقرأ بالمغرب ثم ارتحل إلى المشرق. وأقام في البلاد ثلاثا وعشرين سنة بثَغْرِ الإسكندرية المحروسة"،[7] وزَمَان الرِّحْلَة كذلك، بقوله: ""ثم ارتحل إلى المشرق في عشر الستين وستمائة"[8]، وكيف كان حَالُهُ هناك في بَلَدِ الرِّحْلَة، قائلا عنه: "وارتحل إلى المشرق في مدة بَنِي أَيُّوبْ فرفعوا شَأْنَه"[9]

والغالبُ على رحلة تراجم الغبريني أنّ وجْهَتُهَا كانت نحو المشرق ثم الأندلس وحواضر المغرب الإسلامي في عهده كتونس ومراكش.

---

[1] الغبريني،المصدر نفسه، ص226.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص341.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص73.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص75.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص230.

[6] الغبريني،المصدر نفسه ، ص97.

[7] الغبريني،المصدر نفسه ، ص190.

[8] الغبريني،المصدر نفسه ، ص200.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص272.

9- ذِكْرُ أقوال مأثورة عنه:

ذكر صَاحب عنوان الدراية في كتابه بعض الأقوال المأثورة عن بعض أصحاب تراجمه وخاصة الثلاثة الذين بدأ به هم كتابه.كنحو قوله: "هذه كلماتٌ طيباتٌ ونُبَذٌ مُتَخِيِّرَاتٌ من كلامه رضي الله عنه".[1]

10- منزلة المترجم له ومكانتُه:

تحدّث عن مكانة أصحاب التراجم سواء أكانت عند العلماء أو الطلبة أو السلطة أو عامّة الناس، كنحو قوله:"وكان مُشَاوَرًا وعلى فَتْوَاهْ العمل، كانت قراءته ببجاية لَقِيَ بها جملةً من الفُضَلاء"[2] وأيضا:"وكانت له ببجاية وجاهة ونباهة، وكانت جموح الأمراء في الأمور المجتمع لها لا تنعقد إلا بوجوده هو، وكان لسان الناس فيها"[3] وكذلك:"وكان معظما عند أهل بلده وعند ولاة الأمر، وبحضوره كان انعقاد المجلس" [4]، وهذا يدل على العلاقة الجيّدة التي كانت تربط العلماء بمختلف طبقات المجتمع.

11- وظائفه:

كَمَا أنّ الغبريني في كثير من الترجمات اهتم بذكر وظائف المترجم لهم، فالغالبية من الذين ترجم لهم في كتابه اشتغلوا بوظيفة القضاء وخاصّة في بجاية، حيث تكرّرت كثيرًا عبارة " قضى في بعض النواحي ببجاية"[5]، وأيضا:" أُسْنِدَ إليه قضاء الأنْكِحَة ببجاية، وَوُلِّيَ قضاء مستقلا" [6] ومنه: "ولم يكن له عمل إلا الاشتغال بالإقْرَاء وكان يَلِي قضاء بعض

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص32.
[2] الغبريني،المصدر نفسه ص63.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص66.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص 111.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص45.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص63.

النواحي بتولية قضاة البلد"[1]، وأيضا في قوله: "وَوُلِيَ قضاء حاضرة افريقية"[2]، وفي موضع آخر سَنَةَ توليته بقوله: "وَوُلِّيَ قَضَاء "سَلَا" سنة ثلاث عشر وستمائة".[3]

وأحيانا يَذْكُرُ حَتّى المُدّة التي اشتغل فيها، بقوله:"وَوُلِّي إقامة الفريضة والخُطْبَة بجامعها الأعظم ما يَنيف ثلاثين عامًا لمْ يَنُبْ عنه احدٌ في خُطْبَةِ الجُمَعة"[4] وقوله: "جلس للوثيقة والشهادة"[5]، وأيضا في قوله: " وأكثر تَخَاطِيطِه إنّما هو التَّحَدُّث وقضاء بعض البلاد المغربية، وكان نائبًا في قضاء الأنكحة في مُدّة ولايته ببجاية".[6]

بل وهناك من تَتَبَّعَ وظائفه وتنقُّلِه فيها بقوله:"وُلّي قضاء المُدُن بجزيرة الأندلس واستخلف بمراكش، وَوُلّي قضاء بجاية ثلاث مرات وصُرِفَ عن آخرها سنة 612 ه/1215"[7]، وأيضا "أسند إليه قضاء الأنكحة ببجاية عن بعض قضاتها، وَوُلِيَ القضاء مستقلا: بعد ذلك بمدينة بسكرة ثم بمدينة قسنطينة ثم بالجزائر، تكرَّرَ إليها مرتين"[8]

وفي مواضع أخري يتحدث عن حكم قاض في قضية ما ويقارن حكمه بغيره أو يذكر قضية تناسب ما أفتى به أو حكم به، وأورد وظائف أخرى ومدة توليهم إياها ووصف أعمالهم فيها لبعضهم كقوله:" وَوُلِيَ إقامة الفريضة والخطبة بجامعها الأعظم ما ينيف على ثلاثين عاما،، فكان سمحا سهلا ولم يقع له قط وقوع في ذلك لحسن نيَّتِهِ وسلامة طويته"[9]، وفي

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص78.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص97–98.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص219.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص82.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص82.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص214.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص209.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص63.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص82.

قوله:" كثير التَّشديد في أمر الشهادة والشهود"،[1] وأيضا "وكان شديدًا على وُلَّاة الأمر الذين يكونون معه ببلد قضائه، لا يُسامحهم في شيء من أمورهم ويجاهدهم بم يكرهون في حق الله وفي حقوق المسلمين"[2] ، وحتّى هناك من توظف طبيبا في قوله:" وكان ... مُتَوَلِيًا لطب لطب الوُلاة ببجاية هُوَ وبعض خواص الأطباء بها".[3]

12- أقوال مشايخه أو معاصره وتلامذته:

كما ذكر أيضا أقوال العلماء في من ترجم لهم بقوله: "كان الشيخ ... يُثْنِي عليه ويشكره ويقول..."[4]، ونحو قوله: "وسمعت كثيرا من أهل العلم يَثْنُون عليه ويقولون إنّه لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله".[5]

13- المهن والحرف:

رغم أنّ أغلب العلماء الذين تحدّث عنهم الغبريني في كتابه زَاوَلوا وظائف تَلِيقُ بمكانتهم العلمية كالقضاء والخُطبة والفُتْيَا، إلاّ أنَّ البعض منهم فَضَّلَ الاسْتِرْزَاق بمِهَنٍ وحِرَفٍ أخرى، كنحو قوله: "واستعمل حرفةَ الخِيَاطَة للمعيشة"[6]، وفي قوله:"وكان يأكل من كَدِّ كَدِّ يده من الخياطة وبعض التجارة وكان بسوق الصَّوَافين من بجاية"[7] وأيضا "وكان يأكل يأكل من كَدِّ يمينه، وكان مُعْرِضًا عن خِطَطِ الفقهاء ولو أرادها ما تعذّرت عليه"[8] ومنها: "وكانت معيشته من أرضٍ له ببلده يتناول أقلّها ويتصدق بأكثرها"[9]، بل ويُورِدُ موقف عامّة

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص116.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص210..

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص76.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص22.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص60.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص27.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص195.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص198.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص262.

الناس في التعامل معهم كقوله:" فكان أهل السُّوق يُحَاشُونَه في وظيفتهم ولا يُحَمِّلَونَه شيئًا من تكاليفهم رعيًا لما هُوَ عليه من علمه ودينه ونسبه"[1]، وأيضًا " وسَمعتُ عنه ... إنّه كان له حَانُوت يجلس فيه للتُّجَرْ بسوق قيْسَارِيَة ببجاية مع تَمَكُّنِ علمه وبراعة فهمه".[2]

ومنهم لم يمتهن لا وظيفة ولا حرفة كقوله: "ولم يكن له حرفة ولا عمل ولا مُشَاركة لأحدٍ من النَّاس ولا في شيءٍ من أحوال الدنيا ولا مناصب أهلها ولا غير ذلك سِوَى الاشتغال بالعلم وكان ممن يُعْمَل على فَتْوَاهْ"[3]

فالقليلُ من عُلماء بجاية من امتنع عن وظائف السُّلطة وفضل الاشتغال بمهنٍ حُرَّة تساعده على الاشتغال بالعلم وتحصيله وكان ذلك تَوَرُّعًا منهم.

14- السَجَايا والصفات:

بذكر ما يَتَصِّل بهيئة المُتَرَجم له من صورةٍ حسنةٍ أو وجهٍ مليحٍ أو مظهرٍ بَهِيٍّ...وملبسٍ حسنٍ أو هيئةٍ رَثَّةٍ وما يتصل به وكذلك ما يتعلَّقُ بأخْلاقه ومعاملاته، كنحو قوله:"وكان من أجمل الناس منظرا وأحسنهم مخبرا"،[4] وأيضًا: "وكان كثير الانْزِوَاء، يُحِّبُ الخمول"[5]، قائلا عنه: "له علم وَوَقار، وعملٌ مرضي مختار إذا رآه الناظر تَبَيَّنَتْ له ولايته، وظهرت لهُ أنَّ خير السِّعاية سِعايته"[6] ومثال ذلك، قوله: "وكان ذا ديانة، وفضيلة وصيانة، وما زال قدْرُهُ رفيعا، وجَنَابُه مُكرما مَنيعا"[7]، وفي قوله: "وكان معروفًا بالصَّلاح، وكان مرفعا مكرما... وكان حسن التلاوة ..."[8]، وفي موضع آخر:" كان له فضل وعلم ونسك وصلاح

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص195.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص250.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص257.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص97.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص99.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص107.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص110.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص133.

وديانة ووجاهة ونباهة " [1]، ومن ذلك: "وكان مُوقرا مُحترما مُهابا"[2]، كنحو قوله: "... وكانت وكانت فيه دُعابة مُستحسنة مُستطرفة".[3]

15- ذكر نظمه وأشعاره:

حفل كتاب الغبريني برصيدٍ وافرٍ من نظم وأشعار من ترجم لهم، حيث نَدُرَ أنْ يُورِد ترجمة دون أنْ يُضَمّن فيها نَظْمًا أو أبيات لصاحب الترجمة، ونظرًا للكَّم الهائل للقصائد الشِّعرية التي ثَبَّتَهَا في كتابه، يعتقد القارئُ أو الباحثُ أنَّ كتابَه قد خصّصه للشِّعر والشُّعراء دونَ غيرهم، هذا وأَنَّ الغبريني لم يوردْ كُل ما لديه من نظم لتراجمه، بل اقتصر فقط حسبه على القليل على سبيل الاستشهاد، كما في قوله:"

وهناك من ذكر حتى سبب هذه القصيدة ومكانة قائلها عند الناس كقوله: : "رأيت بعض قطع مستحسنة من شعره وأنا أذكرها وأذكر سببها قبلها، وكثيرا ما يقول الناس عندما يُشْطِط الإنسان على الإنسان في الطلب فيجاوبه وأغنِّي لكَ موشحًا لعِمَارَة"[4]، وأيضا ومن قوله : ومن شعر الشَّريفة عائشة رحمها الله: ويقال أنها بعثت بهما إلى ابن الفَكُّون شاعرَ وقْتِهِ، وقالتْ عارضْهُمَا أو زِدْ عليهِمَا، فكتب لها معْتَذِرًا عن الجواب، أنَّ الاقتصار عليهما هو الصَّوَاب".[5]، وفي موضع آخر :"ومن نظمه رحمه الله في الزُّهْدِ ومَدْحِ النَّبِي صَلّى الله عَلَيه وسَلَّم "[6]، والغالبُ على الشِّعر والنَّظْم الذي أوْرَده الغبريني في كتابه يأتي في خاتمة المترجم له، بقوله: "ومن شعره...".[7]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص137.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص188.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ، ص57.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص45.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص47-48.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص70.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص91.

16- مؤلفاته:

أورد الغبريني مجموعة من مؤلفات الشيوخ الذين ترجم لهم ذاكِرًا أسماءَ مؤلفاتهم. كنحو قوله "وله علم باللغة منها شرح الفصيح تأليف في علم الكلام الأذكار والأعلام بحدود قواعد الكلام" [1] بل وَيُعَلِّق على الكتاب وما جاء فيه، كنحو قوله:" له "التذكرة في أصول علم الدين" وهو كتابٌ حسنٌ طالعتهُ وكرَّرْتُ النَّظَرَ فيه فرأيته من أجَلِّ الموضوعات في هذا الفن"، [2] ومنه:"وله "النِّبْرَاس في الرّد على مُنْكَر القياس" وهو كتابٌ مليحٌ على ما أُخْبِرْتُ عنه، ولم أرهُ، وأنا شديدُ الحرص عليه، ولقد أخبرني بعض الطلبة المُتَمَسِّكِين بالظَّاهر وهو من أنْبَلِهِم إنّه رأى هذا الكتاب وإنّه ما رأى في الكُتُب الموضوعة في هذا الشأن مثله، فأنْشَدْتُهُ:

ومليحة شهدتْ لها أعداؤهَا ... والحسنُ ما شهدتْ لهُ الأعداءُ

لا يُعَلِّق على الكتاب فقط، بَلْ ينقل بعض ما جاء فيه، كما في قوله: "وله كتابٌ في علم التذكير سمَّاه كتاب "التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المباد والغايات" وهو كتابٌ جليلٌ سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب "الإحياء" وبه سُمِّيَ أبا حامد الصغير، وكلامُهُ فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم، ودلَّ كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن، ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين، ولم يفتقرْ فيه إلى تبْيين، وهو كثيرُ الوُجُودِ بين أَيْدِي الناس، وكثرةُ وجود الكتاب دليل على اعتناء النَّاس به وإيثارهم له. ولقد رأيتُ على نسخة من نُسَخِهِ ما قَصَّهُ: "اعلم وَفَّقَكَ الله أَنَّ هذا الكتاب حسن في معْناه، مخْتَرَع في الترتيب ومبْناه، قلَّ فيه ما يُنْتَقَد، وكَثُرَ ما يُعتقد، وعليه يُعتمد، سلك مؤلفه فيه مسالك المُهتدين، وتَرَك مهالك الضَّالين المعتدين، فهوَ فيه على صراط مستقيم، ومقصدٍ قويم، طَرَزَهُ بمعاني الكتاب العزيز، فجاء كالذَّهَبِ الإِبْرِيز، وَسَلِمَ فيه من غُلُوِ الغَالِين، وتحريف المُبْطِلِين، وتأويل الجاهلين، نَفَعَهُ اللهُ به آمين، وصَلَّى الله على مُحمد وعلى جميع الملائكة والنَّبيِّين وسلم، والحمدُ لله رَبِّ العالمين" انتهى الكلام". [3]

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص245-246 .

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص33-34.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص33-34.

وفي مواضع كثيرة كقوله: "له كتابٌ سَمَّاهُ "بالموضح في علم النحو" وله "حدقُ العيُونْ في تنقيح القانون" وله "نشْرُ الخَفِي في مشكلات أَبِي عَلِي" هُوَ على الإيضاح، وكان يُؤْثِرُ كتاب الإيضاح على غيره من الكُتُب".[1]

وبهذا ثَبَّتَ لَنَا الغبريني مجموعة قيّمة من الكُتُب من مؤلفات الذين ترجم لهم أو كُتُبِ غيرهم باختصاراتهم عليها وتعليقاتهم وشروحهم عليها. كما أَنَّ الغبريني أخبرنا عن مُحْتَوَى هذه الكُتُب ونُسَخِهَا وعَدَدِها وَوُجُودِها في عصره أو فُقْدَانها مع ذِكْرِ النَّقد الذي دَارَ حولها، بلْ وأحيانا يُعَلِّق عليها ويُبْدِي موقِفَهُ منها.

17- كراماته:[2]

من خصائص كتاب الغبريني أنّه ضَمَّ بين دَفَّتَيْهِ كَمٌّ هائل من الكرامات التي نُسِبت أو حدثت لأصحاب تراجم مدينة بجاية في وقته، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أنّ الغبريني ذكر في مقدمة كتابه ما يشير إلى ذلك . فقلّما تجد صاحب ترجمة دون ذكر كراماته[3] ودعاء النّاس عند قبره والتبرّك به، وكما في هذا المثال: "وله دعاءٌ مستجابٌ، وكراماتٌ يستحسن ذكرها ويستطاب، وأكثر ما كان النّاس يقصدونه ليدعو لهم فيعترفون ببركة دعائه".

ولكن الغبريني كان ينقل كل ما وصل إليه عن كرامات العلماء دون نقدٍ أو تمحيص، ورغم أنَّ الكرامات لا تحدث في كل الأوقات، إلاّ أنَّ الغبريني جعلها صفةً ملازمةً لهم جُلَّ أوقاتهم. وهذا ما سَنُوَضِّحه أكثر في منهج النقد التاريخي عند الغبريني لاحقًا.

---

1 الغبريني،المصدر السابق، ص70.

2 الكرامات: والكرامات جمع كرامة، وهي ما يقدم للضيف ونحوه تكريما له، وهذا هو الأصل فيها، ثم صارت الكرامة اسما لكل خارق للعادة، يظهره الله سبحانه وتعالى على يد ولي من أوليائه تكريما له، أو إحقاقا لحق قام به، فهي إذا أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه؛ إما تكريما له، وإما إظهارا للحق الذي قام به، للتفصيل أنظر: ابن العثيمين ، شرح العقيدة السفارينية الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، دار الوطن للنشر، الرياض، ط :1، 1426 هـ، ص640.

3 أنظر:الغبريني،المصدر السابق، ص20- 29.

18- علاقته بالمترجم له:

الغبريني ترجم لعلماء قَرْنِهِ ومنه فأغلبهم كانت له علاقة مباشرة بهم، وَأَوْرَدَ عبارات تؤكد ذلك بقوله: "صَحِبْنَاهُ واستفدنا منه واهتدينا بهَدْيِهِ وتعرفنا بَرَكَةَ رَأْيِهِ"[1]، وفي قوله أيضا:"من أصحابنا ومعاصرينا في نفس الوقت"[2] وأيضا: "من أصحابنا الذين جَمَعَنَا معهم عصرٌ واحد"،[3] وكثير من قوله:"من أصحابنا الفقهاء"[4] بل ويتحدّث عن مكان اللقاء كنحو قوله:" لقيتُهُ ببجاية في مدّة اجتيازه عليها إلى المشرق، ولقيتُه بعد ذلك في مدّة قضائه بها"[5]، وفي قوله:"أدركته يدرس بالجامع الأعظم بالغداة بمجلس القضاة منه".[6]

أمّا شيوخه فقد أَسْهَبْنَا في ذكرهم في الفصل الخاص بترجمته، فاكتفينا هنا بذكر علاقته بأقرانه ومعاصريه. وعلى الرغم أنّ المُعاصرة حِجَاب كَمَا قِيل، إلا أَنَّ الغبريني حاول أَنْ يُبْرِزُ قيمة معاصريه.

19- عبارات حتى وفاة المترجم له:

كما أنّ الغبريني أورد عبارات تُبَيِّنُ حال بعض المترجم لهم عند موتهم: من حيث الاشتغال بالعلم أو بغيره أو العُزْلَة أو مكانته العلمية عند الوُلاة والأمراء وعامّة النّاس أو من حيث التَمَرُّض والضُّعْف، كنحو قوله: "ومات على انقطاع الدنيا وتَخَلَّ عنها واشتغال بنفسه"[7] وفي قوله: "ولم يزل مطوقا بالرِّيَاسة، مشتهرًا بالسِّيَادة والنفاسة إلى أنْ مات..."[8] وأيضا "وما زال...متصل الأعمال، صالح الأحوال، إلى أنْ تُوفي..."[9] ، وأيضا:"وعاد ولم يَزَلْ مُنَوَهًا مخططا إلى أنْ تُوفي مأخوذًا عنه..."[10] وأيضا قوله: " تَخَلَّى في آخر عُمُرِهِ....

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص112.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص229.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص265.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص233.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص113.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص65.
[7] الغبريني،المصدر نفسه ، ص66.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص98.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص108.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص324.

وجَلَسَ للرِّوَايَة والتصحيح إلى أنْ مات ..."[1] ومنه "وانقطع في آخر عُمُرِهِ عن النَّاس وما زال .... مُنْقَطِعًا، وكان مَلِك الوقت يزوره في منزله ويغتنم مسرته، ويتلقَّى باليد والقبول حاجته".[2] ومن ذلك قوله: " فوصل مرفعا مكرما وما زال عاكفا على العلم والعمل إلى أنْ مات ..."[3] كنحو قوله:"واشتغل بالإقراء إلى أنْ مات .."[4] ومنه " وَكَفَّ بَصَرُه في آخر عُمُرِه".[5]

20- طريقة عيشه وأكله وأحواله:

اهتم الغبريني أيضا بذكر ما تعلّق بالحياة الشخصية واليومية لبعض من ترجم لهم، مثل ما تعلّق بمأكلهم ومصدر عيشهم وملبسهم وحتى ما تَعَلَّق بمِشْيَتِهِمْ، كما في قوله: "لا يأكل إلا من المُبَاح كالبُقُول المطروحة وما جرى مجراها وإذا اشتهى اللّحم ينزل إلى البحر فيصيد السماك على الأحجار، وهي لحمه .... "[6] وكنحو قوله:"وكان على ما كان عليه السَّلَفُ الصالح .... في ملبسه ومطعمه وتَصَرُّفه وفي قضاء حاجته، وكان يملأ إناءَ الماء لشربه ويَسُوقُهُ على كاهله ويحمل خبزه ليخبز له بيَدِهِ"[7] وأيضا قوله:"لا يأكل من مَرْتَبِهِ شيئا، شيئا، وإنّما كان يَصْرِفُهُ في الصَّدَقة وصِلَةِ أهلِ البِّر والخَير، وما كان يتناول إلاّ من شَيْءٍ يَصِلُهُ من فوائد عقَّاره بِبَلَدِ الجزائر ممّا وَرِثَهُ عَنْ أَبِيه"[8]، وفي قوله أيضا: " مُتَقَلِّلاً من الدنيا،.....مُخْتصرا في لباسه ومِشْيِهِ، وكانت معيشته من أرض له ببلده يتناول أقلُّها ويتصَّدق بأكثرها"[9]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق ، ص120.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص137.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص191.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص345.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص205.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص127.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص194.

[8] الغبريني،المصدر نفسه ، ص245.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص262.

ورغم قِلّة الشواهد حَوْلَ هذا العُنْصر، إلا أنَّ الغبريني حَاوَلَ أنْ يُقَرِّبَنَا أكثر من العلماء بِذِكْرِ تفصيلات حياتهم اليومية لنَقْتَدِي بهم حسبَ قولهِ.

لقد حاول الغبريني التعريف بتراجمه مُتَبِّعًا في ذلك الخُطُوَات السَّابِق ذكرها، ورغم التَّفَاوُت في استخدام هذه العناصر كَمًا وَنَوْعًا من ترجمة إلى أخرى إلاّ أنّهُ حاول جاهدًا أنْ يُقدِّم لنا في كتابه تراجم وافية، في هذا الجانب أَيْ التعريف بهوِيَّة المترجم له وتَتَبُعْ كل ما لهُ علاقة بتراجمه من نشأة وتكوين وأحواله كُلِّهَا بِحَسَبِ ما تَوَافَرت للغبريني من مصادر حول تراجمه، فتَختلفُ المّادة المكوّنة لهذا العُنْصُر أو لآخر تَبَعًا للاختلاف في نوعية المترجم لهم، وطبيعة صِلَة الغبريني بالمترجم لهم، حيث اختلفت هذه من مترجم له إلى آخر، فالذين عاشوا في بجاية مدة طويلة ليسوا كأولئك الذين لم يستقروا بها، والذين توفرت للغبريني مصادر متنوعة حَولَهم ليسوا كغيرهم ممّن نَدُرَتْ أخبارهم.

بعد أنْ عرضنا منهج الغبريني في كيفية عرض تراجم كتابه، ولكن السؤال المطروح الآن ما هو المنهج الذي استخدمه الغبريني في كتابه عند سرده للحوادث وأيضا أثناء تحديده للأماكن.

خامسا- منهجه في عَرْضِ الحوادث والأماكن:

رغم أنّ كتاب الغبريني اختص بالتعريف بالمترجم لهم وذكر أحوالهم وما تعلّق بنشأتهم وتكوينهم، إلا أنّ من خلال تتبعنا لمادة كتابه أمكن لنا استخراج منهجه في تدوين الحوادث التاريخية وعرضها وطريقة تحديده للأماكن، رغم قلة الشواهد على ذلك، ومنه فما هو منهج الغبريني في عرض الحوادث التاريخية؟ كيف حدد مواقع الأماكن التي أوردها في كتابه؟

1- منهجه في عرض الحوادث:

تَمَيّز منهج الغبريني في عرض الحوادث التي نَقَلَهَا في كتابه أَنَّهُ وَصَفَهَا بِدِقّة وبِجَمِيع حَيْثِيَاتِهَا ومن ذلك ما نقله عن إسحاق ابن غانية ودخوله إلى بجاية –ذكرها ليُبَيِّن لنا سبب ذكر أشعار استشهد بها– بقوله: "وكان إسحاق ابن غانية بجزيرة مَيُورْقَة وهُوَ بَقّيَةُ اللَّمْتُونِيين، فوجَّهَ لَهُ من مراكش من قِبَلِ خليفتها من يَطْلُبُهُ بالبيعة والدخول تحت الطاعة، فامتنع من ذلك، وكان بيْن يديْه ولداه علي ويحيى فقال للرسول أنا لا أراهم ولا يرونني، ولكن قُلْ للمُوَّحدين يُهيِّئُون ما يُنْفِقُون على رَأْسِ هَذَيْنِ، وأشار إلى رأس وَلَدَيْه، فانفصل الرسول عنه وتَجَهَّزَ الولدان بعد كِبَرِهِمَا في طرائد فيها بعض الفرسان ووصلا إلى شاطئ بجاية بمحل بَيْعِ السَّبْيِ منها. وكانت البلدة شاغرة من الجيش، فَتَلَقّاهم النّاس على عادةِ تَلَقِّيهم لأجل السبي، فنزلت الخيلُ مُعِدَّة ولِمَا وصلت له مُسْتعدة، والنّاس ما عندهم من شأنهم خبر، فطلعوا على جبلِ الخليفة ودخلوا من باب "اللُّوز" إلى قصبة البلد وتملَّكُوا البلد، ولم يكن فوق باب اللُّوز سُورٌ في ذلك الزمان، وطلبُوا النّاس بالبِّيعة فبَايَعُوهُم".[1]

ومن خلال الحادثة السَّابقة يُمْكِنُ أنْ نستخلص بعض الملاحظات حَوْلَ منهجه في عرض الحادثة التاريخية. حيثُ قامَ في البداية بالتعريف بابن غانية بنسبته للمتونيين،وحَدَّدَ مكانه بجزيرة ميورقة، وتحدّث كذلك عن تفصيلاتٍ جزئية حول رسول السُّلطة الموحدية

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص46.

بمراكش، وبعبارات تُوحِي للقَارئ أَنَّ الغبريني كانَ حاضرًا مثل عبارة **وأشار إلى رأس ولديه،** ثُمَّ يُتَابع في سَرْدِ الحادثة من كِبَرِ أبناء ابن غانية وسبب دخولهم بجاية **طرائد لبعض الفرسان** ويحدد بدِّقة مكان دخول ابنا ابن غانية إلى بجاية **بمَحَلِّ بيع السَّبْيِ منها** وعن حال بجاية كانت **خاليةً من الجيش**–وهذا يفيد بأنّ بجاية كان بها جيشٌ لحماية المدينة وأنّهُ كان يخرجُ في بعض المُهِمَّات– ويتحدّثُ عن سُكَّان بجاية وسبب استقبالهم لإبْنَيْ ابن غانية ظَنًا منهم تُجَّار سَبْيٍ–وهذا يؤكد أنَّ فئة كبيرة من سكان بجاية كانوا تُجارًا––ثمَّ يواصل الغبريني منهجه في تفصيل الحادثة وموقع دخولهم إلى البلدة ودخلوا من **باب** "**اللُّوزْ**" –وهذا يُفيدُ أنَّ المدينة في عهده كانت بعيدةً نوعًا ما عن شاطئها أيْ إلى الداخل–ويؤكد أنَّ سبب دخولهم إلى المدينة على حين غفلةٍ من أهلها هُوَ عدم وجود سُور في ذلك الزمان– وبطبيعة الحال فَهُوَ موجود في عهد الغبريني وتفيد أيضًا أنَّ المدينة كانت مُحَصَنة بأسوارٍ على كل باب لدواعٍ أمنية– ثمّ بمبايعة النّاس لهم.

التزم الغبريني بالشَّرْطِ الذي أورده في كتابه للذين سَيُتَرْجِمُ لهم من عاش في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي وفي بجاية سَوَاءً نشأ فيها أو قرأ أو درّس بها أو استوطنها، لم يُخِلْ الغبريني بشرطه هذا إلا في ترجمة واحدة لم يَكُنْ لها أَيَّةَ علاقة بمدينة بجاية، وإنّمَا لَقِيَهُ الغبريني نَفْسُهُ خارج بجاية. واعترف الغبريني بأنّه خالف شَرْطَ كتابِهِ ولكنّه بَرَّرَ ذكره بقوله:"وهذا الشيخ تَعَيَّنَ ذِكْرُهُ وإنْ لم يُوافق شرط الكتاب، لأنّه لم يكن ببجاية، لكني لقيته بحاضرة افريقية وانتفعت برؤيته وتبَرّكْتُ بمشاهدته، وهو من الفُضَلاَء الذين لا يسوغ الإخلال بذكرهم في المشيخة."[1]

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص109.

2- منهجه في تحديد الأماكن:

قام الغبريني بتحديد الأماكن بدقة، وخاصّة المساجد نَظَرًا لأهميتها الرُوحية والعلمية في عصره وقتئذٍ، كنحو قوله:"المسجد المشهور الآن به بحومة اللؤلؤة، وهو المعروف الآن بمسجد المرجاني".[1]، وأيضا في تحديد بُيُوتِ العلماء في قوله:"ودَارُهُ التِّي بها سُكْنَاه هي الدار المشهورة الآن "بدار المقدسي" بحومة باب باطنة، وتعرف بدار الفقيه هلال"[2]، واهتم بتحديد قُبُورِ العُلماء بقوله: ".... صاحب الرابطة المعروفة الآن برابطة ابن يبكي بداخل باب "أمسيون" من أعلى سند بجاية وبها قبره..."[3] ، كما أنّ الغبريني تارةً يُورِد تحديد المواقع بشكل مجْمل وتارةً بشكل مُفَصَّل، بقوله:"ولما حللت بحاضرة افريقية،... وفي موضع آخر بقوله: "ولما أقمتُ المُدّة التي أقمتها بتونس"[4].

رغم قِلّة الشَّوَاهِد في العنصر، إلا أَنَّ الغبريني حَاوَلَ ضبْط تاريخ وُقُوعِ الأحداث وتحديد أمكنتها في الغالب بدقة، كُلَّمَا توافرت له الظروف لذلك، وقد التزم بهذا المنهج في الدِّقة باختلاف المواضيع التي تحتاج إلى تحديد أزمنتها وأمكنتها سواء ما تعلّق منها بالحوادث أو مواقع المساجد والمقابر وغيرها.

لم يكن الغبريني فقط مجرد ناقل لما وصل إليه من أخبار وروايات حول تراجمه، بل كان يستخدم منهج المقارنة من خلال العديد من النماذج التي أدرجها في كتابه، لإثبات أو نفي أخبار وصلت إليه، هذا ما سنوضحه في المبحث الموالي.

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص178.

[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص185.

[3] الغبريني، المصدر نفسه، ص213.

[4] الغبريني، المصدر نفسه، ص101.

سادسا-منهجه في المقارنة:

اعتمد الغبريني أثناء عملية التحليل في مؤلفه على مجموعة من أساليب التحليل والمناقشة، حيث يقوم بالمقارنة بين الوقائع المتشابهة، وهي من الوسائل لتأكيد أو نفي أخبار من ترجم لهم، وقد تنوَّعت مواضيع المقارنة لديه بتنوع ما أورده عن المترجم لهم من مؤلفات وفتاوى وتَمَكُّن من علومهم وغيرها.

أ- مقارنة بين فتاوى العلماء:

نجدُ ذلك في قوله: "وذُكِرَ لي أنّ الفقيه أبا علي المسِيلي رحمه الله عَرَضَ له في مُدّة ولايته مَرَضْ، اقتضى أنْ يسْتَنِيبَ مَنْ يَنُوب عنه في الأحكام الشرعية فاسْتَنَابَ حفيدَهُ، وكان له نبل، فتحاكمت عنده يومًا امرأتان ادّعت إحداهما على الأخرى إنّها أَعَرَتْهَا حُلِيًا وإنّها لم تَعُدْهُ إليها، وأجَابَتْهَا الأُخْرَى بالإِنْكَار، فَشَدَّدَ عَلَى المُنْكِرَةِ وأَوْهَمَهَا حتّى اعترفتْ وأعادتْ الحُلَيْ. وكان من سيرته إنّه إذا انفصل عن مجلس الحكم، يدخل لِجَدِّه الفقيه أبي علي ويَعْرِضْ عليه ما يَلِيقُ عَرْضُهُ من المسائل، فدخل عليهِ فرحًا وعرض عليه هذه المسألة، فاشْتَدَّ نَكِيرُ الفقيه رحمه الله عليه وجعل يُعْتِبُ على نفسهِ تقْديمهِ وقال له: إنّما قال النَّبِي صلَّى الله عليهِ وسلَّم (البَيِّنَة على المُدَّعي واليَمِينَ على من أَنْكَرْ) ولم يَقُلْ صَلَّى الله عليهِ وسلَّم الإبْهامُ والتَّخويفُ على مَنْ أَنْكَرْ. واسْتَدْعَى شَاهِدَيْنِ وأشْهَدُ بتَأْخِيرِهِ، وهذا مِنْ وَرِعِهِ وَوُقوفه مع ظاهرِ الشَّرْع رحمه الله. وعلى هذا يجبُ أنْ يَكُونَ العَمَل وهو مذهبُ مَالِك، وظاهرُ مذهب الشافعي تجويزُ مثلُ هذا، فإنّه يَرى أنْ القصدَ إنَّما هو الوصول إلى حقيقة الأمر، فبِأَيِّ وَجْهٍ وصل إليه حَصل المقصود، ولأجْلِ هذا يُجوزونَ قضاءَ الحاكم بعِلمه والحقُ خلافهُ لقوله صلّى الله عليه وسلّم فإنّما أَقْضِيَ لهُ على نَحْوِ ما أسمع والله الموفق".[1] ويظهر في هذا المِثال وَجْهَ المقارنة، بقوله: "ويُناسب هذا من وجهِ ما حُكِيَ أنَّ وَاليًا كان بالإسكندرية يُسَمَّى قُرَاجَة وكان بها إذ ذاك الفقيه أبو عبد الله ابن جارة وكان عالما رفيع القَدر قد أَلبسه العلم والإعراض عن أبناء الدنيا لباس الهيبة، وكان لا يخاف في الله لَوْمَةَ لائم، واتفق أنَّ عَامَلَ رجل يومًا بَيَّاعًا ودفع لهُ دِرْهَمًا جَعَلَهُ البيَّاع في قبضته ثمّ لمْ تَتِم بينهما

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص37.

المُعَاملة فقال له الرجل: اصْرِفْ عَلَيَّ دِرْهمي، فقال البيَّاعُ لا أعرفهُ في الدراهم ولكن هذا درهم مكانَهُ فَحَلَفَ الرجل بطلاقِ زوجتِهِ أنْ لا يأخذَ إلاّ درهمَهُ بِعَيْنِهِ، وكَثُرَتْ بينهما المُراجعة في ذلك إلى أن تداعيا إلى الوالي هذا الرجل المُسَمَّى قُرَاجَة، فَوَصَفَا له القِّصة فأطْرَقَ ساعةً ثم قال للبيَّاع ادفع للرجل جميع ما في قبْضَتك من الدراهم ويدفعُ لك مكانها دراهم من عنده فيتحلّل بذلك من يَمِينه؛ وكانت فتوى حسنة مُرْضِيَة صحبها ذكاء، فَنَهَى المجلس بحاله إلى الفقيه أبي عبد الله ابن جارة فاستحسن فَتْوَاه وَصَوَّبَهَا، فنهي المجلس بحاله إلى الفقيه أبي عبد الله ابن جارة فاستحسن فتواه وَصَوَّبَهَا، ثمّ خاف أنْ يحْمِله العُجْب على أنْ يُفْتِي في غيرها من المسائل بغير عِلْمٍ ولا موافقة شرعية فَوَجَّهَ إلى الوالي حتّى وصل إلى باب داره فقال له، أنت المُفْتِي بين الرجلين في أمر كذا؟ فقال نعم، فقال له ومن أباح التَّسَوُّرُ على فتاوى المسلمين والدخول في أحكام الشَّرع وإنَّما أنت صاحب شرطة؟ فلا تتعرض لِمَا لمْ تُؤهل له. فقال له يا فقيه أنا تائب من ذلك، فقال له: أمَّا إذا تبت فانصرف واشتغل بالجِّد فيما كُلِّفت ولا تتعرض لِمَا ليس من شأنك، أو كما قال".[1]

ونقل الغبريني فتوى أخرى، ونصُّها: "وسألته رحمه الله تعالى عن اختيارات أصحابنا المتأخرين من الفقهاء، كاللخمي وابن بشير وغيرهما، هل تحكى أقوالا عن المذهب فيقال مثلا، في المذهب ثلاثة أقوال بما يقوله اللّخمي أولا، فقال لي إنما تكون الحكاية بحسب الواقع، فيقال في المذهب قولان، ويقال وقال اللخمي كذا، أو فلان ويُعْزَى إليه ما قال، وسألتُ عن هذه القضية شيخنا الفقيه أبا القاسم ابن زيتون، فقال لي نعم، يُحكى قول اللخمي وغيره قولا في المذهب، كما يُحكي قول من تقدّم من الفقهاء في المذهب، وهذان الجوابان جيّدان، أمّا جواب الفقيه أبي العباس، فإنه مبْنِي على سبيل التوقف والورع، وأمّا جواب الفقيه أبي القاسم، فإنه مبْني على سبيل النظر، لأنّه رأى أنَّ كل جواب بُنِيَ على أصول مذهب مالك وطريقته فإنّه من مذهبه، والمُفْتِي به إنّما أفتى على مذهبه، فيصح أنْ تُضاف هذه الأقوال إلى المذهب وتُعدُّ منه".[2]

---

[1]الغبريني، المصدر السابق، ص37–38.

[2]الغبريني، المصدر نفسه، ص100–101.

ب-مقارنة بين برامج العلماء:

وقَارَنَ الغبريني في موضعٍ آخر من كتابه بين برامج العلماء، كنحو قوله: "ورأيت له "برنامجًا" ذَكَرَ فيه شيوخه ومقرؤاته من الكُتُبِ يشتمل على مائتين كتابًا واثنين وعشرين كتابًا، كلها مُسْنَدَة إلى مُؤلِّفِيها مذكور السَّنَدُ فيها، وما رأيتُ برنامجًا أحسن منه، لأنّ أكثر البرنامجات تقع فيها الإحالات، أمّا في الكل أو في البعض، إلا هذا البرنامج، فإنّه ما أحال فيه على كتاب أصلا، وذكر فيه إنّه لخّص كتاب الطبري، يَعْنِي تاريخهُ وكل من رَوَى عنه فما هو إلا من الجلة الأعلام، واشتهر عنه رحمه الله من التحصيل والعلم أكثر مما اشتمل عليه برنامجه، والذي يَدُل عليه برنامجه من علومه، هو علم القرآن العزيز وعلم الحديث وعلم الأصول وعلم النحو وعلم الأدب والتاريخ وعلوم الرقائق والأذكار، وكان له في كل فَنٍ من هذه الفنون حظٌ وافرٌ وعلمٌ ماهرٌ"[1]

جـ - مقارنة في الحديث:

وأيضًا قارنَ الغبريني في الحديث، كنحو قوله: " وارتحل إلى المشرق في مُدَّةِ بني أَيُوب فرفعوا شأنه، وقرَّبُوا مكانه، وجمعُوا له علماء الحديث وحضروا مجلسًا أَقَرُّوا فيه بالتَّقدم، واعترفوا له إنّه من أُوْلِي الحفظ والإتقان والتفهم. وسمعت أنَّهم ذكروا أحاديث بأسانيد حَوّلوا متونها، وإنه أعاد المتون المُحَوَّلة وعرف عن تعبيرها ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من مُتُونها الأصلية.وأخبرني شيخنا أبو عبد الله الخطيب أنَّ مثلَ هذه الحكاية اتفقت لأبي عمر ابن عات بمراكش في كتاب مُسْلِمِ بِبَيْتِ الطلبة منها"[2].

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص219

[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص272.

د- مقارنة بين الكتب:

وقَارنَ بين الكتب كذلك، في قوله: "وما رأيت من الكتاب ما أعجبني مثل كتب الفقيه أبي المطرف إلاّ كتب أبي جعفر ابن عطية، والكتاب كثيرٌ وكُتُبِ هذين الرجلين عندي مُقَدَّمٌ على غيرهما"[1]

وفي موضع آخر: " وأحسنُ ما استحسنه من الأرَاجِيز في العلوم رِجْزَانِ، رِجْزُ ابن سينا "في الطِّب" ورِجْزُ ابن عبد النور في العربية وهو عندي أحسن منهما، وسَمَّاهُ "جوهرة اللافظ وغُنْية الحافظ". [2]

وأيضا في قوله: "وتآليف أبي الحسن رحمه الله في العربية هي من أحسن التَّصَانيف، ومن أَجَلِّ الموضوعات والتآليف، له "المقرب" وهو كتاب بارع والشروحات عليه وعلى الجمل، وله على "الإيضاح" وله شرح أبيات "الإيضاح" ولم يسْبقه أحد بمثله".[3]

هـ- مقارنة في الكرامات:

وقارن في الكرامات، في قوله: "ومن كراماته رضي الله عنه، أنَّ رجلين كانا مُتَصَاحِبَيْنِ وكان احدهما على حالةٍ لا تُرْضَى، وكان صاحبُهُ لا يزال يراهُ في منامه على حالة تسوءه ولا تَسُرُّهُ، فَعَزَّ عليه ذلك من أمره، فلمّا كان في بعض الليالي رآه صاحبه على حالةٍ وصُورةٍ حسنةٍ، فقال له: ما هذا الحال؟ قال: غفر الله لي، قال: وبماذا؟ قال: أَنَّ سَيِّدِي أبا عبد الله العربي خَطَرَ بهذه الحومة، فَعَثَرَ فَدُمِيَتْ إصْبَعه، فقال "اللّهم ما وَهَبْتَ لي من أَجْرٍ فانّي قد وهبته لجماعة الموتى" فغفر الله لجميع من بهذه الناحية وأنا في جُمْلَتِهِمْ.

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص299.

[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص235.

[3] الغبريني، المصدر نفسه، ص317.

ووقفتُ على مثلِ هذا المَعْنَى في مُلَخَّص من "المُنْتَخَب المقرب في ذكر بعض صُلَحَاءِ المغرب" قال: حدّثني أحمد بن حسن قال: حدّثني يعيش بن شعيب السقطي قال: أتيتُ من باب إيلان، فلما قربتُ من باب الدباغين نظرتُ في المقابر فرأيت قبرًا حديث عهد بالدفن فيه، فوقفتُ وأنا أقول يا صاحب هذا القبر هل أنت ذكر أم أنثى حُرٌ أمْ عبْدٌ؟ ثمَّ وقفتُ عليه ساعة وانصرفت، فلمّا كان باللّيل رأيتُ في المنام امرأةً فقلتُ لها يا هذه من أنتِ؟ قالتْ لي أنا صاحبة القبر الذي وَقَفْتَ عليه تَعْتَبِرْ ولِي إليك حاجة، فقلتُ لها ما هي؟ فقالتْ لي أَنَّ زوجي رجلٌ قَطَّانٌ اسْمُهُ فلان، بن فلان، فاذهبْ إليه واسْألهُ أنْ يَغفر لي، فلمَّا أصبحت سألتُ عن الرَّجُلِ وأعلمته أنَّ زوجتهُ سألتهُ أنْ يغفرَ لها، فأبى أنْ يغفر لها، فانصرفتُ عنهُ مغمومًا فلمّا كان بالليل رأيتهَا في المنام، فقالت لي عَسَى أنْ تذهب إلى عَمِّهِ فلان اللَّحَام لعلّهُ يشفعه أنْ يغفر لي، قال: فلمّا أصبحتُ سألتُ عن الرجل اللَّحام وأعلمتُهُ، فقال لي نعم، فذهبتُ معهُ إلى الرجل زَوَجَ المرأة فرغَبْنَاهُ أنْ يغفرَ لزوجته حقَّهُ قِبَلَهَا فَأَبَى من ذلك، فانصرفْنَا عنه مَغمومينَ من أجْلِ تلك المرأة، فأقمتُ مدّة ثم رأيتها في النوم على أحسن حالة فقلت لها ما هذا؟ فقالت أتيت لأُبَشِّرَكَ بأَنَّ الله تعالى قد غَفَرَ لِي، فقلتُ لها بماذا غفر الله لك؟ فقالتْ: دُفِنَ بجوارنا رجلٌ صالحٌ فشَفَّعَهُ الله تعالى في كُلِّ من يُجَاوِرُ قبرهُ من جِهَاتِهِ الأربَعْ مسافةَ أربعينَ ذراعًا، فكنتُ فيمنْ حازَ قبرِي الأربعونَ ذراعًا، فغفر الله تعالى لي".[1]

إنّ استخدام الغبريني منهجَ المُقارنة في كتابه لتأكيد أحداثٍ تاريخيةٍ وأخبارٍ أو نَفْيِهَا بغيرها، واستحضارِ ما يُناسب وجهَ المقارنة يَدُلُ على سِعَةِ اطِّلاَعه وتَمَكُّنِهِ، كما أنَّ تَنَوُّعَ مواضيعَ المقارنة عنده، فهو قارنَ بين المصادر المكتوبة وبين الفتاوَى وبين الكرامات وغيرها، فكلُ هذا يدلُ على سعةِ اطِّلاَعِ الرَّجُل وتَنْوِيعِ طُرُقِ عَرْضِ مَادَّتِهِ التاريخية.
إذا منهج الغبريني في التحليل، فكيف كان منهجه في توثيق مادة كتابه؟

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص5.

سابعا–منهجه في التوثيق:

قبل الحديث عن منهج التوثيق[1] عند الغبريني في كتابه الخاص بالتراجم، سنرجع إلى طريقة التوثيق عند كتاب التراجم بشكل عام، وبناء على ذلك فإنّ كُتابُ التراجم والسير يرجعُون إلى مصادر ومراجع يأخذونَ منها مجموعة الأخبار والروايات يُثْبِتُونَهَا للتعريف بأصحاب التراجم، وقد يَستمدُّ مؤرخَ التراجم والسير معلوماتُهُ وموادَ تاريخه عن طريق السَّمَاع والنَّقْلِ الشَّفَهِي، فيتلقَّى المؤرخَ أخبارَ من يترجمُ لهُ سيرتهُ وحياتهُ سامعًا عن هذا أو ناقلاً عن ذاك[2] والغبريني واحدٌ مِنْ أولئك الكُتَّابْ، فرغم التَنَوُعْ في مصادر معلومات التراجم التي أوردها الغبريني في كتابه الدِّراية إلاَّ أنَّ الغالب على هذه المعلومات هو المجهود الذاتي أي المشاهدات والعلاقات الخاصة في تحرير كِتابه، ويرجعُ ذلك لطبيعة مُحْتَوَى كِتَابِهِ الذِّي ضَمَّ تراجمَ لعلماء عصرهِ ومدينته بجاية التِّي عاشوا فيها. وكذلك لأَنَّ أغلبَ الذين كَتَبَ عنهم في هذا العصر ربَطَتْهُ بهم علاقة علمية سَوَاءَ أولئك الذين سمع عنهم كشيوخ شُيُوخِه أو سَمِعَ منهم مباشرةً كشُيُوخِهِ أو التقى بهم وصَاحَبَهُمْ وعَاصَرَهُمْ من أقْرَانِهِ، وهذا ما أشار إليه الغبريني في مُقَدِّمَة كتابِهِ بقوله: "ولم يكنْ بَدٌ في تحصيله من تَلَقِّيهِ عن الرِّجال، وكان التَلَقِّي أمّا بمُبَاشَرَةِ أو عَنْ سَنَدٍ ذي اتصال، وكان المُباشَرُ تَكْفِي معرفَتُهُ، والمُسْنَدُ عنه لا بُدَّ أنْ تُعْرَفَ صِفَتُهُ، فلذلك اهتم العلماء بذِكْرِ الرجال"[3] . لهذا يُمْكِن تَصنيفُ مصادر معلومات الدِّرَاية عند الغبريني حَسْبَ فئاتِ المُتَرْجَمِ لهم.

---

[1] لمعرفة حجم التوثيق وأنواعه عند الغبريني في كتابه عنوان الدراية ، أنظر: الملحق رقم: 05.

[2] عبد العليم عبد الرحمن خضر، المرجع السابق، ص220.

[3] الغبريني،المصدر السابق، ص19.

1-التوثيق بالأسانيد:[1]

استخْدَمَ الغبريني العديد من العِبارات التي تُشِيرُ إلى مصدرِ الخَبَرِ عنده للمترجم لهم في هذه الفِئة، كانوا فقط هُمْ شُيُوخه الذين عاصروهم وكانوا تلامذةً لهم. ومن العبارات التي تَدُلُ على ذلك ومنها ما جاء في مطلعِ كِتَابِهِ من التراجم الثلاث الذين عاشوا في القرن السادس هجري، اعتمادًا على السَّنَد -فهي مِيزَةٌ حافظ عليها الغبريني في هذا العَصْرِ- بقوله: "ويتصل سَنَدُنَا بالقاضي أبي علي المسيلي عن الشَّيْخ الخطيب أبي عبد الله الكناني عن أبي محمد بن برطلة عن الشَّيْخِ أبي عبد الله ابن حمَّاد عن القاضي أبي علي المسيلي قراءةً عليه وألقاهُ إليه".[2] وكذلك أيضا " ويتصل سَنَدُنَا بالفقيه أبي محمد عبد الحق المذكور من طريق الفقيه المُقرئ أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن الصَّدَفي عن الفقيه أبي زكرياء بن عصفور عن أبي الحسن علي عن صاحب الصَّلاة عنه"[3]، ومثلُ ذلك أيضا: "ويتصل سندنا بالفقيه أبي الحسن بن أبي نصر المذكور، من قبل الفقيهين أبي محمد بن ربيع، وابن كحيلة وغيره".[4]

رغم ما عَرَفْتُهُ الكتابة التاريخية في العالم الإسلامي بسُقُوطِ الإسناد تدوينًا وقيمةً توثيقية، بدايةً من القرن الرابع هجري[5]، إلاَّ أنَّ الغبريني في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي حَافَظَ على ذِكْرِ الإسْنَادِ في كتابِه، وحَاوَلَ أنْ يَذْكُرَ السَّنَدَ الذي رَوَى مِنْهُ أخبَاره كُل ما أمْكَنَهُ ذلك. وبهذا يَتَفَوَّقُ على غَيْرِهِ من كُتَّابِ التَراجم بذكْرِ السَّنَدْ الذي يُعتبر مِيزَةً

[1] السَّنَدُ: لغة: هو ما ارتفع من الأرض وما قابلك من الجبل وعلا عن السفح، والجمع أسناد، وكل شيء أسندته إلى شيء فهو مسند، ويقال أسند في الجبل إذا ما صعده، ويقال فلان سند أي معتمد، واصطلاحا: هو طريق المتن، أي سلسلة الرواة الذين نقلوا المتن عن مصدره الأول، وسمي هذا الطريق سندا إما لأن المسند يعتمد عليه في نسبة المتن إلى مصدره، أو لاعتماد الحفاظ على السند في معرفة صحة الحديث وضعفه، للتفصيل أنظر: أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح، دار ابن حزم، بيروت، ط :1، 2000 م، ص159-160.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص39.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص44.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص.139.

[55] شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 3، 1983م، ص378.

وخَاصِّيَةٌ مُهِمَّة في الكتابة التاريخية وتَقَدُّمِهَا وتَطَوُّرِهَا، وليس عائقًا كما ذَكَرَ بعضهم ذلك. والغبريني كغيره من كُتَّابِ تَوَاريخ البلدان[1] الذين انْطلقوا من المدرسة الحَدِيثِيَةِ في ذكر السند في أخبارهم وحافظوا على ذلك في الكتابة التاريخية.

2-التوثيق بالرواية عن شيوخه(الإخبار):[2]

استخدم الغبريني على أسَاس آخَرْ في توثيق مَعْلُومَاتِه بذكر عَبَارَة لا تَقّلُ أهميةً عن سَابَقَتِهَا وهي ذكر مصدر التَّلَقِّي بصريحِ العِبَارةِ وبالتفصيل بذكر اسم أو صفة مصدرها في الكثير من المواضع وقد تكون بلسان المترجم له نفسه، حيثُ جاءت في كتابه الكثير من العبارات التي تَدُلُّ على هذا النَّوع من التوثيق، ومنها قوله: "وَجَدُّهُ يعقوب هو الداخل هكذا أخبرني رحمه الله..."[3] أو: "ولقد أخبرني رحمه الله..."[4]، وأحيانا أخرى يُورِدُ اسمَ شيخه الذي نَقَلَ عنه الخبر بقوله: "أخبرني شيخنا أبو محمد عبد الحق، رحمه الله، قال لي:..."[5]، وأيضا وأيضا "أخبرني الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع رحمه الله قال:..."[6]، وأيضا في قوله " أخبرني شيخنا الأستاذ أبو عبد الله عنه"[7]، وفي موضع آخر "أخبرني عنه ....، شيخنا الفقيه الفقيه أبو محمد عبد الحق".[8]

---

[1] كتاريخ دمشق لابن عساكر، وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، فهذه في القرن الذي عاش فيه الغبريني.

[2] الإخبار: هو من صيغ السماع، كإملاء أو تحديث وسواء كان من حفظه أو القراءة من كتابه وهو أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين، وفي هذا أن يقول السامع منه حدثنا وأخبرنا وأنبأنا وسمعت فلانا يقول وقال لنا فلان وذكر لنا فلان، أنظر: القاضي عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط: 1، 1970م، ص69.

[3] الغبريني،المصدر السابق، ص115.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص116.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص144.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص210.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص223.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص254.

وأحيانًا يُورِدُ مصدر أخباره بشكلٍ مُجْمَلٍ ودُونَ تَحديد اسْمِهِ وإنَّمَا بِذِكْرِ صِفَتِهِ، بقوله: "أخبرني بعض المشيخة"[1]، وكذلك في قوله: "أخبرني غيرُ واحد "[2] وأيضا: "ولقد اخبرني بعض الطلبة"[3]، ومثلُ ذلك: "ولقد أخبرني بعض الطلبة الذين توجَّهُوا إلى المشرق".[4]

وفي مواضع أخرى لا يُورِدُ اسمَ أو صِفَةَ مصدر تَلَقِّيهِ الخَبَر، فيكتفي بذكر عبارةَ مَنْ وَثِقْتُ به، واستخدم هذا في إسْنَادِ الخَبر إلى مَنْ وَثِقَ بهم الغبريني، في مواضع عديدة منها "وأخبرني بعض مَنْ وثقتُ به"[5] ،"أخبرني بذلك من وثِقتُ بحديثه من أهل افريقية".[6]

وفي مواضع أخرى يُورِد عبارةِ مُشَابِهة للإخبار، ولكنَّهَا أقلّ درجةً منه من حيثُ قيمة تلَقِّي الخبر لأنَّها جاءتْ بصيغة المبني للمجهول لا يُعرف قائلها لنتأكد من صِّحة الخبر الذي وَرَدَ إلينا بهذه الصِّيغة المُبْهَمَة والمجهول مَصْدَرُهَا، من خلال الشَّوَاهد التالية التِّي وردتْ فيها هذه العبارةِ تارةً بصِيغَةِ الجَمْعِ وتارةً أخرى بصيغة المُفْرَد "وقد ذَكَرَ لِي" [7]، "ذكر لي مرارا"[8]،"ولقد ذكر لي"[9] ،"ولكنَّهُ ذكر لي"[10]"،"وقد ذكر لي"[11]، "ولقد ذكر لي بعض بعض أصحابنا"[12]،"ولقد ذكر لي بعض الطلبة".[13]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص25.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص137.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص33.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص200.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص125–126.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص197.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص45.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص82.
[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص116.
[10] الغبريني،المصدر نفسه، ص183.
[11] الغبريني،المصدر نفسه، ص185.
[12] الغبريني،المصدر نفسه، ص192.
[13] الغبريني،المصدر نفسه، ص280.

فالغبريني أحالنا في البعض مواضع التوثيق إلى مجاهيل وهذا خطأ منه لا يسكت عنه فإسناد الخبر إلى مجهول أو ذكره دون إسناد فهو سواء، كذلك الغبريني أورد عبارة "من وثقت به" فهذا خطأ منه أيضا لأن من هم ثقة عنده قد يكونون ليسوا بثقة عند غيره.

3- التوثيق باستخدام اللُّقْيَا: [1]

استخدم الغبريني كذلك نوعاً آخرَ في إبرازِ مصادرِ معلوماتهِ وهو اللِّقاء، حيث أكَّدَ لقاءهُ بالذين ترجم لهم، وكتابه فيه العديد من الشَّواهد التي عَبَّرَ عنها بصريح العِبَارة بقوله: "لقيتُهُ ببجاية وتونس"[2]. والغبريني لا يَكْتَفِي بتأكيد اللِّقَاء وذِكْرِ المَكَان فَحَسب، بلْ ويَصِفُ حتَّى شعوره أثناء لقائه بالمترجم له حيث يقول في موضع آخر، كنحو قوله: " لقيته بتونس، ولما وَقَعَ بَصَرِي عليه أدْرَكَنِي منَ الوَقَارِ لَهُ والخِشْيَة لله ما لم أَكُنْ أُقَدِّرُه، ودمعتْ عيْنَايْ، ووجدتْ نفسي نشاطًا وسرورًا بلُقْيَاه"[3]، وأيضا: "لكنِّي لقِيتُهُ بحاضرة افريقية وانتفعتُ برؤيته وتبَرَّكت بمشاهدته..."[4]، ويُضِيفُ أحيانا الزمان بقوله: "لقيتهُ ببجاية في مُدَّة اجتيازه عليها إلى المشرق، ولقيتهُ بَعْدَ ذلك في مُدَّة قضائهِ بهَا".[5]

4-التوثيق عن طريق المُشاهدات:

استخدم الغبريني أيضًا المُشَاهَدَة ، وهِيَ أقل درجةً في تأكيد صِّحَةِ الخَبَر من اللقاء بالنسبة للذين ترجم لهم، وكِتَابُهُ فيهِ العديد من الشَّوَاهد التِّي تُبَيِّنُ اعتماده على المُشَاهدة والغبريني دائمًا لا يكتفي فقط بإثبات وتأكيد الرؤية والمشاهدة، فهِيَ لا تَخْلُو من تحديد الزمان والمكان وأحيانًا يُضِيف إليهما طبيعة العلاقة بينهُ وبَيْنَ المترجمُ لهُ. ومن ذلك في

---

[1] اللِّقَاء: سَمَاعُ رجلٍ من رُوَاةِ الحديث من رَجلٍ آخر، ويَثْبُتُ اللِّقَاء بالتصريح بالسَّماع في السَّند أو ثُبُوتِ اللقاء في قصَّة أو حادثةٍ مرورية. أو وُرُودَ ألفاظٍ غيرِ صريحةٍ في اللّقاء ولكنَّها قرائنَ قويةٍ على وُقُوعِهِ. للتفصيل أنظر:خالد بن منصور بن عبد الله الدريس، موقف الإمامين البخاري ومسلم من اشتراط اللُّقْيَا والسَّماع في السَّنَد المُعَنْعَنْ بيْنَ المُتَعَاصِرِين، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص114.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص97.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص99.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص109.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص115.

حديثِهِ عن من ترجم لهم بقوله: "رأيتُهُ ببجاية ولَقيتُهُ بها ورأيتُهُ أيضا بتونس رُؤيةً جيِّدَة، واستفدتُ منْ أخْلاقهِ ومن الاطِّلاَع على أحكامه بِحُضُورِي مَجْلِسَهُ، ما انتفعتُ بهِ كثيرًا."[1]

5-التوثيق عن طريق السَّمَاع:

ومنْ بَيْنِ طُرُقِ تَلَقِّي الخَبَر التِّي استخدمَهَا الغبريني كذلك، وهي السَّماع من غيره، واعتمدها كوسيلة لتدوينِ أخبارِهِ، ولكن هذا السَّمَاع عند الغبريني، تنوَّعَت أشكالُهُ فَهُناك أخبارٌ سَمِعَهَا مباشرةً من مصدر التلَّقِي، ومنهُ فيُمكِنُ عرض صيغة السَّمَاع التِّي وَرَدَ ذِكْرُهَا عند الغبريني، حسب أهمِّيَتِهَا كمصدر لتلقي الأخبار، ومن صِيَغِ السَّمَاع التِّي تَأْتِي في المرتبة الأولى، هِيَ التِّي ارتبطتْ بِسَنَدٍ كالسَّمَاع عن شُيُوخِهِ مُباشَرَةً ويَذْكُرُ شيُوخه بأسمائهم، ومنها قوله: "سمعتُ عن الشَّيْخِ أبي الحسن الحرالي"[2] وفي موضع آخر: "سمعتُ عن الشيخ أبي زكرياء الزواوي" [3] وأيضا:"سمعتُ ذلك من شيخنا الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبادة "[4]، ويُورِدُ عبارة تدلُ على عدم تأكده من الرَّاوِي الذي تلقَّى منهُ الخبر ومن ذلك ما جاء في قوله: "وسمعتُ- ويغلبُ على ظَنِّي إنَّه من شيخنا أبي محمد عبد العزيز".[5]

ويذكرُ عبارة تدلُ على استدراكِ الخَطَأ وتصويبِهِ مصدرَ السَّمَاع كقوله: "غير أنِّي سمعتُ شيخنا الفقيه أبا محمد ابن عبادة " [6]، وأحيانًا يُسْنِدُ الخبر بشكلٍ مُجْملٍ فيستخدم عبارة " لقد سمعتُ من بعض الشيوخ "[7] ، "وسمعتُ من بعض الطلبة"[8] أو "وسمعتُ كثيرًا من أهل العلم".[9]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق،ص198.

[2] الغبريني،المصدر نفسه،ص104.

[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص185.

[4] الغبريني،المصدر نفسه،ص221.

[5] الغبريني،المصدر نفسه،ص258.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص189-190.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص135.

[8] الغبريني،المصدر نفسه،ص43.

[9] الغبريني،المصدر نفسه، ص60.

وفي بعض المواضع يُضيف إلى جملة وسمعتُ عبارة بمن وثقتُ بهِ ، في حالات عديدة عندما يُورِدُ أخبارًا يَجْهَلُ مصدرهَا ومنها قوله:" وسمعتُ ممّن وثقتُ بحديثه"،[1] وأيضا:"سمعتُ ممّن أثق به"[2] وأحيانا قوله: "ما سمعتُ عن غير واحد ممّن أثق به"[3] وكذلك وكذلك قوله: "ومن نَقَلَ من أثِقُ بنقله".[4]

وفي مواضع أخرى من كتابه أورد الغبريني عبارات السَّمَاع ولكن أخبارها مجهولة مصدر التلقِّي، فجاءت بصيغة مُجْمَلة ومُبْهَمة المصدر ومنها: "سمعتُ إنّه"[5] وأيضا: "ولقد سمعتُ عنه"[6] ومثلُ ذلك: "ما سمعتُ عن غير واحد ممَّن أثِقُ به"[7]، وكذلك:"سمعتُ أنَّ بعض"[8].

ذَكَرَ الغبريني كذلك عبارات تُفيدُ عدم تأكُّدِه من أخْبَارِه، ومن ذلك قوله: "ويحتملُ عندي والله اعلم"[9]، وكذلك عندما يَختلطُ عليه الرَّاوِي كما في قوله أيضا: "وسمعتُ- ويغلُبُ على ظَنِّي إنَّه من شيخنا أبي محمد عبد العزيز ..."[10]، بلْ وأخبرنا في مواضع من كتابه عن انعدام الأخبار حَوْلَ بعض من ترجم له، وكذلك عدم حُصُولِهِ على أخباره، رغم بحْثِه عنها أو قِلَّتِها وعدم تَوَفُّرِهَا، وأنَّ هذا مُجْمَل ما لَدَيْهِ من أخبار، كنحو قوله:"ولم يَصِلْنِي منْ أخبارٍ ... إلاّ خبرٌ يسيرٌ ،ولا أعرفُ من أخبار ... غير هذا"[11]، وأيضا قوله: "ولقد بحثْتُ عنها كثيرًا فلم أَجِدْهَا".

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص307.
[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص135.
[3] الغبريني،المصدر نفسه، ص150.
[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص42.
[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص42.
[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص147.
[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص150.
[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص280.
[9] الغبريني، المصدر نفسه، ص205.
[10] الغبريني، المصدر نفسه، ص258.
[11] الغبريني، المصدر نفسه، ص36-37.

6-التوثيق بالإشارة إلى المصادر:

من خلال مُطَالعتنا لكتاب الدِّراية للغبريني نَجِدُ أَنَّ المصادر يَكَادُ يَنعدِمُ ذِكْرُهَا في ثَنَايَا كتابه، نظرًا لأنّه اعتمد على مصادر ذاتية للغبريني نفسَهُ كما رأينا سابقًا. فلهذا كانت الإشارة إلى المصادر قليلة جدًا، إذا ما تَمَّ مُقَارنتها مع حَجْمِ المعلومات ومصادرها التِّي وَرَدَتْ عن الذين تَرْجَمَ لهم في كتابِه. حيثُ تنوَّعت طُرُق إسْنَادِ منْقُولاَتِهِ من المصادر، بعباراتٍ صريحةٍ يَعْزُوهَا إلى مصدرها، كنحو قوله:" هكذا ذكر القُضاعي في التكملة"[1] قاصدًا بذلك كِتابَ التَّكملة لكتاب الصِّلَة لابن الآبار[2] ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضَاعي البلنسي، وكذلك ذَكَرَ مُؤلفات اطَّلَعَ عليها، كنحو قوله:"هكذا رأيتُ نسبهُ بِخَطٍّ يده رحمه الله"[3]، وأيضا قوله:" الشهير بابن الآبار هكذا رأيتُ نسبهُ بِخَطٍّ يَدِهِ"[4]، ومن ذلك "ما وَقعتُ عليه في ورقةٍ بِخَطٍّ بعض المَشَارِقَة ونَصُّهُ...".[5]

ومن العبارات التي تُشيرُ إلى مصادره المكتوبة، كقوله: "وأبوهُ وجَدُّهُ مذكورانِ في التَّكملة..."[6] وقوله:"ولا أطلَّعتُ على ذلك إلا من رُسُومٍ وَجَدتها مسجلاً عليه فيها" ،[7] وأيضا قوله: "وقد قال: السَهْرَوَرْدِي[8] صاحب "حِكْمَة الإِشْرَاق" [1]، ومثالُ ذلك، قوله: " قال: في

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص153.

[2] التكملة: يقصد به كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار.

[3] الغبريني،المصدر السابق، ص309.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص209.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص272.

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص324.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص42.

[8] السّهروردي: يحيى بن حبش بن أميرك. الشهاب السَهْرَوَرْدِي ، الفيلسوف. (ت 587 هـ/1191م) له شعر رائق حسن، وله مصنفات منها كتاب " التلويحات اللوحية والعرشية "، وكتاب " اللمحة "، وكتاب " هياكل النور "، وكتاب " المعارج " وكتاب " المطارحات "، وكتاب " حكمة الإشراق " الذي ذكره الغبريني، للتفصيل أنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج12، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 2003 م. ص844.

"بَرْنَامَجِه[2].....". "[3] أو "ورأيتُ له "برنامجًا" ،[4] أو يذكرُ مصدرَ الخَبَرِ وقائلَهُ، كما في هذا المثال:"وما هو إلا كما قال صاحبُ "المَطْمَحِ في ابن باجة" أو يُشِيرُ إلى مصدر فيه ما يُناسب هذا الخبر، كنحو قوله: "ووقفتُ على مثل هذا المَعْنَى في مُلخص من "المُنْتَخَب المقرب في ذكر بعض صُلحاء المغرب".[5]

وأحيانًا يَذكرُ الغبريني ما اطَّلَع عليهِ من مُؤلفات المُتَرْجَمِ لهم بتفصيلٍ دقيقٍ، ومن ذلك قوله:"رأيتُ كتاب الثعالبي بخَطِّهَا في ثمانيةَ عشر جزءا، وفي خاتمةِ كل سفر منه قطعة من الشِّعر من نَظْمِ والدها رحمهُ الله، إذا خَتَم السَّفَر وتَمَّ التأريخ يكتب بخَطِّ يده، وقال عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحَسَنِي، وتُكْتُبُ ابنَتهُ القطعة بخَطِّهَا، وهي نسخةٌ عتيقةٌ ما رأيتُ أحسنَ منها ولا أصح، ولقد رأيتُ منهُ نُسَخًا كثيرة مُنتقدة إلا هذهِ النُّسْخة، ولقد يجبُ أنْ تكونَ هذه النُّسْخَة أصلاً لهذا الكتاب حيثُ كان، ويقعُ التَّصحيح منها، وهذه النُّسْخَة من جُمْلَة الخزانة السلطانية ببجاية أبْقَاهَا الله وحَفِظَها، ومن الغريب أنِّي رأيتُ هذا الكتابَ في سَفَرٍ وَاحدٍ، رأيتهُ بحاضرة قسنطينة عند أمام جَامِعَ قَصَبَتِهَا المحروسة وهو المعروف بابن الغازي، وأكثر ما رأيتُهُ في ثمانيةَ عشر سفرًا وأقَلَّ ما رأيتهُ في سَفَرٍ، وهُوَ بِخَطٍّ بَيِّنٍ لا بأسَ به"[6]، وكذلك قوله:"ولقد رأيتُ الشَّيْخَ ...أَثْنَى عليه في بعضِ كُتُبِه ثناءً حسنًا"[7]، ونحو ذلك "...وخطوطُ شهادتِهِمَا الآن معروفةٌ وما يوجدُ من وثائقهما وكُتُبِهِما يَدُلُّ على تحصِيلِهِما

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص180.

[2] البَرْنَامَج: بفتح الباء والميم وقيل بكسرهما معا، يقصد به الورقة الجامعة للحساب أو زمام يرسم فيه متاع التجار وسلعهم، وهو معرب برنامة وأصلها فارسية، وجمعه برامج، وفي اصطلاح المحدثين الكتاب الذي يكتب فيه المحدث أسماء شيوخه وأسانيد مَرْوِيَاتِه. أنظر: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المرجع السابق، ص19.

[3] الغبريني،المصدر السابق، ص218.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص219.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص51

[6] الغبريني،المصدر نفسه، ص48.

[7] الغبريني،المصدر نفسه، ص58.

وفَضلهِمَا" [1]، وقولهُ: "ودَفَعَ لِي ولدهُ الفقيه أبو الحسن يوما قطعة كَاغِد وفيها قصيدة على قافية الغين في قَصْدِ الحج"[2]، وفي هذا المثال أيضا:"ولقد رأيتُ على نُسْخَة من نُسَخِهِ ما قَصَّهُ: "اعلم وَفَّقَكَ الله أنَّ هذا الكتاب حسنٌ في مَعْنَاه، مُخْتَرَعٌ في الترتيب ومَبْنَاه، قلَّ فيه ما يُنتقد، وكَثُر ما يُعتقد، وعليه يُعتمد، سَلَكَ مؤلفه فيه مَسَالِكَ المُهْتَدِين، وترك مَهالكَ الضَّالين المُعتدين، فَهُوَ فيه على صراط مستقيم، ومقصدٍ قويم، طَرَزَهُ بمعاني الكِتاب العزيز، فجاء كالذَّهب الإبْرِيز، وسَلِمَ فيه من غُلُوِ الغَالِين، وتَحريف المُبْطِلِين، وتأويل الجاهلين، نَفعهُ الله به آمين، وصَلَّى الله على مُحمدٍ وعلى جَميع الملائكةِ والنَّبِيِّين وسَلَّم، والحمدُ لله رَبِّ العالمين" انتهى الكلام".[3]

ولقد نَقَلَ لنا الغبريني نُصُوصًا كاملةً في كتابِهِ، كنحو قوله:"ولقد رأيتُ فصلاً فيه ذَكَرَ وفاته، بِخَطِّ الشَّيْخِ المُقْرِئ، أبي العباس ابن الخراط وأنا أذكره بنَصِّهِ، قال رحمه الله:"... انتهى كلامه..."[4]، وأيضا: "ولقد بَلَغَنِي إنَّهُ كَتَبَ عن المستنصر باستدعاء أبي عبد الله الآبار من بجاية بما نَصَّهُ:..."[5]، وأيضا نقل لنا فِهْرِستْ[6] مؤلفات ابن عربي الذي احتوى على مئتين وواحد وخمسون مؤلف..."[7] وختمه بعبارة " تمت بعون الله وحسن توفيقه في غرة غرة ذي الحِجة سنة تسعة وثمانين وستمائة نُسْخَةَ العبد الضعيف إبراهيم بن محمد بن مطهر الشيخي"[8]، وعندما يَنْتَهِي من نقله من المصادر يُرْدِفُ بعبارة " انتهى الكلام".[1]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص254.

[2] الغبريني،المصدر نفسه، ص295.

[3] الغبريني،المصدر نفسه ، ص34.

[4] الغبريني،المصدر نفسه، ص128-130.

[5] الغبريني،المصدر نفسه، ص299.

[6] الفهرس: لغة بالكسر الكتاب الذي يجمع فيه أسماء الكتب، معرب فهرست، وقد فهرس كتابه فهرسة، وجمع الفهرسة فهارس، وفي اصطلاح المحدثين الكتاب الذي يكتب فيه المحدث أسماء شيوخه وأسانيد مروياته. أنظر: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المرجع السابق، ص19.

[7] الغبريني،المصدر السابق، ص159.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص173.

وأحيانا يَستخدم الغبريني صِيَغًا مُتعددة عند إحالته إلى مواضيع سَبَقَ ذِكْرُهَا :"..المذكور في هذا الكتاب وأَجازَ لَهُ"[2] أو "هو ولد أبي العباس المذكور أبُوهُ آنفا... "[3]، وفي قوله: "المُتَقَدِّم ذكرهُ في هذا الكتاب...".[4]

نستنتجُ من خلال ما تَقَدَّم أنَّ الغالبَ على مصادر التوثيق عند الغبريني في كتابه عُنْوان الدِّراية هي المصدرُ الذاتي أو الشَّخصي، وتَنَوُّع صِيَغِ هذهِ المصادر الذاتية تارةً بذكر سَنَدِ الخبر ومصدره وتارةً يَرْوِي الخبر بذاته مباشرةً أو بصِيَغٍ أخرى كمُشَاهَدَتِه أو سَمَاعِه وفي بعض المواضع بتأكيد اللقاء مع المترجم له، وفي مواضع قليلةٍ يُوعِزُ أخبار كتابه إلى مصادر مكتوبة.

ومنهُ فإنَّ غَلبةَ التَّوثيق الذَّاتي عند الغبريني في كتابه الخاص حَوْلَ التراجم ليس جديدًا عن أصحاب هذا الفن، بل هي صِفةٌ مُلازمةٌ لكُتُب التراجم بشكلٍ عام، وكتاب الغبريني لا يَخْرُجُ عن هذا النَّسَقْ العام لكُتب التراجم.

وفي ختام هذا الفصل اتضح لنا منهج الكتابة التاريخية عند الغبريني بعد التعريف بكتابه سواء ما تعلق بأسلوبه الأدبي في الكتابة التاريخية الذي استخدم فيه كل خصائص الكتابة الأدبية المألوفة لدى غيره من المؤلفين في مختلف الفنون، أما منهجه في عرض التراجم فقد وُفِقَ الغبريني إلى حدٍّ كبير في عرض بتراجمه في صورة وافية، واهتم الغبريني كذلك بالتقيّد بالدقة في سرد الحوادث والأخبار بالإضافة إلى تحديد الأماكن واستخدم كذلك منهج المقارنة أثناء التحليل والمناقشة وتنوعت مواضيعه في هذا الجانب، ومنهجه في التوثيق هو الآخر تميّز بتنوع مصادر الأخبار عنده وأحال أخباره في العديد من المرات إلى

---

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص42.
[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص222.
[3] الغبريني، المصدر نفسه، ص244.
[4] الغبريني، المصدر نفسه، ص377.

المصادر الذاتية كالسماع والمشاهدة والرواية عن غيره، وفي القليل من المواضع عن مصادر مكتوبة، وعلى العموم فمنهج الغبريني في كتابة تراجمه لا يكاد يخرج عن أسلوب كتابة التراجم في عصره.

بعد أن تبيّن لنا في هذا الفصل منهج الكتابة التاريخية عند الغبريني في كتابه عنوان الدراية، سنتطرق إلى منهج آخر في كتابه لا يقل أهمية عن منهجه في الكتابة التاريخية، ألا وهو منهج النقد التاريخي عند الغبريني، وفق السؤال التالي: هل استخدم الغبريني النقد التاريخي في كتابه؟ وما هو منهجه وما مظاهر النقد عنده؟

الفصل الثالث

منهج النقد التاريخي عند أبي العباس الغبريني:

أولا– مظاهر النقد التاريخي

ثانيا– مواقفه من قضايا عصره

ثالثا– نقد أبي العباس الغبريني

مارست أغلبت مصادر التاريخ في الغرب الإسلامي[1] النقد –رغم تفاوت حجم ونوع النقد من مصدر لآخر– وهذا ما يُسمى بالنقد التاريخي.[2] إذا كان الأمر كذلك، فمن حقنا أنْ نتساءل عن دور الغبريني في النقد التاريخي باعتباره واحدا من مؤرخي الغرب الإسلامي.من خلال ما يلي: هل مارس الغبريني النقد التاريخي في كتابه عنوان الدراية؟ فما هو موقفه من النقد التاريخي؟ وما هو منهجه في النقد التاريخي؟ وما هي مظاهر النقد التاريخي في كتابه؟ وما هو موقفه من قضايا عصره؟ وهل وُفق الغبريني في نقده لغيره؟

أولا– مظاهر النقد التاريخي عند أبي العباس الغبريني:

لم يُمارس الغبريني النَّقد التاريخي في كتابه –والغريب أنّ عنوان كتابه الدراية[3]–بشكلٍ وَاضحٍ ومُباشِرٍ على تراجمه في حَدِّ ذاتها أو على ما نَقَلَهُ من أخبارٍ حَوْلَهُم، ولكن مع ذلك حاولت أنْ أستخرجَ منهجه في النقد وعبارات تُشِيرُ إلى استخدام الغبريني النَّقد التاريخي في كتابه، وخاصّة ما تَعلّق بقضايا أو حوادثٍ ظهرت في عصرهِ أو مصادر أخبارهِ أو حتّى تكلمه في تراجمه، وهذا النَّوع الأخير من النَّقد يَكادُ يَنعدم في كتابه.

---

[1] للتفصيل حول موضوع النقد التاريخي الإسلامي عند مؤرخي الغرب الإسلامي في المبحث الخاص بهذا الموضوع، أنظر: عيساوي ،

[2] النقد التاريخي: يقصد به تتبع وتبيان ما في مؤلفات التاريخ من تمحيص أو تحقيق، وكذلك من تأثيرات وردود وتعقيبات من المؤرخين على ما نقلوه في مؤلفاتهم سواء ما تعلق بالخبر في حد ذاته أو في مصدر هذا الخبر، للتفصيل حول النقد التاريخي عند المسلمين أنظر: عيساوي محمد، النقد التاريخي عند علماء المشرق الإسلامي–خلال القرن الثامن هجري(14م) منهجا وتطبيقا، رسالة دكتوراه، 2014–2015م، المدرسة العليا للأساتذة–بوزريعة– الجزائر، ص142–144.

[3] الدراية: نقدُ المروياتِ ورواتِها ، لتمييزِ الثابتِ منها عن غيرِه .

1-منهجه في النَّقد:

لم يستخدمْ الغبريني منهجَ النَّقد التاريخي على أصحاب التراجم في كتابه، عندما أوردَ هذه العبارة في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري الأصولي(612هـ- 1215م) حيثُ أعرض في الحديثِ بالنَّقد والذَّم عن مَنْ تَرْجَمَ لهم مُعْتَذِرًا بقوله : "...كان أمير المؤمنين المنصور[1] كَتَبَ في شأنه وشأن أبي الوليد ابن رشد[2] إلى البلاد، وكان من أَمْرِهِم ما رأيتُ الإمساك عنه ثُمَّ جاءَ أمير المؤمنين النَّاصر[3] بعده وأحسن إليهم وعَطَفَ عليهم، ولولا صورة استطرد الكلام ما ذكرتُ هذا، **لأنِّي ما زِلْتُ أَنْقُدُ على مَنْ يَذْكُرُ فضلَ أهلَ العلم ثم يَغمزُ في شأنهم ويُشِيرُ إلى القَادِحِ فيهم**، فلا أريدُ أنْ اذكرَ إلاّ الخَيْرَ أنْ أريدُ إلاَّ الإصلاحَ ما استطعتُ، وما توفيقي إلا بالله عَليهِ توكلتُ".[4]

من خلال ما سَبَقَ يَتَّضِّحُ لَنَا موقف الغبريني منْ نَقْدِ التراجم التِّي أوردها في كتابه، حيثُ رَفَضَ ذَكَرَ مَثَالِبَهُم أوْ التَّعَرُض إليهم بالجَرْحِ وفَضَّلَّ الإمساكَ عن ذلك، ولم يكْتَفِ بذلك بلْ رَاحَ ينتقدُ ويَعيبُ على منْ مَدَحَ أهل العلمِ ثمَّ يَذُّمُهُم في موقفٍ واحدٍ، وحتَّى من يَنقلُ القدح فيهم ويُظْهِرُهُ، هذه الأعذار التِّي قَدَّمَهَا الغبريني لتبريرِ موقفهِ من عدم ذِكْرِ مَسَاوِئَ المُترجمِ لَهُم، بحُجَّةِ الإصلاحِ والاقتصارِ على ذِكْرِ الخَيْرِ فَقَطْ حَسْبَ تعبيرِه، فَذِكْرُ مَثَالِبَهُم في العلمِ إنْ كانَ ظاهرهُ فيه شَر، فهُوَ في حَدِّ ذَاتِهِ خَيْر لِأَنَّ معرفةَ ما هُم عليهِ منْ

---

[1] المنصور: (580-595هـ/1184-1199م)، هو السلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي، القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب، دام حكمه خمسة عشر سنة، أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 325. وأيضا كتاب: علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص158.

[2] أبو الوليد ابن رشد (ت598هـ/1198م):العلامة فيلسوف الوقت، أبو الوليد، محمد بن أبي القاسم أحمد ابن شيخ المالكية أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي. لما كان المنصور صاحب المغرب بقرطبة، استدعى ابن رشد، واحترمه كثيرا، ثم نقم عليه بعد، وله العديد من الشروح والمؤلفات من أشهرها: "تهافت التهافت"،"فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال"، للتفصيل أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15،، دار الحديث،القاهرة،2006م،ص426.

[3] الناصر: (595-610هـ/1199-1214م)، أبو محمد عبد الله الملقب بالناصر ابن أبي يعقوب المنصور السابق الذكر، للتفصيل أنظر: أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 331. وأيضا كتاب: علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص197.

[4] الغبريني، المصدر السابق، ص211.

أحوالٍ يُفِيدُنا في تحديدِ مَدَى قِيمَةِ الأخبارِ الوَارِدَةِ عنهم، وبالتَّالي خِدْمَةَ العلم وأهلهِ بشكلٍ عام، فالغبريني نفسُهُ ذَكَرَ أهمية التَّعَرُض لأحوال الرِّجَال بما يُسَمَّى بالجرح والتعديل،[1] وذَكَرَ كذلك في مقدمة كتابه سَبَبَ تأليفِ غيرِهِ لكُتُبِ التَّراجم بقوله:" فَإِنَّهُ لَمَّا كان طلبُ العلم اللَّدُني فَرْضًا على الكِفَاية حينًا ومُتَعَيِّنًا في الحَال، ولم يَكُنْ بدٌّ في تَحصيله مِنْ تلقِّيه عن الرِّجَال، وكان التلقِّي إمَّا بمباشرةٍ أو عن سَنَدٍ ذِي اتصال، وكان المُبَاشرُ تَكْفِي معرفتهُ، **والمُسْنَدُ عنهُ لا بُدَّ أنْ تُعرَفَ صِفَتُهُ، فلذلك اهتم العُلَماء بذِكْر الرِّجال**".[2]

ومنهُ فلم يَعْتَنِ بنَقْدِ الرِّجَال في كتابه، مع أنَّ مِنْ سَبَبِ التَّأليف–كما رأينا سابقًا في مُقَدِّمَةِ كتابه– هُوَ اهتمام علماءِ الحديث النَّبَوِي بِتَتَبُّعِ أَحْوَالِ الرِّجال كَابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِي[3]، إلا أنَّهُ في كتابهِ لمْ يَتَّبِعْ هذا المنهج في نَقْدِ الرِّجال في كتابهِ، وخاصَّةً أنَّ الغبريني رَجُلُ دينٍ وَقَاضٍ مَالكي ولا يَخْفَى عليهِ أهميةَ هذا الأمر، فليس ذِكْرُ الجرح والتعديل والتَّكَلُّمِ في أصحابِ التراجمِ غِيْبَةً وخُلُقٌ ذَميم، فهذا العملُ ضَرُورَة تاريخية[4] لا يُمْكِنُ لِمُؤَلِّفٍ مِثْلَ الغبريني عَدَمَ العملَ بها وتطبيقها على تراجمه، وخاصَّةً أنَّ كتابَهُ اعتمد فيه على الأسَانيد والرِّوَاية عنْ غيره فَهُوَ بحاجةٍ إلى نَقْدِ تراجمَ رِجَالِهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِه.

---

[1] الجرح والتعديل: فالجرح لغة: التأثير في الجسم بسلاح ونحوه وبابه نفع: والجرح بالضم الاسم وجرحه كجرحه بتشديد الراء ويطلق أيضا على الجرح المعنوي وفي الاصطلاح: ذكر الراوي بصفات تقتضي عدم قبول روايته. أما التعديل لغة: التسوية وتقويم الشيء وموازنته بغيره. وفي الاصطلاح: وصف الراوي بصفات تقتضي قبول روايته فهي شهادة بالتزكية تصحح العمل بمرويه. أنظر: محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، ص385.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص19.

[3] ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل، ثم المصري، الشافعي، قاضي القضاة شيخ الإسلام، شهاب الدين، أبو الفضل بن نور الدين،فريد زمانه، وحامل لواء السنة في أوانه،ومقدم عساكر المحدثين، وعمدة الوجود في التوهية والتصحيح، وأعظم الشهود والحكام في بابي التعديل والتجريح والنقد. شهد له بالإنفراد خصوصا في شرح البخاري كل مسلم، ومن أشهر كتبه" فتح الباري = =شرح البخاري " الإصابة في تمييز الصحابة "، للتفصيل أنظر: السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تح: فيليب حَتِّي، المكتبة العلمية، بيروت، ص45.

[4] للتفصيل حول أهمية ذكر المؤرخ لعيوب تراجمه التي تفيد في قبول أخباره أو ردها، أنظر: محمد كمال عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط: 1، 1984م، ص 412–418.

فالغبريني انطلقَ من نَظْرَتِهِ الدِّينية العاطفية الخاطئة، بأنَّ التَّكَلُّم في مَسَاوِئِ أهلِ العلم يُعْتَبَرُ ذَمِيمَة،[1] وهو ليس كذلك فالجَرْحُ جائز وإنْ تَضَمَّنَ الغِيْبَةُ، وَهَتْكِ سِتْرِ المُسْلِم، وَإيغَارِ صَدْرِهِ وغير ذلك مِمَّا نَهَى الشَّارِعَ عنه، وذلك صِيانةً للشَّريعَةِ مَنَ الدَّخَلِ والزَّائِف؛ لأنَّهُ لَوْ لَمْ يَجُزْ لمْ يَتَمَيَّزْ الصَّادق من الكَاذب والفاسق من العَدْلِ، والمُغْفَلِ مِنَ الضَّابِط، ولاخْتَلَطَتْ الأحاديثُ الصَّحيحةُ بالضَّعيفة والمَوْضُوعَةُ والْتَبَسَ الحَقُّ بالبَاطِل، وَلَقَامَ المَلاَحِدَةُ والزِّنَادِقَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ للإفساد في الشَّريعة والتَّزَيُّدِ فيها فَهُوَ مِنْ فُرُوعِ قاعدة "الضَّرُورات تُبِيحُ المَحْظُورَات" ويَدُلُ على جَوَازِه بَلْ وُجُوبِهِ قولُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[2], وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت:أتيتُ النَّبِيَ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ– فَقُلْتُ: إنَّ أَبا الجَهْمِ ومُعَاوِية خَطَبَانِي فقال رسولُ الله –صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: "أمَّا مُعَاوية فَصُعْلُوك –يَعْنِي فَقِير– وأمَّا أبو الجَهْمِ فَلا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ – يَعْنِي أَنَّهُ كَثِيرُ الضَّرْبِ للنِّسَاء – "[3]

فَمِنْ خلال هذهِ النُّصُوصِ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَة النَّبَوية يَتَبَيَّنُ مدى أهمية علم الجرح والتعديل وأنَّ التَّكَلُّم في الرجال وَلَوْ بِسُوءٍ إنْ كان فيهِ دَرْءٌ لمفاسدَ وجَلْبَ مَصَالِحَ مُعَيَّنَة فَهُوَ عملٌ بلا شَكٍ محمود، حتَّى لو كانت هذه المصالح متعلقة بأعمالٍ وحاجاتٍ دُنْيَوِيَة كَذِكْرِ عُيُوبِ طَالِبَ زَوَاج كما رأينا في الحديث السابق، فهذا الأمر مطلوبُ العَمَلَ بهِ أكثرَ إذا تَعَلَّقَ بالجانب الدِّينِي وَفِيهِ مَصْلَحَةٌ وخِدْمَةُ خَاصّة للدِّينِ والعِلْمِ، وللمسلمين والنَّاس بشَكْلٍ عام، كما أن النقد مجاله أوسع ولا يتعلق بأحوال الرجال فقط تعديلا و جرحا، وإنما يتعلق أيضا بالمتون وفيها يتوسع الناقد في تحقيقها وقد لا يذكر عيوبا لرواة الخبر.

ومن المُلاحظ أنَّ الغبريني سَقَطَ في فَخِّ الانتماء لهذه الفئة من أصحابه في التَّصَوُّف وتقديسِ شُيُوخِهِ وأصْحَابِهِ، لهذا لمْ يَكُنْ لهُ مَوْقِفٌ سِلْبِي اتِّجَاهَ تَرَاجِمَ كَتَابُه، بَلْ وحَتَّى إنْ غَمَزَ

---

[1] وهي هذه النظرة الدينية وقع فيها غيره من العلماء سواء كانوا قبله أو بعده، للتفصيل أنظر: السخاوي، التوبيخ لمن ذم التاريخ،

[2] القرآن الكريم: سورة الحجرات، رقم الآية 06.

[3] رواه مسلم تحت رقم: 1480 وصححه الألباني، أنظر: مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج2، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص1114. وأيضا كتاب:الألباني، صحيح أبي داود – الأم، ج7، المؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: 1، 2002 م، ص53.

أَحَدُهُم على حَدِّ قولِهِ يَتَراجعْ ويَعتذرْ ولو كان ذلك على سبيل الإخْبَارِ وليس النَّقد، كَنَحْوِ قولِهِ في المِثَال السَّابِق، كَقَوْلِه: "**ولولا صورة استطرد الكلام ما ذكرتُ هذا**"، وهذا مَوْقِفٌ سِلْبِيٌ منهُ فماذا نَستفيدُ مِنْ كُتُبِ التَّراجِمِ إنْ لَمْ تَذْكُرُ مَثَالِبَ الرِّجَالِ وَعَدَالَتِهِمْ؟ فالغبريني تَوَرَّعَ عَنْ ذلك.

ولكن رَغْمَ هذا الموقف إلاّ أنَّ هُنَاكَ شَذَرَاتُ[1] نَقْدٍ لتراجمهِ لا تَتَعَلَّقُ بعدالتِهم وضَبْطِهِمْ كما هُوَ معروف عند عُلَمَاءِ الجَرْح والتعديل، بل النَّقد يتعلقُ بألقابهم العِلْمِيَة أوْ تَمَكُّنِهِم مِنْ علمٍ دُونَ آخَرْ أوْ ما وَرَدَ عنهُمْ مِنْ أخبَارٍ أو مَا صَدَرَ عنهُمْ مِنْ آراءٍ فقهيةٍ أو عِلْمِيَةٍ أو حَتَّى ما نُسِبَ إليهم مِنْ مُؤَلَّفَات، ومواضع النَّقْدِ في كِتابه تَكَادُ تنعدمُ ونادرةٌ نظرًا لموقفهِ مِنْ نقد العلماء، ولكن قُمْنَا بِتَتَبُع أقواله وتعليقاتهِ وآرائهِ حول ما ذكرهُ في كتابهِ ممَّا يَتعلقُ بالمترجم له في حَدِّ ذاتهِ أو بمصادر أخبارهِ وأحيانًا الخبر نفسهُ بعباراتٍ تُفيدُ امتعاضه منها ورفضهِ ورَدِّهِ إيَّاها، بَلْ الغبريني نَقَدَ حَتَّى وَاقِعَ بَعْضَ العلوم في عصره كالطِّب مثلاً. ونظرًا لتَنَوُّعِ مَوضُوعات النَّقْدِ عنده، رأينا عَرْضَ موضوعاتها حَسْبَ الترتيب التالي:

1–نقد أصحاب التراجم:

ذَكَرَ في أحدِ تراجمهِ مُبْرِزًا حُكْمَهُ في علمهِ والصِّفة الغالبة عليه، كنحو قوله: "وما كان يُحِبُّ أنْ يُنسَبَ إلا إلى إنَّهُ من الفُقهاء لا من الأُدباء، **ولكن الغالبُ عليه إنّما هو الأدب**"[2] وكذلك قوله في آخر: "وكان يقرأ عليه الفقه، **وكانت بِضاعتُهُ فيه مُزجاة**[3]..."[4]، ونقد وعلّق في موضع آخر ما ذُكِرَ عَنْ مَنْ تَرجم لهم من أخبار، كما في هذا المثال: "ومن جملة ما

---

[1] حاولنا –رغم صعوبة هذا الأمر– قدر الإمكان تتبع تعقيبات وتعليقات ومواقف الغبريني في كتابه للخروج بهذا الفصل النقد التاريخي عنده، رغم قلة هذا الجانب النقدي في كتابه.

[2] الغبريني: المصدر السابق، ص341

[3] مزجاة: بمعنى أنَّ بضاعته قليلة، يسيرة قليلة، الناقِصةُ، أنظر: ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري،لسان العرب، ج14، دار صادر، بيروت،ط:1، د.ت، ص355.

[4] الغبريني: المصدر نفسه، ص77.

ذُكِرَ، إنّه رأى في بلاد الهند[1] صبغةً إذا خَضَّبَ بها الخاضِبُ يُقِيمُ ثلاثين سَنَة لا يَفتقر إلى خِضَاب، وكان من جُملة الحاضرين بالمجلس أبو الحسن المروزي من فُضَلاَء الأطِّباء، فَأَنْكَرَ هذه القضية وأَنْكرها الخليفة، **وهي بِواجبٍ أنْ تُنْكر، لأنَّ هذا إما أن يمنع النمو ويُحيل الطبيعة أو وجه غير هذين، والكُلُ مستحيل..**"[2]، فلقد استخدم الغبريني في ردّ هذه القِّصَة وَوَافَقَ على من أنكرها بقوله: "وهي بواجب أن تنكر، لأن هذا أما أنْ يمنع النمو ويحيل الطبيعة أو وجه غير هذين، والكل مستحيل..."، فاعتبر الغبريني دوام هذا الخِضَاب هذه المُدة الطويلة يَمنع الشَّعر من النُّمو أو حتَّى وإنْ أمْكَنَ بَقاء هذا الخِضاب لهذه المدة الطويلة فهو يَتنافى مع طبيعة نُمُوِ جِسْمِ الإنسان، بل اعتبر كُلُ ذلك مستحيل سواءَ أَكَانَ مَنْعًا لِنُمُوِ الشَّعْرِ أو بَقَائه مع مُخالفته لطبيعة نُمُو جسم الإنسان ، أو افتراض حَلٍّ ثالثٍ غير هذين، فَكُلُ هذا مستحيل، فَرَدَّ الغبريني هذه القصة باستخدام الطِّب وطبيعةِ نُمو جسم الإنسان، وكذلك مخالفته لما تعارف عليه الناس.

نقد الغبريني في موضع آخر من كتابه ما صَدَرَ عَنْ مَنْ تَرْجَمَ لَهُمْ مِن اعتراضِ أو رَفْضِ روايةَ كُتُبِهِمْ عنهم من طَرَفِ الطلبة الذين يَحضرون مجالسهم، و من خلال هذا النَّص يَتَبَيَّنُ لنا ذلك، في قوله نَقْلاً عن أحدهم:" قال: في "برنامجه" إنَّهُ سَمِعَ عليه كتاب "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" من فاتحته قراءة تَفَقُّهٍ، قال: فأَوَّلُ مجلس حضرته عليه أردتُ أنْ أُقَيِّد ما يقوله على الكِتاب، قال: فمشيتُ إلى داري وقيّدتُ ما عَلَقَ بخاطري من كلامه، فلمَّا كان من الغد وَوَقَعَ الحضور للدرس، كان أَوَّلَ ما افتتح به الشَّيخ كلامه أنْ قال: أنا لا أُريد أنْ يُقيَّد عَلَيَّ شيء ممَّا أقوله على هذا الكتاب، أو كلامًا ما هذا مَعناه، فكانت

---

[1] الهند: إلى الشرق منها بلاد الصين والتبت، وإلى جنوبها البحر الأعظم، وغربها نهر مهران، وشمالها بلاد شكنان وخان وقسم من التبت. وهى بلاد وفيرة الخيرات عامرة، ذات ممالك كثيرة، وفيها مدن كثيرة ، وهي بلاد واسعة كثيرة العجائب. تكون مسافتها ثلاثة أشهر في الطول وشهرين في العرض، وقد اختصت بكريم النبات وعجيب الحيوان، ويحمل منها كل طرفة إلى سائر البلاد مع أن التجار لا يصلون إلا إلى أوائلها. وأما أقصاها فقلما يصل إليها أهل بلادنا لأنهم كفار يستبيحون النفس والمال.للتفصيل أنظر: مجهول (ت بعد 372هـ/982م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج1، تح وتر: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423هـ، ص80. وأيضا: زكريا القزويني بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص127.

[2] الغبريني: المصدر السابق، ص183.

تلك إحدى كراماته رضي الله عنه التي شاهدتها منه، فأمسكتُ عن التَّقْييد[1]، قال: وكان ذلك بداره ببجاية سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة. ومنهم القاضي المحدث العالم أبو محمد عبد الحق الأزدي الاشبيلي، رَوَى عنه مباشرةً ببجاية كتاب "الموطأ" وغيره من الكُتُب، وَرَوَى عنه بواسطة عن الأستاذ أبي ذر مصعب بن محمد عنه، وهذا ممّا يَدُّلُ على فَضْلِه"[2]، فَعَلَّقَ الغبريني على رَفْضِ صاحب الترجمة التَّقْييد عنه مباشرة، بقوله: "فإنَّ المألوف أنَّ الإنسان إذا شاركَ في الشَّيْخِ لا يُرْوَى عنه بواسِطة، **غَيْرَ أنَّ هذا إنَّما هو من رُعُونَات النَّفس، والحقُ أنَّ الإنسان كَيْفَ ما وَجَدَ الفائدة تَلَقَّاهَا** "،[3] فالصوابُ مع الغبريني فما الفائدةُ من الحضور والاستماعِ إلى دُرُوسِ العُلَمَاء إلا للرَّوَايَةِ عنهم مُبَاشرةً وكتابة ما يَصْدُرُ عنهم من شُرُوحٍ وتعليقاتٍ على الكُتُب وفتاوى خاصَّةً إذا كان هذا الحضور مِنْ خَوَاصِ طلبة العُلماء كما لاحظنا في المثال السابق، فهذا من رُعُونَاتِ النَّفْسِ كما قال الغبريني، فطالبُ العلم مَقْصَدُهُ من التَّفَرُغِ للعلم ومُجَالَسَة العُلماء إلا للاستفادةَ وتَقْيِيد كَلاَمِهِمْ لِأَنَّهُ كَمَا قِيلَ القِرَاءَةُ صَيْدٌ والكِتَابَةُ قَيْدٌ.

كذلك نَقَدَ الغبريني مَا نُسِبَ للمترجم من مؤلفات، وَمِنْ خِلال هذا المثال يَتَّضِحُ ذلك، في قوله: "وسمعتُ بعض الطلبة يقول أنَّ لهُ تَقْيِيدًا على "المُستصفى"[4] لأبي حامد الغزالي[5]

---

[1] التَّقْيِيد: المُقَيَّدُ لغة: اسم مفعول وهو ضد المطلق، وقَيَّدَ العلم بالكتاب ضبطه، وكذلك قيد الكتاب بالشكل شكله، وتقييد الخط تنقيطه وإعجامه وشكله، وقيد الشيء في دفتر، أو ورقة سجله. وفي اصطلاح المحدثين: الكتاب الذي يكتب فيه المحدث أسماء شيوخه وأسانيد مروياته. أنظر: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المرجع السابق، ص19.

[2] الغبريني: المصدر السابق، ص 218–219.

[3] الغبريني: المصدر نفسه، ص219.

[4] المُستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي، وهو في أصول الفقه جمع فيه، ومنهج الغزالي في هذا يعرض المسألة ويبين الرأي فيها ويذكر آراء العلماء الموافقين لها ثم يذكر قول المخالفين وأدلتهم فيه القياس ثم يناقش الأدلة ويردها معتمدا على الأدلة النقلية والعقلية ليصل إلى الترجيح والقول المختار والصواب. وشرحه الفهري (679هـ/1280م) والعبدري المالكي في المستوفى وعليه تعليق للغرناطي (639 هـ/1241م). واختصره الإشبيلي (647هـ/1249م) وابن رشد الحفيد (595هـ/1199م) .للتفصيل أنظر: أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تح محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م.

[5] أبو حامد الغزالي(ت505 هـ–1111م): محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الإمام زين الدين أبو حامد الغزالي، الطوسي، الفقيه الشافعي، درس بالمدرسة النظامية ببغداد صنف التصانيف من أشهرها "إحياء علوم الدين"، وفي الأصول: "المستصفى"،

وأَظُنُّهُ صَحيحًا ولَعَلَّهُ إنَّمَا عَلَّقَ عليه. ورأيتُ بِخَطِّهِ رحمهُ الله تأليفًا في الموسيقى، وقال لي بعض الطلبة: " إنَّهُ من تَصْنِيفِهِ وما وَثِقْتُ بذلك، **ويَظْهَرُ لِي إنَّهُ كلام** أبي علي ابن سينا[1]...".[2]

من خلال هذا النَّص أيضًا فالغبريني لمْ يَأخُذْ بِكُلِّ ما سَمِعَهُ عن تراجمه من مؤلفات بل رَدَّ بَعضها وَذَكَرَ عبارات تُفِيد نَفْيُهُ نِسْبَةَ هذه المُؤَلَّفَاتِ لمن تَرْجَمَ لهم بقوله:"وأظُنُّهُ صحيحًا ولعله إنَّما عَلَّقَ عليه، فالغبريني غَيْرُ مُتَأَكِدٍ سواءَ مِنْ تَقييد المترجِمِ لهُ على الكتاب أو حَتَّى تعليقهِ عليه، فهو يَرَى أَنْ تَعْليقَ المترجم له على هذا الكتاب أقربُ إليه من تقييده عن هذا الكتاب. فالغبريني فَنَّدَ مُؤَلَفًا آخر للمترجم لهُ نفسهُ رغم أنّهُ رَأَى بخَطِّهِ هذا المؤلف، وأَرجعَ عدم نِسْبَة هذا الكتاب إلى المترجم لهُ لأنَّ ما ذُكِرَ في الكتاب ليس من كلامِ المترجم لهُ بل هو من كلام أبي علي ابن سينا.

إذًا فالغبريني استخدمَ اطِّلاعه الواسع ومعرفتهُ بالمُستوى المَعرفي والعِلمي للمترجم لهم واطلاعه على مُؤلفات غيرهم والإلمامُ بأساليبهم في الكِتابة واستخدامها في إثباتِ أو نَفْيِ ما نُسِبَ إليهم مِن شُرُوحٍ ومُؤلفات.

2-نقد المصادر:

اعتمد الغبريني على مَجموعة من المصادر التِّي ذَكَرَهَا في ثَنَايَا كتابه أثناء سَرْدِهِ للأخبار، لكن المُلاَحَظُ أنّهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ للمصادر بالتقويم والنَّقد سِوَى أنّهُ كان يَنْسُبُ الأخبار لمصادرها مباشرةً مثل عبارة، " قال:...،" وأحيانًا يُحِيلُ إلى المصادر لمعرفة تفاصيل أكثر عن الحادثة، وإذا ذَكَرَ للخبر أكثر من مصدر، أَوْرَدَ الخبر، وقال: " في قولٍ أو هكذا نَصَّ

---

[1] أبو علي ابن سينا (ت 428 هـ- 1037 م): العلامة الشهير، الفيلسوف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي، ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق. وصنف كتاب " الشفاء " في الحكمة، و " النجاة " و " الإشارات " و " القانون " وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى، للتفصيل أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج17 ، ص531. وأيضا أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط،1900م، ص157.

[2] الغبريني: المصدر السابق، ص210.

أو على ما ذكرهُ" أمّا يَتَعلقُ بنقده للخبر سَنَدًا ومَتْنًا فقد تناول الغبريني بعض الأخبار التِّي أوردها في كتابه الدِّراية بالنَّقد سواءً بالرَّد أو بالقبولِ كما جاء رده في ترجمة عبد الحق الاشبيلي، حيثُ ذَكَرَ الغبريني نَاقلاً عن غيره، بقوله:"وقال عبد الحق البجائي، وفي بعض نُسَخِ ابن شاس[1] وقال عبد الحق اليماني **وهو غَلَط، وإنَّما نسبهُ إلى بجاية لاستيطانه بها وظهور حالهِ وتصانيفه فيها**"[2]، فَرَدَّ الغبريني هذا النسبِ الخَاطئ وبَيَّنَ مواضعَ هذا الخطأ حيثُ قال أنَّ هذا الخطأ موجودٌ في نُسَخِ ابن شاس، ثُمَّ قامَ بتصحيح الخطأ، حيثُ يُبَيِّنُ كُلُ هذا سِعَةَ اطِّلاع الغبريني على مصادر أخباره فَصَحَّحَ نِسْبَةَ عبد الحق إلى بجاية وبَيَّنَ كذلك سَبَبَ نِسْبَتِهِ إلى بجاية بَدَلاً مِنَ اليَمَنْ كما جاء في نُسَخِ ابن شاس، فكذلك الغبريني أنَّهُ كانت لديه نظرةً نقدية للمصادر ويُعَقِّبُ على الخطأ الوارِدِ فيها.

3-نقد الخبر:

أمَّا فيما يتعلقُ بقبوله للأخبار أو مُوافقته إيَّاها، فَوَرَدَ ذلك عند الغبريني فيما ارتبط بتعليقه على ما جَرَى بَيْنَ عُلماء عصره من حِوارٍ في مسائل مختلف فيها بقوله:"وكان شيخنا أبو محمد عبد العزيز بن كحيلة[3] أحد الحاضرين والخاصين به من طلبته، فقال: ننظر من يُصَلِّى يَنْصِرُفُ النَّاس " فقال له بعض الحاضرين: الحَقُّ في هذا لوليه أبي عامر وأبي جعفر وكانا بالحضرة، فقال الفقيه أبو محمد عبد العزيز ما تَكَلَّمْتُ إلا بألسنتهما، فقال له أبو عبد الله الآبار[4]: يا فقيه ويجوزُ بلسانيهما -مُنْكِتًا عليه في إنّهُ أَوْرَدَ الجَمْعَ مَحَلَّ التَثْنِيَة-

---

[1] ابن شاس:(ت 616 هـ/1219م) أبو محمد عبد الله بن نجم الجذامي، الشيخ، الإمام، العلامة، شيخ المالكية، جلال الدين، أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن شاس الجذامي، السعدي، المصري، المالكي، مصنف كتاب (الجواهر الثمينة، في فقه أهل المدينة) .للتفصيل أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج22، تح : شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط : 3 ،1985 م، ص99.

[2] الغبريني: المصدر السابق، ص43.

[3] عبد العزيز ابن كحيلة شيخ الغبريني، للتفصيل أنظر المبحث الخاص بشيوخ الغبريني في هذه الرسالة.

[4] أبو عبد الله بن الآبار: (658هـ/1260م)الإمام العلامة البليغ الحافظ المجود المقرئ مجد العلماء أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي الكاتب المنشئ، ويقال له: الأبار وابن الأبار. كان بصيراً بالرجال المتأخرين، مؤرخاً، حلو التترجم، فصيح العبارة، وافر الحشمة، ظاهر التجمل،

فقال الفقيه أبو محمد مُجَاوبًا: نَطقتُ بما نطق الله به في القرآن، قال الله تعالى {إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما} وهذا هو الصوابُ وغيرهُ خطأ"، [1] فوافق الغبريني شيخه أبا محمد لأنه رأى معه الصواب بموافقته ما جاء في القرآن الكريم ولا عَجَبَ في ذلك.ولكن الذي يَهُمُّنا في هذا هو تَعْقِيبَهُ وإبداءِ رأيه في ذلك.

ولكن هذا النَّقد للأخبار قليلٌ في كتابه بحُكْم أَنَّ مصادر أخباره في كتابه كانت مصادرَ ذاتية ومُعاصرة مُعتمدة على حَواسِه، كما أنَّ الذين كَتَبَ عنهم أو تَرْجَمَ لهم، فالغبريني لَقِيَهُمْ أو سَمِعَ عَنْ مَنْ لَقِيَهُم مُباشرةِ من تلامذَتهم أو مِنْ أصحابه.

نَقَدَ الغبريني وَعَاتَبَ على من يستهزئُ أو يَرُدُ كرامات الأولياء التِّي كانتْ سِمَةَ عَصْرِهِ، وأَنْكَرَ على كل مَنْ رَدَّهَا أو نَفَى حُدُوثها سَاخِرًا وَرَادًا عليهم ودِفاعًا عن أصحاب الكرامات ومُوَافِقًا لهم كما في قوله: "وقد يقعُ في هذا إنكارٌ من مُلحدٍ لا عِلْمَ لهُ **وَحَقُّهُ الإعراضُ عنهُ وعدم الالتفات إليه، وانْ زاد فيصفعُ في وجههِ عِوَضًا عن قِفَاه**، كما جَمَعَ الله له الخِزْيَ في أُوْلاه وأُخْراه"[2].

كما أنَّ الغبريني في موضع آخر من كتابه عَبَّرَ عن رفضهِ لبعض ما قد يَصدر عن أصحاب عن الكرامات في عصره، كما جاء في ترجمة أبي الحسن عبيد الله بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى الأزدي(ت691هـ - 1292م) مُتحدثًا عنه قائلاً: "وكان مُتنزهًا عن مقالة المُتلبِّسِين، وشَعوذَةِ المُشَعْوِذِين، غير مُسَامِحٍ في شيء مِمَّا يُخالف ظاهر الشريعة ولا عامِلَ على شطحات[3] المُتَصَوِّفة..."[4]، وفي موضع آخر مُتحدثا عن ما جَرَى لهُ من جدالٍ مع أبي الحسن الفقير، المعروف بالطَّيَّار في قوله: "ولقد مضى بمسجده أبو الحسن الفقير، المعروف

من بلغاء الكتبة، وله تصانيف جمة منها "تكملة الصلة" في ثلاث أسفار، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 16، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 2006م، ص472.

[1] الغبريني: المصدر السابق، ص287.

[2] الغبريني: المصدر السابق، ص50.

[3] شطحات الصوفية: يقصد ما يفصح به كبار الصوفية من كلام عند شهودهم الحضرة الإلهية، وسميت شطحات لأنه كشف عن أسرار التصوف دون إرادة منه، وهي عين التصوف وتكشف مدى الإلحاد فيه، أنظر: رفيق العجم، المرجع السابق، ص498.

[4] الغبريني: المصدر نفسه، ص107.

بالطيار، مع صَحْبٍ لهُ من الفُقراء[1]، ودخلوا عليه في وقتٍ يُحَيًّا فيه المسجد فجلسوا من غير تَحِيَّةٍ، فأمرهم بالتَّحِيَة، فقال له الطَّيَار " ولذكر الله أكبر " وامتنع من الركوع، وَوَقَعَ بينهُ وبينهم في هذا كلام، ولمَّا ظهر منهم التَّوَقُف مع هذا المَقَال، وعدم النُّزُوع عن هذا الحال، وَقَعَ العمل على نَفْيِهم إلى المغرب، وإخراجهم من البلد. **والنَّفْيُ في حَقِّ هؤلاء وأمثالهم قليل، وإنَّما الواجبُ أَنْ يُعَاملوا بِأَسْوَأ التَّمْثيل. وهؤلاء جُملة أغبياء لا عِلْمَ ولا عَمَلَ ولا تَصَوُّف ولا فِهْم.** وهم مع ذلك يَجهلون الناس، ويعتقدون أنَّ مَبْناهم على أساس"[2] فالغبريني وَافَقَ على نفي هؤلاء لأنُ ما جَاؤوا به يُخالف تَصَوُّف رجال عصره، وعَبَّرَ عن ذلك بصريح العبارة.

ويظهر النَّقد عند الغبريني عندما حاول إظهار رأيه مُستخدمًا بعض الألفاظ والعبارات التي تَدُّلُ على عُمْقٍ في التفكير، وقُدرته على تحليل الأخبار وتفسيرها، حيث عَلَّقَ على ما جاء في وَصْفِ أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي –تُوفي في القرن السابع الهجري– باهتمامه بالتوحيد كما وَصفهُ الغبريني:" وكان قَوِّيًا في علم التوحيد، وكان يرى أَنَّ التَّوَصُل إلى الحقائق إنَّما هو بالتوحيد، والتَّرَقِي إلى أعلى المَرَاقِي إنَّمَا هو في التوحيد"[3]، فَعَلَّقَ الغبريني مُؤَكِدًا على أهمية التوحيد على ذلك بقوله:"**ولا جَرَمَ أَنَّ هذا هو الأمر السَّدِيد، لِأَنَّ أَوَّل الأمر إنَّما هو التوحيد، وآخرهُ إنَّما هو التوحيد، فالتوحيد عِصْمَةٌ في الدُّنْيَا وَعِصْمَةٌ في الآخرة، وهو مَطلوبٌ ابتداءً وانتهاءً وما بينهما**"[4].

وعَلَّقَ الغبريني أيضًا عن ما جاء في وَصْفِهِ أبا زكرياء يحيى بن أبي علي المُشتهر بالزواوي (ت 611هـ – 1214م) بالخوف بقوله:" وكان يجلس لعلوم الحديث ولعلوم الفقه ولعلوم التذكير، وكان الغالبُ عليه رضي الله عنه الخوف، ما يَمُّرُ بمجلسه إلا ذَكَرَ النَّار

---

[1] الفقراء: جمع فقير ولا يقصد به عند الصوفية الفاقة والعدم فحسب بل الفقر المحمود الثقة بالله والرضى بما قسم، وهم من المريدين أي الأتباع وهي رتبة من رتب التصوف، للتفصيل أنظر: رفيق العجم، المرجع السابق، ص719.

[2] الغبريني: المصدر السابق ، ص107–108.

[3] الغبريني: المصدر نفسه، ص123.

[4] الغبريني: المصدر نفسه ، ص123.

والأغلال والسعير، وتكادُ تَفيض قلوبُ الحاضرين في مجلسه، هذا هو حاله دائما."[1] ثُمَّ عَقَّبَ الغبريني على ذلك مُوَافِقًا له بقوله "**وهذه الطريقُ، هي أحسنُ الطَّرِيق في الدُّعاء إلى الله تعالى، إذْ جَبَلَ الله الخَلْقَ على أنَّهم لا يَنفعلون غالبًا إلا بالخوف، ولأجلِ هذا كان أكثر الشريعة تخويفًا**"[2].

نخلص من هذا البحث أنّ الغبريني لم يستخدم النقد التاريخي في كتابه ورفض استخدام النقد على تراجم كتابه وهذا بلا شك عمل خاطئ وسلبي منه، وبرر ذلك بالورع وعدم ذكر محاسن ومثالب الرجل في موقف واحد، ولكن رغم هذا الموقف السلبي اتجاه النقد التاريخي إلا أننا استطعنا استخراج مظاهر النقد في كتابه-رغم قلتها- كتعليق منه على خبر أو مصدر أو علم من العلوم، هذا منهجه في النقد، فما موقفه من قضايا عصره كالصوفية والتصوف والكرامات وحال الطب وموقفه من السلطة في عصره، بل كان له موقف من العربية وصرفها؟

[1] الغبريني: المصدر نفسه، ص128.

[2] الغبريني: المصدر نفسه، ص128.

ثانيا– مواقفه من قضايا عصره:

تَحدَّث الغبريني في ثَنَايا كتابهِ عن قضايا وأحداثٍ مَيَّزَتْ عصرهُ وأَبْدَى موقفهُ، منها ما تَعَلَّقَ بالسياسية كموقفه من السُّلطة في عصره، ومنها تَعَلَّقَ بالحياة المذهبية كالتَّصوف وكراماتِ الأولياء، بَلْ وتَحَدَّثَ حَتَّى عن الطِّب في عصره. ونورد هذه المواقف وفق الترتيب التالي:

1–السلطة في عصره:

تَبَايَنَتْ مواقف الغبريني حول السُّلطة التِّي عاصرها أو نَقَلَ أخبارًا عنها، حيثُ تناولها على وجهين، إحداها بالتَّأيِيد والمدحِ والأُخرى بالرَّفْضِ والذَّم. فنحنُ نعلم أنَّ العصرَ أو القَرْنَ الذي عاشَ فيه هو القرن السابع هجري، حيث تَدَاوَلَ على حُكْمِ بجاية في هذه الفترة ثَلاث قَوَى سِيَاسِيَة، في الرُّبْعِ الأول منهُ تَبَادل حكم بجاية المُرابطون مُمَثَّلِين في ابن غانية[1] والموحدون مُمَثَّلِين في وُلاَّتِهِم على بجاية الذين سَبَقَ الإشارة إليهم، ثُمَّ خَلَفَهُم في حُكْمِها الحَفْصِيِين الذين هُم امتداد للمُوَحِّدِين. ومنه فهذا القرن حُكِمَتْ فيه بجاية من طرفِ سُلْطَتَانِ مُختلفتان ومُتصارِعتان، فهل اختلف موقف الغبريني منهما؟ فلماذا هذا الاختلاف؟ وكيف تناول الغبريني أخبار السلطتين؟ وهل انعكس هذا الاختلاف بينهما على مواقفه؟ فمن خلال الأُنْمُوذَجْ التَّالي يُمْكِنُ إبراز موقفهُ من ذلك.

أَوْرَدَ الغبريني أثناءَ حديثه عن أحدِ المُترجم لهم في كتابه، خَبَرًا عن ابن غانية ودخولهِ بجاية، سَنُورِدُ نَصَّ الغبريني كاملاً حَوْلَ هذه الحادثة وهو كالتَّالي:"وكانت أَجْفَانُ إسحاق بن غانية تَصِلُ أيضا من مَيُورقة كما تَصِلُ به أجْفانُ بجاية، وكان إسحاق ابن غانية بجزيرة ميورقة وهو بَقِيَّةُ اللَّمْتُونِيين، فَوَجَّهَ لهُ من مراكش منْ قِبَلِ خليفتها مَنْ يَطْلُبُهُ بالبِيعَة والدخول تحْت الطاعة، فامتنع من ذلك، وكان بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَدَاهُ علي ويَحْيَى فقال للرسول أنا لا أراهم ولا يَرَوْنَنَي، ولكن قُلْ للمُوَحِدِين يُهَيِّئُونَ ما يُنْفِقُون على رأس هذين، وأَشَارَ إلى رأس ولديه،

[1] للإطلاع على ابن غانية، أنظر الفصل الأول في المبحث الخاص بالحياة السياسية.

فانفصل الرسول عنه وتجهز الولدان بعد كبرهما في طرائد فيها بعض الفرسان ووصلا إلى شاطئ بجاية بمحل بيع السبي منها. وكانت البَلْدةُ شاغرة من الجيش، فتلقَّاهم الناس على عادة تلقِّيهم لأجل السَّبْيِ، فنزلت الخيْل مُعِدَّة ولما وصلت له مُسْتعدة، والنَّاس ما عندهم من شأنهم خبر، فطلعوا على جبل الخليفة ودخلوا من باب "اللوز" إلى قصبة البلد وتَملَّكُوا البلد، ولم يكن فوق باب اللوز سُورٌ في ذلك الزمان، وطلبوا الناس بالبِيعَة فبايعوهم، وكان الشريف أبو الطاهر عمارة رحمه الله ممن امتدحهم وأَنْشَدَ بَيْنَ أيديهم ورُبَّمَا تَعَرَّضَ في بعض مَقَالِهِ جَرْيًا على عادةِ الشُّعراء أمثاله، ثُمَّ أَنَّ الموحدين تَجَهَّزُوا بَرًا وبحرًا مِنْ فَوْرِهِم ليستأصِلوا من البغاة شَأْفَةَ أمرهم فانفصل علي بن غانية عن الحال وَتَبِعَ الموحدون النَّاس بما ظَهر منهم من مَقَالٍ أو فِعَالٍ، وكان من جُمْلَةِ الأمر إنه لما خَطَبَ لهم قال الخَطِيبُ في خُطْبَتِهِ، والحمدُ لله الذي أعاد الأمر إلى نِصَابِه، وأزالهُ من أيدي غُصَّابِهِ، فاشتدَّت وطْأَتُهُم على أهلِ العلم واعتقلوا أُنُاسًا منهم"[1].

فمن خلال النَّص السَّابق يُمْكِنُ التَّعَرُّف على موقف الغبريني من خلال النص السابق، وهي كما يلي: وكان إسحاق ابن غانية بجزيرة ميورقة وهو بقية **اللمتونيين**، عندما نسب الغبريني ابن غانية إلى اللمتونيين أَيْ إلى القبيلة التِّي كانت أصلَ نُشُوءَ دولتهم وليس إلى اللَّقَب الذي اشْتِهِرُوا به وهو المرابطين، فإطلاق هذا اللفظ عليهم لم يكن اعتباطا أو على سبيل الصدفة، وإنما كان مقصودا منه، لأن المرابطين هم خصوم الموحدين عقديا وسياسيا، ونحن رأينا سابقا الحياة العقدية والمذهبية في عصره، وعقيدة الغبريني نفسها التي كانت تخالف المرابطين وموافقة لدولة الموحدين. فيبدو واضحًا أنَّ الغبريني تأثر بالحياة المذهبية السائدة في عصره، من كُرْهٍ وتَحَامُلٍ على خُصُومِ السُّلطة الحاكمة عصرئذ، بالرغم من تأثر الغبريني بمُعْتَقَدِهِ الأشعري ومن الحياة السياسية كذلك، إلا أَنَّ الغبريني كقاضي مالكي ومكانته العلمية والسياسية والاجتماعية، كان بإمكانه ومن واجبهِ كَرَجُلِ علمٍ وباحثٍ في تراجم، أنْ يكونَ مُعْتدلاً في أحاكمه واستخدام الألفاظ القاسية فَضْلاً عن أخباره التِّي وَصَفَ بها المُرَابطين وخاصَّة أَنَّ هؤلاء كانوا في الفُروع مَالكية كالموحدين.

[1] الغبريني: المصدر السابق، ص45-46.

تَحَامَل الغبريني تَواصَلَ في نَفْسِ النَّص على المرابطين وعلى ابن غانية من خلال مصطلحاتٍ أخرى، أطلقها كقوله: "وكان **إسحاق ابن غانية** بجزيرة ميورقة وهو بَقِيَةُ اللمتونيين، فوجه له من مراكش من قبل **خَلِيفَتِهَا** مَنْ يَطلبه بالبيعة والدخول تحت الطاعة، فامتنع من ذلك" حيث لَمْ يُطلق مُصطلح الحاكم أو الأمير على ابن غانية أوْرَده مُجَرَّدًا من أَيَةَ لَقَبٍ أو صِفَةٍ سياسية، وهذا ما تَغَافَلَ عنه الغبريني. وكذلك من خلال قوله أيضا: " ثُمَّ أَنَّ **المُوَحدين** تَجهزُوا برًا وبحرًا من فورهم **ليستأصلُوا من البُغَاة شَأْفَةَ** أمرهم" وَصَفَ الغبريني المُوحدين بِلَقَبِهِم ولم يَصِفهم كالمُرابطين نِسْبَةً إلى القبيلة، وَوَصَفَ ابن غانية بالبُغاة وأَنَّ المُوَحِدِّين قاموا باسْتِئْصَالهم، وهذا تَشْنِيعٌ منهُ على المُرابطين وبَقِيَتهم كابن غانية.

لقد كان موقف الغبريني من السلطة في عصره يختلف تأييدا ورفضا تبعا إلى موقف السلطة التي عاصرها وقتئذ، فالغبريني فهو سَايَرَهَا فهو كتب عن أعداء هذه السلطة بما يُرضيها ومدح أنصارها، ولا شك أنّ هذا موقفٌ سلبيٌ أخطأ فيه الغبريني وما حُقَّ لمُؤلفٍ مثله وقاضٍ أنْ لا يُنصف غيرهُ حتَّى لو خالفوهُ في مذهبٍ أو عقيدةٍ، فكان عليه أنْ يلتزم الإنصاف والعدل وأنْ يدور معهما حيثُ دار ولا يغتر بسلطة أو جاه. فالعدل والإنصاف مع غير المسلم فضلا عن المسلم بحد ذاته.

2- الكرامات:

لقد حَفَلَ كتاب الغبريني بِكَمٍّ هائلٍ من الكرامات، والقليلُ من الذين تَرْجَمَ لهم لم يَذْكُرْ لهم كرامات،[1] ولا عَجَبَ في ذلك إذا ما علمنا أَنَّ الغبريني قَدْ خَصَّصَ كتابه لأصحاب هذه الكرامات بقوله: "... وظهرت جلالته،..."[2] ورغم الكَمِّ الهائل من هذه الكرامات التِّي أَوْرَدَهَا في كتابه، إلا أنَّ الغبريني عَبَّرَ عن سُلُوكه منهجَ الاختصار والاقتصار على بعض الكرامات فقط على سبيل الاستشهاد، ومن ذلك قولهِ في أحد من ترجم لهم بعد أنْ ذَكَرَ بعض كراماته: "وكراماته ... أكثر مِنْ أَنْ تُحْصَى، ولو كُتِبَت لكانت مُجلدات وأحوالُهُ كُلُهَا كرامات"[3]، وأيضا في قوله: "وكراماته رضي الله عنه وأحوالُهُ المُبَاركة الصادرة عنهُ ممّا لا يُحْصَى وَصْفُهُ، ولا يَسعُ نَظمه وَوَصْفُهُ".[4] وفي موضع آخر، قوله: " كراماتهُ لا تُعد، وفَضائلهُ جاوزتْ الإحصاء والعَّد"[5].

كما أنَّ الغبريني لم يَكْتَفِ بسرد هذه الكرامات فقط، بل بَيَّنَ موقفه منها، بقوله مُعَقِّبًا على كرامة من ترجم لهم:" وفي هذا من العلم ما لا ينتهي إلى حقيقته إلا أهل الصفاء وخاصة الأولياء، جعلنا الله منهم".[6] وقوله أيضا: " وقد يقع في هذا إنكار من مُلْحِدٍ لا علم له وحقه لإعراض عنه وعدم الالتفات إليه، وإنْ زاد فيصفع في وجهه عِوَضًا عن قفاه، كما جمع الله له الخزي في أولاه وأخراه".[7]

كذلك الغبريني أردف عبارات مُعَلِّقًا فيها عن هذه الكرامات، ومن ذلك تعليقه على كرامة أحدهم، بقوله:" قلت وفي هذا له ... كرامات أحدها أحالته على فُتْيَا رَبِّهِ، والثانية صدور الفُتْيَا له، والثالثة إخباره له بأنَّ ربه أفتاهُ وأطلعه على ذلك".[8]

---

[1] خاصة إذا كان هؤلاء المترجم لهم تخصصوا بعلم معين، كالشعراء مثلا كترجمة كأبي علي حسن بن الفكون، فلم يذكر له كرامات لأنه اشتهر بنظمه للشعر، للتفصيل أنظر: الغبريني: المصدر السابق، ص334.

[2] الغبريني: المصدر السابق،ص20.

[3] الغبريني: المصدر نفسه،ص127.

[4] الغبريني: المصدر نفسه، ص34.

[5] الغبريني: المصدر نفسه، ص174.

[6] الغبريني: المصدر نفسه، ص26.

[7] الغبريني، المصدر السابق، ص50.

[8] الغبريني، المصدر نفسه، ص28.

ومنه فموقف الغبريني في الكرامات واضح، فهو موقفٌ مؤيدٌ لَهَا وهذا هو موقف المسلم من ظهور الكرامات[1] وحدوثها بشكل عام، بل إنَّ الغبريني معجبٌ بهذه الكرامات وبأصحابها ودعا الله أَنْ يكونَ منهم. لا غرابة في ما أورده الغبريني من كرامات في كتابه وإلمامه بها وإعجابه وتعلقه بها وبأصحابها وتعليقه عليها[2]، خاصة إذا ما علمنا أنَّ الحياة الدينية في عهده غَلَبَ عليها التصوف الذي ارتبطت هو بدوره بالأولياء والكرامات التي ظهرت عليهم.والتصديق الجازم والمطلق بجميع الكرامات التي ذكرها في كتابه وما أكثرها –رغم اقتصاره على ذكر القليل منها فقط على سبيل الاستشهاد– وبالتالي فهو لم يذكر الكثير منها، كما رأينا ذلك سابقا في موقفه من الكرامات، ويَعَابُ على الغبريني تصديقه بوجود هذا الكم الهائل من الكرامات لشخصية واحدة وكَأَنَّ حياته كلها كرامات فالكرامات التي أوردها مثلا لأبي مدين شعيب لا يُمكن حدوثها لجماعة من المتصوفة في أزمان متفرقة فضلا أَنْ تكون هذه الكرامات لفردٍ واحدٍ في زمنٍ واحد، وهذا لا شك يَتنافى مع ديننا الإسلامي الحنيف وَبَلْ ويُخَالف حَتَّى خاصية الكرامة في حَدِّ ذاتها–فمن صفات الكرامة أنَّها تحدث في مَرَّاتٍ قليلةٍ ونادرةٍ–، إذا أَمْكَنَ التسليم بوقوع هذه الكرامات وبهذا العدد الهائل، فإنَّ بعض هذه الكرامات فيها مغالطات ومخالفات عقدية وغريبة عن صفة الكرامات وأصحابها، ومن هذه الغرائب والعجائب التي ذكرها الغبريني دون تعليق أو نقد منه، ونحن نورد الأنموذج التالي لتأكيد صحة كلامنا حول الرجل، كما نقل في كتابه هذه الكرامة على لسان أحد من ترجم لهم: فكان هو اليوم الذي هزم فيه النصارى في عام الأركش وهو يوم الأربعاء التاسع لشعبان الحرام عام واحد وتسعين وخمسمائة، ووقفتُ على مثل هذا المعنى في ملخص من "المُنتخب المُقرب في ذكر بعض صُلحاء المغرب" قال: حدثني أحمد بن حسن قال: حدثني

---

[1] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات"، ولا تكون كرامة إلا إذا أجريت على يد تقي متبع لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فمن كان حاله غير ذلك فما يظهر على يديه من الخوارق ليس بكرامة؛ وإنما هي أحوال شيطانية، "إذ قد أجمع العلماء على أن شرط الكرامة كونها على يد متبع للشرع المطهر"يقول الإمام الشوكاني في بيان الميزان الذي يفرق به بين الكرامة وغيرها: "والميزان الذي لا يجور هو ميزان الكتاب والسنة؛ فمن كان متبعًا لهما معتمدًا عليهما فكراماته وجميع أحواله رحمانية، ولمن لم يتمسك بهما، ويقف عند حدودهما فأحواله شيطانية". للتفصيل أنظر: محمد با كريم محمد با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية للنشر والتوزيع، ط: 1، 1994م، ص448.

[2] أما نقد موقف الغبريني من الكرامات سنتحدث عن ذلك في المبحث الخاص بنقد وتقييم كتاب الغبريني لاحقا.

يعيش بن شعيب السَّقطي قال: أتيتُ من باب إيلان، فلما قربتُ من باب الدباغين نظرتُ في المقابر فرأيتُ قبرا حديث عهد بالدفن فيه، فوقفت وأنا أقول يا صاحب هذا القبر هل أنت ذكر أم أنثى حر أم عبد؟ ثم وقفتُ عليه ساعة وانصرفت، فلما كان بالليل رأيت في المنام امرأة فقلت لها يا هذه من أنت؟ قالت لي أنا صاحبة القبر الذي وقفت عليه تعتبر ولي إليك حاجة، فقلت لها ما هي؟ فقالت لي أن زوجي رجل قطان اسمه فلان، بن فلان، فاذهب إليه واسأله أن يغفر لي، فلما أصبحت سألت عن الرجل وأعلمته أن زوجته سألته أن يغفر لها"[1]

لقد عكس لنا كتاب الغبريني مدى تعلق المجتمع في زمنه بالكرامات وتصديقه إيّاها، وكذلك مدى انتشارها وكثرتها، فتعلُّق المجتمع البجاوي وعامة الناس بالكرامات –رغم المخالفات والمغالطات العقدية التي تنطوي عليها– إلا أنّ عامة الناس يعذرون لجهلهم بالعقيدة وأصولها وقصور فهمهم وضعف عقولهم عن إدراكها، إلا أنَّ الغبريني لا يُعذر نظرا لعلمه ومكانته، فهو قاض مالكي ومدرك للعقيدة الإسلامية بأصولها وفروعها، فلقد كان بإمكانه أنْ يُنكرها ويظهر ضعفها وبطلانها، لأن معظمها كذب وافتراء ولكن الغبريني ساير واقع عصره.

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص49–51.

3- التصوف والصوفية:

إذا كان الغبريني قد بَيَّنَ موقفهُ من الكرامات والتزامه موقفًا واحدًا مُؤيدًا لهَا في كتابه، رغم إعجابه بالأولياء[1] وكرامتهم إلا أَنَّ موقفه من التصّوف وأصحابه يكتنفهُ غموض من خلال عبارات وشواهد تؤكد ذلك، ومن ذلك وصفه في أحد من ترجم لهم، بقوله: "وكان متنزها عن مقالة المُتلبسين، وشعوذة المُشعوذين، غير مُسامح في شيء مما يُخالف ظاهر الشريعة ولا عامل على شطحات المتصوفة..."[2] من خلال هذه العبارات يَبْدُو أَنَّ التصوف وأتباعه في عهد الغبريني لم يَكُن على درجةٍ واحدةٍ، بل كان ينقسم إلى قسمين حسب العبارة السابقة إلى تصوف مُتَطرف عندما ذَمَّ صاحبه بأَنَّهم مُتبعين مقالة المُتَلبّسين، وشعوذة المشعوذين، وآخر مُعتدل وأشار إلى صَاحب هذا الاعتدال بأَنَّهُ مُتَبِّع ظاهر الشريعة ولا عَامِلَ على شطحات الصوفية، فالغبريني من خلال العبارة الآنفة الذِّكْر من أصحاب تَيَار التصوف المُعتدل في هذا الموضع من كتابه، وَوَضَّح طبيعة المُتلبسين و المُشعوذين الذين قصدهم، يتضحُ هذا من خلال القِّصَة التِّي أوردها في كتابه ونُوردها كاملة لفهم موقفه، كنحو قوله: "ولقد مضى بمسجده أبو الحسن الفقير، المعروف بالطيَّار، مع صَحْبٍ له من الفُقَراء، ودخلوا عليه في وقت يُحيا فيه المسجد – يقصد صلاة تحية المسجد– فجلسوا من غير تحية، فأمرهم بالتَّحِيَة، فقال له الطيَّار " ولذكر الله أكبر " وامتنع من الركوع، ووقع بينه

---

[1] الوَلِيُّ: جمع أولياء والحاصل أن الكرامة لا بد أن تكون أمرًا خارقًا للعادة، آتى ذلك الخارق عن امرئ صالح وهو الولي العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر وأنثى، ولا بد أن يكون صدور ذلك الخارق في زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – إنسان معشر المسلمين، لأن سائر الشرائع سواه قد نسخت، وأن يكون الخارق من قبل من ظهر على يديه غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، أنظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ج2، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط: 2، 1982م، ص392.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص107.

وبينهم في هذا كلام، ولما ظهر منهم التَّوَقُّف مع هذا المقال، وعدم النزوع عن هذا الحال، وَقَعَ العمل على نَفْيِهِم إلى المغرب، وإخراجهم من البلد". [1]

فَعَلَّقَ الغبريني على هذه الحادثة بعد تفضيلهم الذِّكْرَ عن أداءِ صلاة تحيَّة المسجد، فقال عنهم مُوَافِقًا عن طردهم من البلد بقوله: "والنَّفْيُ في حَقِّ هؤلاء وأمثالهم قليل، وإنَّمَا الواجب أنْ يُعاملوا بأَسْوَأِ التمثيل. وهؤلاء جُمْلَة أغبياء لا علم ولا عمل ولا تصوف ولا فهم. وهم مع ذلك يُجَهِّلُونَ النَّاس، ويعتقدون أَنَّ مَبناهم على أساس".[2] كما أورد ما يُفيد في هذا المعنى، كقوله:"ولهُ في علم العقائد بَاعٌ وسَاعٌ، وفكرٌ مُطاع. يُميط شبه الملحدين، ويُثبت صُوَرَ الحَقِّ بواضح البراهين"[3]. ولكنَّه كان فيه تناقضٌ في أحكامه حول التصوف، حيث مدح المترجم له بأنَّهُ يأخذ بظاهر الشريعة، بينما الغبريني نفسه في كتابه مدح المتصوفة لاطِّلاعهم على علم الظاهر[4] والباطن في مواضعَ كثيرة من كتابه، كنحو قوله: "... جَمَعَ بَيْنَ العلم والعمل والورع، وبين علمي الظاهر والباطن[5]،..."[6] وفي قوله أيضا:"...واستفاد منه علم الظاهر والباطن،..."[7]، بل نَقَدَ الغبريني في موضعٍ آخر على مَنْ أَخَذَ بالظاهر دون الباطن، كما في قوله:"...وإنْ كان مِمَّنْ يَنْظُرُ بحسب الظاهر،...".[8]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص107–108.

[2] الغبريني، المصدر نفسه، ص107–108.

[3] الغبريني، المصدر نفسه، ص195.

[4] علم الظاهر: هي عند المتصوفة الذين يقومون بالعبادات والطاعات بالجوارح الظاهرة دون أعمال القلوب الباطنة من تأويل واستنباط للأحكام، فالعلم عندهم ظاهر لعامة الناس وباطن للصوفية دون غيرهم، أنظر: رفيق العجم، المرجع السابق، ص666.

[5] علم الباطن: هو علم أهل التصوف ويقصدون به أنّ للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تأويلات واستنباطات لا يعرفها إلا أصحاب التصوف، وهي وساوس يوحي بها الشيطان إلى أوليائه،أنظر: رفيق العجم، المرجع نفسه، ص672.

[6] الغبريني، المصدر نفسه، ص33.

[7] الغبريني، المصدر نفسه، ص103.

[8] الغبريني،المصدر نفسه، ص157.

فمن خلال هذا الشاهد الذي أورده الغبريني ذَمَّ هؤلاء وأَكَّدَ أنَّهم ليسوا من أهل التصوف، فَهُم حَسبهُ ليسوا على طريق التصوف الذي عليه الغبريني وأصحابه، بل لا علم ولا عمل ولا تصوف ولا فهم على حد تعبير الغبريني، كما أَنَّ هؤلاء الذين ذَمَّهُم الغبريني كان لديهم أتباع ومشهورٌ أمرهم وَمِنْ فِئَةٍ مُعَيَّنَة من المجتمع وهي فِئَةُ الفُقراء، كما أَنَّ هؤلاء من خارج مدينة بجاية أَيْ ليسوا مِنْ سُكَّانِهَا، ويُفْهَمُ مِنْ كلامه أنَّ التصوف الذي ذَمَّهُ وذَمَّ أصحابه لم يَكُنْ بمدينة بجاية، بل كانوا من خارجها. ومنهُ فالغبريني نَقَلَ طبيعة التصوف وأصحابه وأنواعه[1] وأتباعه ومختلف أحواله، وبَيَّنَ موقفه منه.

4-الطب والأطباء:

كذلك حدّثنا الغبريني عن واقع الطِّب[2] في عصره، حيثُ نَقَلَ صورة واضحة عن طبيعة طبيعة الطِّب والأطباء، بل وزاد على ذلك أَنْ قام بِنَقْدِ واقع الطب، من خلال المثال الذي ذكره في كتابه، بقوله: "وكان رحمه الله إذا سَئَلَ عن المسألة الطبية كثيرًا ما يتوقفُ عن الجواب إلا بعد نظر، ورأيتُ غيره من الأطباء مِمَّنْ يقصرُ عن معرفته إذا سئل ساعة ما يسأل يجيب، وربما اعتقد هذا المسرع في الجواب أو غيره من الأغبياء أَنْ سرعة المسرع هي لمعرفته وإِنَّ إبطاء المُبْطِئ هو لتقصيره، وهذا هو اعتقاد الأغبياء في أمثال هذا، وإنَّما الإبطاء في الجواب دليل العلم لأنَّهُ بَيَّنَ السائل للطبيب الغرض العارض للعليل، ولابد أنْ يقع له النظر في الأسباب وتمييزها والحدس على السبب الفاعل أنْ تعارض وينظر أنسب الأودية، وحينئذ يقع الجواب، وهكذا هو حال حُذَّاق الأطباء، وأمَّا عَوَامَهُم وَمَنْ يُعَدُّ منهم في أعداد القَوَابِل، فعندما يُسْأَلْ يُجِيبُ بغير علم، ولقد رأيتُ بعض مَنْ كَانَ مَبْخُوتًا في الطب يعالج المرضى فَتُخْفَى عليه الشِّكَاية فَيُعالجها بالحار تارةً وبالبارد تارةً أخرى، بحيث يُنظر فَإِنْ أُنْجِحَ فيها أَحَدُهُمَا استمر عليه، ويُحرمُ على الإنسان أَنْ يُمَكِّنَ نفسهُ مِمَّنْ حاله مثلُ هذه

[1] التصوف واحد في أصله ونشأته وغاياته

[2] الطِّب: وهو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض، وموضوعه بدن الإنسان وأحواله من الصحة والمرض، وأسباب ذلك والعلامات الدالة عليها لغرض حفظ الصحة وعلاج الأمراض بحسب الإمكان. للتفصيل أنظر: التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، تح: علي دحروج، تر:عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان، بيروت، ط:1، 1996م، ص56.

الحال ويُحرم على من هذه صفته أَنْ يُطِّبَ، وهذه الصِّناعةُ هيَ أَشَدُ الصَّنَائِع ضَيَاعًا في بلاده لأنَّهُ يَتَعَرَّضُهَا الغَثُّ والسَّمِين، ولا يَقعُ بينهمَا التَّمْيِيز إلا عند القليل من الناس".[1]

قال الغبريني في وَصْفِ الطِّب وكيفية تدريسه، بقوله: "وكانت الأبحاث في كل ذلك جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجلية". أَيْ أَنَّ الطِّب في عصره كان يقومُ على الجانب النظري فقط، رغم أَنَّ هذا الجانب النظري وصل إلى درجةٍ عاليةٍ من التطور لقيامه على القوانين والاستدلال الواضح. وتحدَّث الغبريني أيضًا وبإعجابٍ ومدحٍ عن كيفية تناول أحد الأطِّباء الذين ترجم لهم مع المسائل الطِّبية التِّي تُعْرَضْ عليه، حيثُ وَصَفَ هذا الطبيب بأنّهُ كان مُتأنيًا وغير مُتَعَجِل في الرَّد على هذه المسائل التِّي عُرضت عليه إلا بعد نَظَرٍ وبحث، حيثُ اعتبر الغبريني هذا التَّأني وعدم العجلة من صِفات الأَطِبَّاء المَهَرَة وأصحاب كفاءة عالية وأَنَّ هذا النَّوع من الأَطِبَّاء قليلٌ ونادرٌ في عصره. في المقابل اعتبر الغبريني مَنْ أَسْرَعَ بالجواب في المسائل الطِّبية التِّي تُعرض لهُ فهو طبيبٌ قاصرٌ، وهذا النَّوعُ من الأطباء هم أكثر أطباء عصره، ومنه فالأطباء في عصره كان مستواهم في الجانب التطبيقي أو العملي ضعيف ولا يُحْسِنُ أغلبهم تشخيص الدواء الكافي للأمراض والعِلَل التِّي تُعرض لهم. وأَنَّ تَطْبِيبَهم ومُعالجتهم للمرضى يقوم على طُرقٍ عشوائية ليست على أسس علمية بل على تَخمينِ عقولهم والتجربة على جسدِ المريض رغم تَعارضِ واختلاف هذه الأدوية في الأساس" فَيُعالجها بالحَّارِ تارةً وبالبارد تارةً أخرى، بحيث يَنظر فَإِنْ أُنْجِحَ فيها أحدهما استمر عليه"، بَلْ وَمَنَعَ الغبريني على مَنْ تَطَبَّبَ عند هذا النَّوع مِنَ الأطِبَّاء لِمَنْ عَرَفَ حقيقتهم، بَلْ حَرَّمَ على هؤلاء الأطباء التَّقَدُم لتطبيب النَّاس لأنَّ ضررهم على المرضى أكثرُ من نفعهم.

من المؤكد من خلال هذا النَّص الذي أورده الغبريني في كتابهِ حول حال الطِّب والأطبَّاء في عصره، كان على المستوى النَّظري يقوم على البحث والاستدلال وفي هذا الجانب فحال الطِّب جَيِّد، أما على المستوى العملي فالطِّب ضعيفٌ ولا يَرْقَى لا يَتماشى مع المستوى النَّظري الذي وصل إليه الطب. وأَنَّ صناعة الطب كما سَمَّاها الغبريني هي

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص76.

صناعةٌ من أكثر الصِّناعات التِّي تفتقر إليها بجاية في عهده ليس مِنْ قِلَّةٍ للأطبَّاء بَلْ لكثرةِ مَنْ امتهنَ الطِّب وهو ليس منهم وأَنْ يَستحق صفةَ الطبيبِ قليلٌ جدًا.

لقد تباينت مواقف الغبريني من قضية إلى أخرى، فلقد حالفه التوفيق في مواضع ولم يُوَفَق في مواضع أخرى، فالغبريني تأثر بالحياة العقدية والمذهبية في عصره فظهر ذلك جليا في موقفه من السلطة الحاكمة لمدينة بجاية في عهده، حيث مدحها الغبريني وذم خصومها وأعدائها، وأخطأ في هذا الجانب، وتجلى تمكن النزعة المذهبية في كتاب الغبريني في موقفه من الكرامات وعدم الإنكار على المغالطات العقدية التي تحملها في ثناياها، بالإضافة إلى كثرتها ووجودها فضلا عن طبيعة أصحابها، بما أنَّ عنوان كتابه الدراية، فهو لم يقم بالتحري والتقصي حول حقيقة هذه الكرامات وأهلها، بل عاتب على مَنْ لا يُصَدِّقْ بها ويمتثل لأصحابها. أما التصوف والصوفية فقد تناقض الغبريني في موقفه فتارة يمدح الذين يأخذون بظاهر الشريعة دون باطن الصوفية، وتارة أخرى يذم الذين يأخذون بظاهر الشريعة دون باطن الصوفية، وجعل الصوفية أنواع وهم أصل واحد في النشأة والغايات. ووفق الغبريني في موقفه من الطب والأطباء في عصره غلب عليه الضعف لدى وندرة حذاق ومهرة الأطباء واشتغل به من ليس أهلا له.

ثالثا- نقد أبي العباس الغبريني:

هناك العديد من العبارات والتَّعليقات التِّي ذَكَرَهَا الغبريني في كتابه تحتاج إلى النَّقد والوقوف عندها، منها ما تَعَلَّقَ بتفسير الحديث الشَّريف والقرآن الكريم، وكذلك ما تَعَلَّقَ بالعقيدة وموقفهُ من آلِ البَيْتِ، وحَتَّى كلامهُ في اللُّغة العربية وصَرفها، سَنُورِدُ هذه المُؤاخذات على الغبريني في كتابه بعرضها ونقدها، وِفْقَ الترتيب التالي:

1- تفسير الحديث:

وما يَحتاجُ إلى النَّقد كذلك، ما نقلهُ في كتابه، كنحو قوله: "وحُكِيَ أَنْ في يومِ وُصُولِه إلى البلد وصل والنَّاس مُنصرفون عن قَبْرِ أبيه وكان له مالٌ جليلٌ، فطلبهُ إخوتهُ بالحُضُورِ معهم لقسم الميراث، فقال لهم: إنِّي أحبُ أَنْ لا أَرث ولا أُوَرَّثْ، والنَّبِي صَلَّى اللهُ عليه وسلّم يقول: نحنُ معاشر الأنبياء لا نُورثُ ما تركناهُ صدقة[1] وسَلَمَ لهم الميراث وانفصل في سِيَاحَتِهِ واستمر على عبادته إلى أنْ مَات رحمه الله ونفع به وبأمثاله آمين".[2] فسكوتهُ عن أخطاءٍ ومغالطاتٍ في تفسير الحديث وإسقاطهِ على غير أهله، وكان عليه أنْ يَعُودَ إلى شرح الحديث[3] وهو مُخْتَصٌ بالأنبياء دونَ غيرهم من سائر البشر.حديثٌ معلومٌ ومشهورٌ بخواص الأنبياء.

واستشهدَ الغبريني في موضعٍ آخر بقوله: "وكان إذا اثُنِيَ عليه بحُسُنِ الخُلُقِ[4] يقول: قال النَّبِّيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: "أَوَلُ ما يُوضَعُ في الميزان الخُلُقُ الحَسَن".[5]

---

[1] حديث صحيح ولكن بلفظ آخر عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا نورث ما تركنا فهو صدقة) أنظر: الترمذي أبو عيسى، مختصر الشمائل المحمدية، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية،عمان، الأردن، ص204.

[2] الغبريني،المصدر السابق، ص179.

[3] للاطلاع على شرح الحديث والحكمة من اختصاص الأنبياء به دون غيرهم، أنظر: العراقي الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، ج6، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ص241،

[4] للتفصيل حول أحاديث حسن الخلق وشروحها، أنظر: بن علان ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج5، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:4، 2004 م، ص81.

[5] الغبريني،المصدر السابق، ص58.

بداية الحديث الذي ذكرهُ الغبريني هو حديثٌ ضعيفٌ[1] في رواية (أول)، ولكن ما يُهِمُنَا هو تعليق الغبريني على الحديث بقوله: "**ومَنْ لَمْ يكن عنده أولُ ما يوضعُ في الميزان لم يكن عنده غيره، لأنَّ هذا إنَّما يجري مجرى الأساس**"[2] فهذا حكمٌ لا يمكنُ أنْ يصدر من رجل كالغبريني تَوَلَّى القضاء مراتٍ عديدةٍ، فتعليقهُ على هذا الحديث مخالفٌ لما جاء به الشرع الحنيف، حيثُ هناك العديد من النُّصُوصِ الشرعية تدلُ على أنَّ المسلم ينفعهُ عمل الخير ويُجَازَى عليه ولو كان صغيرًا، ومن ذلك قوله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»[3] والذرة أصغرُ النَّمِلِ وهي النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ، ومن السُنَّةِ النَّبَوية قوله– صَلّى الله عليه وسلَّم–(فلْيَتقيَنَّ أحدُكم النّارَ ولو بشقٍّ تمرةٍ، فإنْ لم يجدْ؛ فبكلمةٍ طيّبةٍ).[4] أما الحديثُ في رواية (أَثْقَلُ) هو حديثٌ صحيحٌ من طريق شُعبة عن القاسم بن أبي بزة عن عطاء الكيخاراني عن أُمِّ الدرداء عن أبي الدرداء عن النَّبِي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: " أثقلُ شيء في الميزان الخُلُق الحَسَن"[5].

وهذا يؤكد أنَّ المسلم تنفعه أعماله الصالحة كلها وإنْ خَفَّ ميزانها ولكن أَثْقَلُهَا الخُلُقُ الحسن فهذا الحديث يؤكد خطأ الغبريني في تفسيره لهذا الحديث من جهة، ومن جهةٍ أخرى يتفقُ مع انتفاع المسلم بعمله الصالح.

---

[1] في رواية (أول) الحديث ضعيف رقم: 3352 أنظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ج7، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1992 م، ص362.

[2] الغبريني،المصدر السابق ، ص58.

[3] القرآن الكريم: سورة الزلزلة، الآية 7–8.

[4] الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج: 7، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1، ص1445.

[5] الحديث صحيح رقم 876 أنظر: الألباني، المرجع نفسه، ج:2، ص535.

2-تفسير القرآن الكريم:

وقال الغبريني في كتابه أيضا: "وكان إذا عَرَضَ له المَبِيت بالجامع يقومُ من آخر الليل ويقول: ائتوني برطلٍ من الماء لأزيل الشَّكَّ عن المُرتاب، وسبب هذا أنَّ العامة لا يدركون إلا الأحوال الظاهرة ولا علم لهم بالأسرار الباطنة، **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهو عن الآخرة هم غافلون**، أعاد الله علينا من بركات أولياء الله بفضله".[1]

وسكت الغبريني عن إسقاط هذه الآية من القرآن الكريم على عامَّة المسلمين وهي في حَقِّ الكفار، في قوله تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[2] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تفسير قوله تعالى: يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ يَعْنِي الْكُفَّارُ يَعْرِفُونَ عُمْرَانَ الدُّنيا، وهم في أمر الدِّين جُهّال.[3]

كان على الغبريني أَنْ لا يَسْكُتَ على هذه المغالطات بعد أنْ نقلها في كتابه، وبإمكانه توضيح التفسير الصحيح لهذه الآية من القرآن الكريم، خاصة وأَنَّ اطلاعه الواسع وما حَفَلَ به عصرهُ من عُلماء التفسير الذين كَتَبَ عنهم تُغنيه عن نَقْلِ مثل هذه المُغالطات دون تعقيبٍ أو تعليقٍ منه، فهو لا يعذرُ بهذا الخطأ نظرًا لمكانته حتَّى وإنْ غَلَبَ التصوف وكرامات الأولياء على العصر الذي عاش فيه.

3-العقيدة:

وجاء في كتاب الغبريني هذا المثال الذي فيه ما يتعلقُ بعقيدة المسلم، في قوله:"وكان يجلس لعلوم الحديث ولعلوم الفقه ولعلوم التذكير، وكان الغالبُ عليه رضي الله عنه الخوف، ما يَمُرّ بمجلسه إلا ذَكَرَ النَّار والأغلال والسَّعير، وتكاد تفيضُ قلوبُ الحاضرين في مجلسه، هذا هو حاله دائما. **وهذه الطريقُ، هي أحسنُ الطريقِ في الدُعاء إلى الله تعالى، إذ جَبَلَ الله الخلق على أنهم لا ينفعلون غالبا إلا بالخوف، ولأجل هذا كان أكثرُ الشريعة تخويفًا.**

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص192.

[2] القرآن الكريم: سورة الروم، الآية: 07.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 6، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، ط:1، 1419هـ، ص275.

وما زال رضي الله عنه مُستمرًا على هذا الحال إلى يوم وفاته، يبسطُ أمل النَّاس ورجاءهم في رحمة الله وفي سِعَةِ مغفرته، ومَنَاهم بما عنده من كثرةِ الثَّواب، وإنّهُ لا يضيعُ أجرَ من أحسن عملا، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه مجلسه، وهذا طريقٌ حسنٌ، لأنَّهُ لم يَبْقَ عند لقاء الله إلا الطَّمع في رحمته والرغبة فيما عنده، لأنَّ الخوف فائدته إنَّمَا هي الحضُ على العمل، وحين الموتُ انقطع العمل، ولم يَبْقَ إلا قُوة الأمل لتَلْقَى الله طيبة نفسه، فيُحِبُّ لقاء الله فيحب الله لقاءهُ، حسبما اقتضاه الحديث"[1]. وهناك ملاحظاتٌ على كلام الغبريني فالدعوة إلى الله لا تَتِمُ دائما بأسلوب التخويف والترهيب، بل وَازَنَ الإسلام في الدعوة بين الترغيب والترهيب بحسب حال المؤمن، وَالْقُرْآنُ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى؛ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَهِيَ الدَّلَائِلُ الْيَقِينِيَّاتُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[2] الحكمةُ هي معرفة الحقِّ والعمل به فالقلوب التي لها فهمٌ وقصدٌ تُدْعَى بالحكمة فيُبَيِّنُ لها الحق علمًا وعملاً فتقبله وتعمل به. وآخرون يعترفون بالحَقِّ لكن لهم أهواءٌ تصدهم عن إتِّباعه فهؤلاء يُدْعَوْنَ بالموعظة الحسنةِ المُشتملةِ على الترغيب في الحَقِّ والترهيب مِن الباطل. والوَعْظُ أمرٌ ونَهْيٌ بترغيبٍ وترهيبٍ كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ}[3] وَقَالَ تَعَالَى: {يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا}[4] فالدَعوةُ بهذين الطَّرِيقَيْنِ لِمَنْ قَبِلَ الحَق.[5]

---

[1] الغبريني،المصدر السابق، ص128.

[2] القرآن الكريم: سورة النحل، الآية:125.

[3] القرآن الكريم: سورة النساء، الآية:66.

[4] القرآن الكريم: سورة النور، الآية:17.

[5] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج:19، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1995م، ص164.

قدِ اختلف أهلُ الإسلام في تغليب الخوف أو الرجاء، مع اتِّفاقهم على حُسنِهما، وهذا أمرٌ قَرِيٌّ،[1] أما قول الغبريني بأَنَّ أكثر الشريعة تخويفًا فالنصوص الشرعية من الكِتَابِ والسُّنَة تنوَّعت بيْن الترهيب والترغيب، بل وفي مواضع كثيرة نجد الترغيب والترهيب في نَصٍ شرعي واحد ، قال الله تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ - وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}[2] ، كما جاء في شرح العقيدة الطَّحاوية أنَّ الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويَا اسْتَوَىَ الطير وتَمَّ طيَرانهُ، وإذا نقصَ أحدهمَا وَقَعَ فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائرُ في حَدِّ الموت.

وَقَدْ مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: {مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [3]. وقال: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [4]، الْآيَةَ. فالرجاءُ يستلزمُ الخوف، ولولا ذَلِك لكان أمْنًا، وَالخوفُ يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قُنُوطًا ويأسًا. وَكُلُ أَحدٍ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ مِنهُ، إلا اللّه تعالى، فإنَّكَ إذا خِفْتَهُ هربتَ إليه، فَالْخَائِف هارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبهِ.[5]ويكونُ مع ذلك بَيْنَ الخوف والرجاء[6] كما قال تعالى: تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}.[7]

وهناك نموذجٌ آخرٌ أورد فيه الغبريني العديد من المُغالطات والأخطاء، في نحو قوله: "وذكر الشيخ الصالح أبو عبد الله ابن القائد القصار رحمه الله، قال حضرتُ مع السيدين الصالحين، العالمين العاملين، أبي زكريا الزواوي، وأبي الحسن بن أبي نصر فتح بن عبد الله، نفع الله بهما ورضي عنهما، في عام خمسة وستمائة مجلسا، سأل فيه الشيخ أبو زكرياء

[1] ابن الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ج 9، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 3، 1994م، ص375.

[2] القرآن الكريم: سورة الحجر، الآية:49-50 .

[3] القرآن الكريم: سورة الزمر، الآية:09.

[4] القرآن الكريم: سورة السجدة، الآية: 16.

[5] ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ج:2، تح: شعيب الأرناؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 10، 1997م، ص457.

[6] ابن تيمية، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج:1، ط: 1، 1418 هـ، ص225.

[7] القرآن الكريم: سورة المؤمنون، الآية:60.

الشيخ أبا الحسن عن رحلته إلى المشرق، وما رأى من الغرائب وما شاهد من العجائب، فقال له: حضرت بعض دروس العلم في عام اثنين وستمائة مع حَفيدٍ من حفدةِ سُلالة الشيخ الطاهر المبارك عمار المُعَمِّر بما سَبَقَ لهُ مِنْ بَرَكَةِ دُعاء النَّبِي، صلَّى الله عليهِ وسَلَّم، وَرَغِبْتُ منه يُرِيَنِيهِ لأتبرَّكَ به ففعل، ودخلتُ معهُ إليه، رضي الله عنه، **فوجدتهُ في مهد ملفوفًا بقُطْنٍ وَعَيْنَاهُ تَتَّقِدَانِ كأنَّهُمَا اليَوَاقِيت، ولحيتهُ كَحْلاَءَ وقد تجدَّدت بعد سُقُوطها، فَسَلَّمْتُ عليه فَرَدَّ عَلَيَّ** فقال له حفيدهُ: يا جَدَّاهُ هذا طالبٌ من المغرب يقرأُ معي، ورغبَ مِنِّي أَنْ يَرَاكَ ويتبرَّك بك وتدعُو له، قال: فدعا لي رضي الله عنه بصوتٍ خَفِيٍّ مفهومٍ سمعته، وقلت له يا سيِّدي، أنت رأيتَ سيِّد الأولين والآخرين مُحمدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فعساك تُحَدِّثْنِي أرويهِ عنك وأرويهِ، فقال نعم، كان سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم يوصينا أن نكثر من القرآن بسور قلائل من الكتاب العزيز، ويقول هي أمان من الفقر؟ **قلت: هذه رتبة عظيمة حصلت لهذا العالم فإنه يعد بها من التابعين،** وهذه القضية معلومة النقل عن الشيخ رحمه الله، وذكر أن سكنى هذا المعمر، بلدة "قطنة [1]**وهي آخر بلاد الترك من جهة اليمين عن يمين السد، سد اسكندر المحجوب، به يأجوج ومأجوج[2] وهذا سد يعلي المتأخرين ويلحقهم بأكابر المتقدمين نفعنا الله بهم**".[3]

---

[1] قطنة: بفتح أوله وثانيه: جبل قد تقدم ذكره فى رسم تيتل: وقال أبو حنيفة، قطن: جبل بنجد: فى بلاد بنى أسد، على يمينك إذا فارقت الحجاز وأنت صادر من النقرة. وقال بن إسحاق: قطن: ماء من مياه بنى أسد بنجد، بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة بن عبد الأسد «5» فى سرية، للتفصيل أنظر: أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج:3، عالم الكتب، بيروت، ط: 3، 1403 هـ، ص1083.

[2] يأجوج ومأجوج: هم أناس بالغون في الكثرة عددًا لا يعلمه إلا الله –تعالى–، ولا يستطيع أحد مقاومتهم عند خروجهم من السد لكثرتهم، وهم مفسدون في الأرض كما أخبر الله –تعالى– عنهم، وهم الآن محازون عن غيرهم بالسد الذي بناه ذو القرنين، وخروجهم علامة على قيام الساعة، أنظر: حمود بن عبد الله التويجري، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1983 م، ص313.

[3] أبو العباس الغبريني: المصدر السابق ، ص141–142.

أولا وقبل كل شيء مكان السد اختلف فيه اختلافا كبيرا[1] ومنه فلا يمكن للغبريني الجزم بتحديد مكانه بالضبط، وأيضا: فإنّ البحث في تحديد مكان السد لا يهم كثيرا؛ ولا يحصل بعدم معرفته خلل في الاعتقاد؛ لأن المقصود بيان أن ما أخبرنا الله تعالى به، وما جاء في الأحاديث الصحيحة من أن سد يأجوج ومأجوج موجود إلى أن يأتي الوقت المحدد لذلك هذا السد وخروج يأجوج ومأجوج[2]، وذلك عند دنو الساعة بهما في قوله عز وجل: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا - وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}[3] كل ذلك: حقيقة يجب التصديق به.

كذلك فإنّ اعتبار أنّ الإسكندر الرومي[4] هو ذو القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم[5] هو غلط، لأن هناك العديد من الأدلة تثبت اختلافهما من ناحية الزمان أي الفارق الزمني بينهما لأنّ ذُو القرنين الْمَذْكُور فِي الْقُرْآن وَهُوَ ملك قديم على زمن إِبْرَاهِيم الْخَلِيل وكذلك غلط من ظن أَن باني السد هُوَ الْإِسْكَنْدَر الرُّومِي وَلذَلِك استفاض على الْأَلْسِنَة أَن لقب الْإِسْكَنْدَر ذُو القرنين وَهَذَا أَيْضا غلط فَإِن لَفظه ذُو عَرَبِيَّة مَحْضَة وَذُو القرنين من ألقاب الْعَرَب وملوك الْيمن وَكَانَ مِنْهُم ذُو جَدب وَذُو كلاع وَذُو نواس وَذُو شناتر وَذُو القرنين الصعب بن الرائش وَاسم الرائش الْحَارِث بن ذِي سدد بن عَاد بن الماطاط بن سبا. وَقيل إِن

---

[1] لمعرفة الأماكن التي ذكر فيها وجود هذا السد، أنظر: حمود بن عبد الله التويجري، المرجع السابق، ص359. وأيضا أنظر: عبد الله بن سليمان الغفيلي،أشراط الساعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ، ص136.

[2] خروج يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة الكبرى، للتفصيل أنظر: عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، ج2، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1999م، ص210.

[3] القرآن الكريم: سورة الكهف، الآية 98-99.

[4] "الإسكندر الرومي يقصد به الإسكندر " بن فيلقوس أبوه أحد ملوك اليونان وكانوا طوائف فلما ملك الإسكندر غزاهم وجمع ملكهم ثم غزا دارا المذكور ثم الهند وتناول أطراف الصين ثم انصرف إلى الإسكندرية وهو صاحب أرسطاطاليس وتلميذه وأرسطو، للتفصيل أنظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1996م،ج1، ص39-38.

[5] واختلف العلماء في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال: أحدها: عبد الله. والثاني: الإسكندر، والثالث: عياش، والرابع: الصعب بن جاثر بن القلمس. للتفصيل أنظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج1، تح: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1992 م، ص286.

ذَا القرنين الصعب هُوَ الَّذِي مكن اللَّهِ لَهُ فِي الأَرْض وَبنى السد.[1] وما يؤكد ذلك ما نقل أنّ ابن عباس سئل عن ذي القرنين الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، فقال: هو من حمير وهو الصعب المذكور، فيكون ذو القرنين المذكور في الكتاب العزيز هو الصعب بن الرائش المذكور، لا الإسكندر الرومي.[2]

كما أنّ الغبريني أخبرنا بأن هذا السد يرفع من درجة المتأخرين إلى درجة المتقدمين ويلحقهم لهم، فلا أدري من أين أتى الغبريني بهذا الخبر. فلم أعثر له على أصل في كتب العلماء المتقدمين أو المتأخرين بهذا العلو والرفعة في المرتبة[3]. كما أنّ هذا العلو الذي قصده الغبريني يعني خلود صاحبه وطول عمره في الدنيا، وهذا بلا شك يتنافي مع النص الصريح والعقل الصحيح، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ({إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ})[4] وفي قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}[5] كما قال سبحانه: {كُلُّ {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}[6] وكذلك الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: بقوله: «ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية»[7] لا أدري كيف غابت على الغبريني هذه النصوص الصريحة من الكتاب والسنة في فناء النفس البشرية، إلا ما استثني في النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة[8]. كذلك يتنافى مع العقل البشري فكيف لرجل مات منذ زمن طويل أن يبقى على حاله وتتجدد لحيته ويبقى جسده دون تعفن فضلا عن كلامه وسمعه بل وحتى روايته عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة مع الفارق الزمني الواضح والجلي بينه وبينهما ، فكيف لعاقل أن يصدق هذا فضلا عن رجل

---

[1] ابن الوردي، المصدر السابق، ج1، ص38–39.

[2] أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1، المطبعة الحسينية المصرية، ط:1، ص67.

[3] بحثت في كتب العقيدة حول ما نقله الغبريني عن هذا السد فلم أجد ما يشير الى ذلك.

[4] القرآن الكريم: سورة الزمر، الآية: 30.

[5] القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية: 34.

[6] القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية: 35.

[7] الحديث صحيح رقم: 5795، للتفصيل أنظر: الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزياداته،ج 2،المكتب الإسلامي،ص1009.

[8] كالمسيح الدجال وعيسى ابن مريم عليه السلام هناك آيات من القرآن وأحاديث صحيحة تثبت هذا، للتفصيل أنظر: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، ج 9، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء ،اليمن، ط:1، 2010 م، ص305.

مسلم وما بالك من امتهن القضاء في عهده عدة مرات، إذا الغبريني غلط غلطا فاحشا عندما لم ينكر هذه القصة جملة وبالكلية لما حملته من مغالطات وافتراءات ناقضت الحقائق البديهية من الشرع والعقل والتاريخ، فالغبريني لا يعذر لهذا لأنه كان بمقدوره أن يرفض ويعقّب على هذه الحادثة لما اتصف به من عقل ناضج و اطلاع واسع.

4- أهل البيت:

نقل الغبريني في كتابه طريقة تعامل أحد المترجم لهم مع الأشراف الذين ينحدر نسلهم من أهل البيت،[1] فعاملهم بالاحترام واعترف لهم بالاسترقاق لهم والعبودية، في قوله: "وأما خلقه، رضي الله عنه، فكان أحسن الناس خلقا، وكان معظما لأهل البيت، محترما لهم معترفا **بالاسترقاق لهم والعبودية**، وإذا قدم عليه أحد من أهل البيت يقوم له من مجلسه ويتمثل بين يديه حتى ينفصل. ولقد دخل عليه يوما رجل غريب، ذكر له إنه شريف، فعظمه واحترمه، وكان عليه طاشور مليح يساوي جملة كبيرة من الدراهم، فنزعه ودفعه للرجل، ولما انفصل الرجل، قال له رجل ممن حضر، هذا رجل غريب وهو فلان من أهل مراكش، فقال له الشيخ عرفنا من عاملنا، يعنى إنه فعل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فإن كان الرجل صادقا فجيد وإلا فقد بلغت النية".[2]

وحقوق المسلم على آل البيت، كما ذكرها ابن تيمية بقوله:"" وكذلك أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تجبُ مَحبَّتُهم وموالاتُهم ورعايةُ حقِّهم ".[3] وهذا مع كل مسلم، وفي موضع آخر يفصل حقوقهم أكثر بقوله أيضا: وكذلك آل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم " لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء وأمر

---

[1] أهل البيت: القول الصحيح في المراد بآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم هم من تحرم عليهم الصدقة، وهم أزواجه وذريته، وكل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف؛ قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب: " ولد لهاشم بن عبد مناف: شيبة، وهو عبد المطلب، وفيه العمود والشرف، ولم يبق لهاشم عقب إلا من عبد المطلب فقط " للتفصيل أنظر: عبد المحسن بن حمد العباد البدر ، فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الأثير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 2001م. ص 06، وأيضا أنظر: ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (ت 456هـ)، جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1983م.ص14.

[2] الغبريني: المصدر السابق، ص147.

[3] عبد المحسن بن حمد العباد البدر، المرجع السابق، ص35.

بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْت عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْت عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ} . وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل؛ وغيرهما من العلماء – رحمهم الله – فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدِ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ}[1] وقد قال الله تعالى في كتابه: {إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}[2] وحرم الله عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس وفي المسانيد والسنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس – لما شكا إليه جفوة قوم لهم قال: {والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي}.[3]

وقول ابن عباس أيضا، قال رحمه الله: "ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم؛ ...ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين ."[4]

تبيّن مما تقدم أن عقيدة أهل السنة والجماعة في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وسطٌ بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، وأنهم يحبونهم جميعا، ويتولونهم، ولا يجْفون أحدا منهم، ولا يغلون في أحد، كما أنهم يحبون الصحابة جميعا ويتولونهم، فيجمعون بين محبة الصحابة والقرابة، وهذا بخلاف غيرهم من أهل الأهواء، الذين يغلون في بعض أهل البيت، ويجفون في الكثير منهم وفي الصحابة رضي الله عنهم.

---

[1] رواه مسلم تحت رقم: 3508 وصححه الألباني تحت رقم:2264، أنظر: مسلم، المصدر السابق،ج2، ص754.والألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج1، ص450.

[2] القرآن الكريم: سورة الأحزاب، الآية 33.

[3] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج3، ص407.

[4] ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص36.

وللإشارة فإن ادعاء المسلم نسب غير نسبه منهي عليه شرعا، وقد جاء في الأحاديث الصحيحة تحريم انتساب المرء إلى غير نسبه، ومما ورد في ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه أنَّه سَمع النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: " ليس مِن رجلٍ ادَّعى لغير أبيه وهو يَعلَمه إلاَّ كفر بالله، ومَن ادَّعى قوماً ليس له فيهم نسبٌ فليتبوَّأ مقعَدَه من النار".[1]

5-اللغة العربية وصرفها:

وافق الغبريني شيخه أبو محمد عبد العزيز بن كحيلة واعتبر قوله صواب عندما استشهد بما جاء في القرآن الكريم ورد قول أبي عبد الله الآبار عندما اعترض عليه، ويتضح ذلك من خلال هذا النص، بقوله: "ولقد اتفق في وقت الحضور للصلاة عليه أن الإمام المذكور تأخر وتقلق الناس، وكان شيخنا أبو محمد عبد العزيز بن كحيلة أحد الحاضرين والخاصين به من طلبته، فقال: ننظر من يصلى ينصرف الناس " فقال له بعض الحاضرين: الحق في هذا لوليه أبي عامر وأبي جعفر وكانا بالحضرة، فقال الفقيه أبو محمد عبد العزيز ما تكلمت إلا بألسنتهما، فقال له أبو عبد الله الآبار: يا فقيه ويجوز بلسانيهما - منكتا عليه في إنه أورد الجمع محل التثنية- فقال الفقيه أبو محمد مجاوبا: نطقت بما نطق الله به في القرآن، قال الله تعالى {إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما}[2] وهذا هو الصواب وغيره خطأ."[3]

فالغبريني في تعليق على هذه يبدو أنه تعصّب لشيخه، فكان عليه أن يتعصب للحق وخاصة أن المسألة ليست اجتهادية أو فقهية يترتب عنها خلل في الانتساب والانتصار لمذهب بعينه دون آخر، فهذه المسائل قد يسوغ فيها الاختلاف وقد يحدث فيها التعصّب لأقوال المشايخ وأصحاب المذاهب، فالمسألة التي اختلف فيها الشيخان مسألة تتعلق بعلم

---

[1] رواه البخاري تحت رقم: 3508 وصححه الألباني تحت رقم :5431 ، أنظر: البخاري، المصدر السابق،ج4، ص180. والألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته،ج2، ص956.

[2] القرآن الكريم: سورة التحريم، الآية: 04.

[3] الغبريني: المصدر السابق ، ص287.

الصرف، كما أنّ التثنية[1] على ثلاثةِ أضرُبٍ: تثنية في اللّفظ والمعنى؛ وعليه أكثرُ الكلام.وتثنية في اللفظ دون المعنى؛ وذلك على حُكم التّغْلِيْبِ؛ وهو قليلٌ، كـ (العُمَرَين) و (القَمَرين) و (الأَبوَين).

وتثنية في المعنى دون اللّفظ؛ وهو لِمَا كان في الجَسَدِ منه شيءٌ واحدٌ، وأُريْدَ تثنيتُه وهو مضافٌ إلى مثنّى، فهو يكونُ بلفظ الجمع، مثل: (أعجبني وجُوهُكُمَا) و (سَرَّني طيبةُ قُلُوبِكُمَا) ، وكقوله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}.[2]

كما أنّ أبا عبد الله الآبار لم ينكر على شيخ الغبريني ما قاله جملة، وإنما وافقه وأضاف إلى جوابه جوابا آخر بقوله ويجوز يا فقيه. ولكن تعصب لشيخه ورد كلام ابن الآبار جملة وهذا لا يمكن أن يحدث من رجل وشيخ قاض كالغبريني، فكان الأولى منه أنْ يتعصب للحق فقط.

نستنتج من خلال ما سبق أن عدم استخدام الغبريني للنقد التاريخي في كتابه بشكل واضح ومقصود سواء على أصحاب التراجم أو على ما نقله من أحداث تاريخية وقضايا كانت في عصره، لم يمنع من تتبع ما جاء في كتابه من مظاهر تدل على استخدامه للنقد بطريقة غير مباشرة واستخراجها كتعقيبه وتعليقه أو ردوده في كتابه على فتاوى أو قصص أو وصف لواقع علم كالطب مثلا. كما أن الغبريني كانت له آراء ومواقف حول مواضيع ذكرها في كتابه ولم يوفق في ذلك تتعلق بالعقيدة وتفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وأيضا بأهل البيت ومكانتهم، بل وحتى اللغة العربية وصرفها كان له موقف منها.

---

[1] المراد من التثنية: الدلالة على اثنين متفقين في اللفظ بلفظ واحد؛ قصدًا للإيجاز ولا بد من تكرير الاسم والعطف، ويكون ذلك بزيادة ألف ونون مكسورة رفعًا، وياء مفتوح ما قبلها، ونون مكسورة نصبًا وجرا في آخر الاسم. أنظر: محمد عبد العزيز النجار ضياء، السالك إلى أوضح المسالك، ج4، مؤسسة الرسالة، ط:1، 2001م، ص169.

[2] ابن الصائغ، اللمحة في شرح الملحة،ج1، تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط:1، 2004م، ص187.

الخاتمة

أظهر لنا هذا البحث عدة حقائق حول الغبريني ومنهجه التاريخي في كتابه، حيث مكّن لنا التعرف على الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية لعصره ومدى تأثُره بهذه الظروف وتأثيره فيها، ومن خلال التعريف بالعصر الذي عاش فيه الغبريني وخاصة مدينة بجاية، هذه المدينة التي عاش فيها الغبريني وكتب عن غيره الذين عاشوا في مدينته. كذلك مكّنت لنا الترجمة للغبريني في فصل مستقل، وبشكل مفصل من التقرب أكثر من هذه الشخصية وفهمها أكثر، ومدى انعكاس أحوال عصره على شخصيته، ومنه انعكاسها على كتابته في عنوان الدراية، ويمكن عرض النتائج المتحصل عليها بعد هذه الدراسة كما يلي:

– لم ينل الغبريني حظهُ عند المصادر الخاصة بالتراجم من ترجمة وافية، يمكن الاعتماد عليها، على الرغم من الأهمية العلمية لكتابه عنوان الدراية ولشهرته، وأيضا لتوافر دواعي الكتابة عنه وخاصة في القرن السابع هجري/الثالث هجري حيث ظهرت كتابات خاصة بالتراجم في عصره في المغرب الإسلامي لم تكتب عن الغبريني وحياته بشكل كاف، فضلا عن كتب تراجم المشرق فلم يرد ذكره أصلا.

–يعتبر كتاب الغبريني عنوان الدراية مرآة عاكسة للعصر الذي عاش فيه الغبريني، وخاصة في مدينة بجاية في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ويظهر هذا الانعكاس في الحياة المذهبية بشكل واضح و جلي في كتابه.

– هناك اختلاف وتضارب بين المصادر حول تحديد اسم والده وتاريخ وفاته، بالإضافة إلى انعدام تفاصيل حياته الشخصية كأسرته وأولاده. ولكن هناك وفرة كبيرة من الأخبار في كتابه حول شيوخه والعلوم التي أخذها عنهم من خلال برنامج مشيخته.

–كان الغبريني شاهد عَيَان عصره بحكم البيئة المكانية و الزمنية الواحدة، المكان بجاية والزمان القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، حيث كان مشاركا ومصاحبا ومخالطا لأغلب العلماء، لهذا احتوى كتابه على كَمٍ هائل من أخبارهم، فهو يعتبر مصدرا لكثير من الترجمات لديه.

– عُنِيَ كتاب الغبريني بفئة كبيرة من التراجم، وحاول الغبريني أنْ يخبرنا بكل ما يملك من معارف حول تراجمه، حيث بدأ بذكر اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ومولده، ونشأته ودراسته وأخذه عن الشيوخ الذين التقى بهم وروى عنهم وفي بعض الأحيان تلامذته الذين أخذوا عنه وانتفعوا بعلمه، وأقوال المشايخ فيه وإجازاته ورحلاته، وأورد كثيرا من كرامته، وما خلّف من آثار علمية وأدبية من مؤلفات وبعض من نظمه، , وفي مواضع يذكر وظائفهم خاصة القضاء وأحكامهم فيها وهناك من ذكر له مهنة أو حرفة اشتغل بها بل ومن تتبع طبيعة عيشه وأكله ولباسه وبيّن بعد ذلك مكانته العلمية والاجتماعية وعلاقتهم بالسلطة، حيث جاءت ترجمات الغبريني في كتابه حول علماء عصره وافية من حيث تحديد هوية أصحاب التراجم، كتحديد كنيته ونسبه ولقبه واسم الشهرة ووفاته وأحيانا مولده وأصله، ولكن هذه الترجمات كان يعزوها الجانب العلمي خاصة من ناحية الكم، فالغبريني لم يثبت لنا في كتابه التراث العلمي والأدبي لتراجم كتابه.

– تراجم الغبريني تفاوتت طولا وقصرا حسب أهمية المترجم له، ولعلّ المهم في هذا أنّ الغبريني اعتمد في انتقاء تراجمه على الشهرة وخصّها بالعلماء دون غيرهم، وكتب عن الرجال فقط دون النساء، فهذا الشمول النوعي، أما الشمول المكاني بمن عاش في بجاية والزمني القرن السابع هجري ، التزم الغبريني بخاصية الزمان والمكان ولم يحد عن شرطه هذا إلا في نماذج قليلة وقَدَّمَ أعذاره في ذلك.

– اعتمد الغبريني في كتابه للتعريف بأحوال تراجمه على الرواية الشفوية، وأوردها بصيغ مختلفة كما رأينا سابقا، فيظهر الإسناد إما روايةً

عن شيوخه الذين حدثوه عن شيوخهم حتى الراوي الأول الذي عاصر الحدث أو شاهده، أو من معايشته بنفسه للحدث ومشاهدته، ويرجع ذلك إلى طبيعة المترجم لهم، فتربطه مدينة بجاية بهم، وكذلك الزمان فهم شيوخُه أو أصحابُه ومعاصروه، فلهذا فكتابه يعتبر مصدرا للكثير من هؤلاء المترجم لهم، ولكن رغم تنوع مصادر كتاب الغبريني، إلا أنّ الغالب على مصادر تراجم كتابه هي المصادر الذاتية عن طريق المشاهدة والمشاركة وأوردها بصيغ مختلفة، بالإضافة الى بعض المصادر المكتوبة التي أشار إليها وأيضا ما استفاده من الوثائق والإجازات والسماعات، ولقد حاول الغبريني نقد مصادره باختلافها كلما أمكن له ذلك.

- رغم ما عرفته الكتابة التاريخية في العالم الإسلامي بسقوط الإسناد تدوينا وقيمة توثيقية، بداية من القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي، إلا أنّ الغبريني في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي حافظ على الإسناد في كتابه، وحاول أن يذكر السند الذي روى منه أخباره كل ما أمكنه ذلك.

- إذا غاب عن الغبريني الإسناد في الأخبار التي ينقلها عن تراجمه، خاصة فيما تعلق بأعمالهم العلمية أو مؤلفاتهم أو اجازاتهم وغيرها، فإنّه يستخدم طريقة أخرى فيذكر لنا مصادرها بتوثيق عجيب فلا يكتفي الغبريني بذكر اسم الكاتب والكتاب كاملا، بل يضيف إليها وصف الكتاب ومحتواه ونوعية خطه ومكان وجوده واسم ناسخه وبل ويضيف أيضا نسخ أخرى.

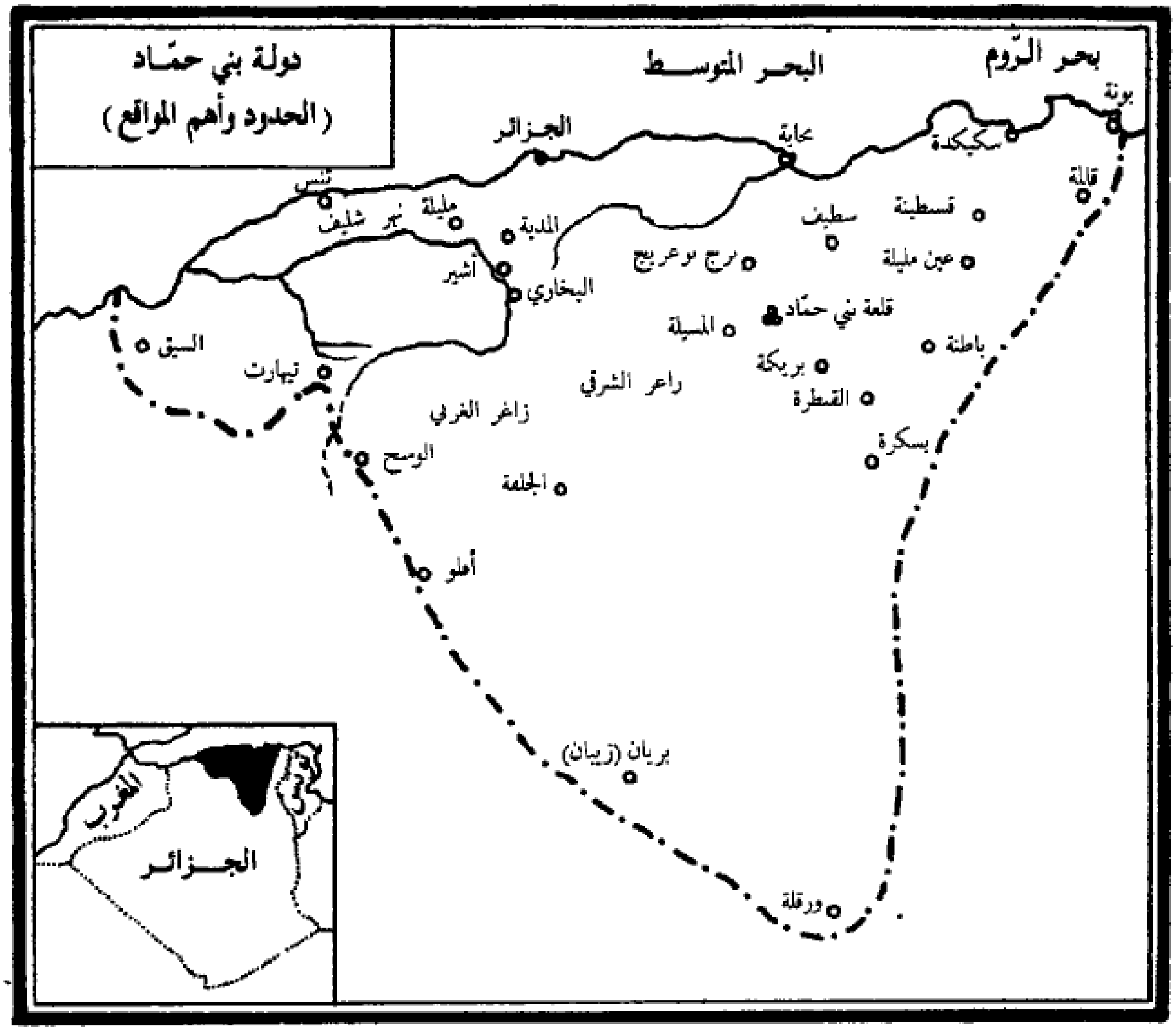
- لم يعن الغبريني بالنقد التاريخي مقدما أعذارا غير مقبولة، وكان بإمكانه أن يقوم بذلك، لأضاف الى كتابه قيمة علمية مهمة، وخاصة أن كتابه في التراجم بذكر مالهم وما عليهم على سواء، ولكن رغم ذلك فقد أمكن استخراج بعض جوانب النقد لديه في كتابه خاصة في بعض المواضع التي تطرق إليها بالنقد.

- يعاب على الغبريني أنّه جعل القيمة العلمية لتراجمه في درجة واحدة، عندما أطلق عليهم صفات متتالية على نسق واحد، كقوله: الشيخ الفقيه الفاضل، العلم العامل العابد، المحقق المتقن المحصل المجتهد. وهذا ريمكن تصوره فكيف بحدوثه واجتماعها لأفراد في مكان وزمان معيّن.

وفي الأخير رغم الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذه الرسالة، إلا أنني حاولت أن أخرجها على أفضل صورة ممكنة، والكشف عن المنهج التاريخي لمؤرخنا الغبريني. إلا أنه كتابه عنوان الدراية مازال يحتاج إلى دراسات أخرى تهتم بدراسات دقيقة ومتخصصة لما تضمنه من رصيد علمي و أدبي.

الملاحق

الملحق 01 : موقع مدينة بجاية



المصدر: عبد الحليم عويس، الدولة الحمادية، ص 97 .

الملحق 02: جدول يمثل ولاة بجاية في القرن 7هـ/13م

01	أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن	600-604هـ/1230-1236م
02	أبوعمران محمد بن يعقوب المنصور	604-627هـ/1230-1230م
03	أبوعبدالله محمد اللحياني	627-633هـ/1230-1236م
04	أبويحي زكرياء ابن الأمير أبي زكرياء يحي	633-646هـ/1236-1249م
05	الأمير أبي حفص	646-660هـ/1249-1279
06	أبوهلال عياد بن سعيد الهنتاني	660-673هـ/1275-1279م
07	محمد بن أبي هلال	673هـ-675هـ/1275-1281م
08	ادريس أخ القائم بالدولة أبي الحسن	676هـ-677هـ/1275-1281م
09	محمد بن أبي هلال	677هـ-679هـ/1275-1279م
10	عبدالحق بن تافركين	678هـ/1279م
11	أبوفارس بن أبي اسحاق بن أبي زكرياء	679هـ-682هـ/1280-1283م
12	محمد بن السّيد	682هـ-683هـ/1283-1284م
13	أبوالحسن طفيل	683هـ-683هـ/1283-1284م
14	أبو الحسين بن سيّد الناس	683هـ-690هـ/1283-1284م
15	أبو القاسم بن أبي حيّ	690هـ-705هـ/1283-1284م

المصدر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 379 وما بعدها.

الملحق 03: جدول يمثل السلاطين الموحدين والحفصيين في القرن 7هـ/13م

01	محمد الناصر بن يعقوب المنصور	595-610هـ/1199-1213م
02	ابنه يوسف المنتصر	610-620هـ/1213-1224م
03	عبد الواحد بن يوسف ابن عبد المؤمن	620-624هـ/1224-1227م
04	عبد الله العادل بن المنصور	624-627هـ/1227-1249م
08	يحي الأول	627هـ-647هـ/1230-1249م
09	ابنه محمد الأول المستنصر	647هـ-673هـ/1249-1277م
10	ابنه يحي الثاني الواثق	673-678هـ/1277-1279م
11	ابراهيم الأول ابن يحي الأول	678هـ-681هـ/1279-1283م
12	اعتراض الدعي	681هـ-683هـ/1283-1284م
13	أخوه عمر الأول	683هـ-694هـ/1294-1295م
14	أبوعصيدة محمد الثاني بن الواثق	694هـ-709هـ/1295-1309م
15	أبو القاسم بن أبي حيّ	690هـ-705هـ/1283-1284م

المصدر: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2، ص ص313-385.

الملحق 04: أسماء شيوخ الغبريني وعناوين الكتب التي رواها عنهم

الكتاب	مؤلف الكتاب	الراوي	موضوع الكتاب
الكشف واليان عن تفسير القرآن	أبو إسحاق أحمد بن محمد الشاطبي	أبوالعباس بن خضر الصدفي	**علوم تفسير القرآن الكريم**
التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل	أبوالحسن علي بن محمد الطبري	أبوجعفر خضر الصدفي	
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي	أبو بكر بن محرز	
كتاب الموطأ	أبوعبدالله مالك بن أنس	أبوعبدالله الشاطبي أبوالعباس بن خضر الصدفي	**الحديث**
مسند البخاري، مسلم، الترمذي، أبي داوود،النسائي		أبوالحسن السراج	
صحيح البخاري	أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري	أبوعبدالله الشاطبي	
صحيح مسلم	أبوعبدالله مسلم بن الحجاج	أبوعبدالله الشاطبي	
السنن	أبوداوود السجستاني	أبوعبدالله ابن أبي التقي	
الجامع الكبير	الإمام الترمذي	أبو الحسن على بن قطرال	
السنن الكبرى	أبوعبدالرحمن الترمذي	أبوالعباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي	
التمهيد والاستذكار	ابن عبدالبر القرطبي	أبوجعفر أحمد بن محمد بن خضر الأندلسي	
المنتقى	أبوالوليد بن وارث الباجي	أبوالحسن بن السراج	
المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار	أبوعبدالله محمد بن عبدالحق التلمساني	أبوالقاسم بن خضر	
المدونة والمختلطة	أبوسعيد سحنون التنوخي	أبومحمد القيسي	**علوم الفقه**
التهذيب في اختصار المدونة	أبوسعيد البراذعي	أبوالحسن بن السراج	

مختصر ابن عبد الحكم	عبدالله ابن عبد الحكم	أبوعبدالله بن صالح	
التفريع في فروع المذهب المالكي	أبوالقاسم بن الجلاب البصري	أبوالعباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي	
الواضحة في السنن والفقه	عبد الملك بن حبيب	أبو فارس بن مخلوف	
الرسالة في اعتقاد أهل السنة	أبومحمد بن أبي زيد	أبومحمد ابن كحيلة	
مختصر الموطأ	أبوالحسن القابسي	أبومحمد ابن كحيلة	
تلقين المبتدئ وتذكرة المنتهى	أبومحمد عبد الوهاب	أبو فارس عبدالعزيز بن مخلوف	
المقدمات الممهدات	أبوالوليد ابن رشد	أبوعبدالله الشاطبي	
التبصرة تعليق على المدونة	أبوالحسن اللخمي	أبومحمد ابن كحيلة	
	أبوبكر الطرطوشي	أبوالحسن بن السراج	
	أبوبكر بن العربي		
	أبوعبدالله المازري	أبوعبدالله اللخمي القلعي	
	القاضي عياض		
كتاب سيبويه في النحو	أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر	أبوعبدالله محمد بن ميمون القلعي	علوم العربية
الإيضاح	أبوعلي الفارسي	أبوعبدالله الأستاذ الكاتب	
الجمل الكبرى	أبوالقاسم الزجاجي	أبوعبدالله الأستاذ الكاتب	
العقد الفريد	ابن عبد ربه	أبوعبدالله القلعي	
القانون	أبو موسى الجزولي	أبوعبدالله الأديب	
المفصل	الزمخشري	أبوالحسن بن السراج	
أدب الكاتب	ابن قتيبة	أبو بكر بن محرز	
ديوان الحماسة	أبو تمام حبيب بن أوس الطائي	أبوعبدالله الأديب	
المقامات	أبومحمد القاسم الحريري	أبو الحسن بن السراج	
المقصورة الدريدية	أبوبكر ابن دريد الأزدي	أبو بكر بن محرز	
رسالة في فضل مكة	أبوالحسن البصري	أبوجعفر بن خضر الأندلسي	علم التصوف

قوت القلوب ومعرفة الطريق الى معاملة المحبوب	**أبو طالب محمد بن المكي**	**أبوجعفر بن خضر الأندلسي**	
الرسالة	**أبوالقاسم القشيري**	**أبوعبدالله بن صالح الكناني**	
	أبو الفرج الجوزي	**أبومحمد بن بريطة الأزدي**	
	الخطيب البغدادي	**أبوالعباس أحمد بن محمد المقري**	**علوم الدين وأصول الفقه**
	أبوبكر بن فورك	**أبوعبدالله محمد بن أبي التقي**	
الإرشاد	**أبو المعالي الجوزي**	**أبوعبدالله الكناني الأندلسي**	
المستصفى من علم الأصول	**أبو حامد الغزالي**	**أبوالعباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي**	
السنن	**أبوعبدالله الشافعي**	**أبومحمد عبدالعزيز بن عمر بن مخلوف القيسي**	
المسائل في الفقه	**الليث بن سعد المصري**	**أبوالحسن بن السراج**	
جامع الخيرات	**أبومحمد بن عيينة**	**أبوالحسن بن السراج**	
المسند الكبير	**أبوعبدالله أحمد بن حنبل**	**أبوعبدالله الكناني الأندلسي** **أبوالعباس بن خضر الصدفي**	

المصدر : الغبريني، عنوان الدراية، ص350 ومابعدها.

الملحق 05: جدول إحصائي يبرز حجم التوثيق وأنواعه في كتاب عنوان الدراية للغبريني

عبارات التوثيق	عددها في الكتاب
سندنا	03
أخبرني	26
من وثقت به	05
ذكر لي	19
لقيته	15
رأيته	04
الاحتمال والظن	02
سمعت	53
لم يصلني	01
لا أعرف	01
لم أجد	01
المصادر(الكتب)	15

المصدر : بعد استقراء صاحب البحث لكتاب الغبريني "عنوان الدراية".

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. ابن أبي العز ، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت 792هـ/1390م)، شرح العقيدة الطحاوية، تح: شعيب الأرناؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 10، 1997م.
2. ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت 630هـ/1233م)،الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، ط: 1، 1997م.
3. أحمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، جزء من موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، ط: 1 ،1996م.
4. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت 560هـ/1265م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ،عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1409 هـ.
5. إسحاق بن الحسين المنجم (ت ق 4هـ/10م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1408 هـ.
6. البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(256هـ/870م)،الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: 1، 1422هـ.
1. البسيلي أبو العباس التونسي (ت 830 هـ/1427م)، نكت وتفسيرات القران المجيد، تح: محمد الطبراني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: 1، 2008م.

7. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت487هـ/1094م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي،1992 م.

8. التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد(ت808هـ/1405م)، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د. ط، 1981م.

9. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (ت 279هـ/892)، مختصر الشمائل المحمدية، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية،عمان، الأردن، د.ت.

10. التُّسُولي، أبو الحسن المالكي علي بن عبد السلام بن علي (ت 1258هـ/1842م)،أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تح:عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1996م.

11. التنبكتي، أحمد بابا (ت 963 هـ/1556م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتاب، طرابلس، ط:2، 2000م.

12. التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت بعد 1158هـ/1745م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، تر: عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ،بيروت، ط: 1، 1996م.

13. ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1995م.

14. تيمية تقي الدين ابن، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ/1328م)، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ط: 1، 1418 هـ.

15. ابن الجزري شمس الدين ، أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ/1430م)، غاية النهاية في طبقة القراء،ج2، عناية ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ.

16. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1992 م.

17. ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد(ت 852هـ/1448م) إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، د.ط، 1969م.

18. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري،ج12، تح: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت ، 1379هـ.

19.

20. ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري الأندلسي (ت 456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1983م.

21. الحميرى نشوان بن سعيد اليمني(ت 573هـ/1177م) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، ط: 1، 1999م.

22. ابن حوقل ، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي(ت بعد 367هـ/977م)، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، د. ط، 1938م.

23. ابن الخطيب لسان الدين ، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله (ت 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة، ، ط:1 ،1977 م.

24. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط،1900م.

25. الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 2003 م.

26. الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث،القاهرة،2006م.

27. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ/1347م) ، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط: 3 ، 1985 م.

28. الرُّوداني، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي المكيّ المالكي (ت 1094هـ/1683م)، صلة الخلف بموصول السلف، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1988م.

29. الزركشي، أبوعبدالله محمد بن ابراهيم(ت808هـ/1405م)، ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.

30. زكريا القزويني بن محمد بن محمود(ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

31. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد(ت 902هـ/1497م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت.

32. سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي (ت852هـ/1448م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة، ط:1،2008 م.

33. السفاريني شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت 1188هـ/1774م)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين،دمشق، ط: 2،1982م.

34. السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري (ت1315هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت.

35. السيوطي جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت 911هـ/1505م) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

36. السيوطي جلال الدين، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تح: فيليب حتّي، المكتبة العلمية، بيروت.

37. ابن الشّماع ، أبوعبدالله محمد بن أحمد، الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري،الدار العربية للكتاب،1984م،

38. الصائغ ابن، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، (ت 720هـ/1320م)، اللمحة في شرح الملحة، تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط:1، 2004م.

39. الطوفي نجم الدين ، الصرصري، أبو الربيع، سليمان بن عبد القوي بن الكريم (ت 716هـ/1316م) ، شرح مختصر الروضة، ج1، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط : 1 ، 1987 م.

40. عبد الرحمن ابن خلدون ، بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت808هـ/1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، 2001م،

41. عبد المنعم الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت 900هـ/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار،تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط:2، 1980 م.

42. عبد الواحد المراكشي، محيي الدين بن علي التميمي (ت 647هـ /1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، د. ط، 1963م.

43. العبدري، محمد البلنسي(ت نحو سنة 720هـ/1325م)، الرحلة المغربية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة،الجزائر، ط:1 ،2007م.

44. أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487هـ/1094م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج:3، عالم الكتب، بيروت، ط: 3، 1403 هـ.

45. ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ،تح: ج،س، كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 3، 1983م.

46. العراقي الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم(ت 806هـ/1403م)، طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)،دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.

47. العمري شهاب الدين،أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط: 1، 1423 هـ.

48. ابن علان محمد علي بن محمد بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت 1057هـ/1647م)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:4، 2004 م.

49. الغبريني أبو العباس ، عنوان الدّراية فيمن عُرفَ من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر،الجزائر، د. ط، د.ت.

50. الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1970م، الجزائر.

51. الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ، 1979م.

52. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت505هـ/1111م)، المستصفى في علم الأصول، تح محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م.

53. أبو الفداء عماد الدين، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت 732هـ/1382م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط:1، د. ت.

54. ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين (ت799هـ /1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1996م.

55. ابن القاضي المكناسي ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1025هـ/1616م)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

56. القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت 544هـ)، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط: 1، 1970م.

57. ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي (ت 555هـ/1448م)، تاريخ دمشق ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق، ط :1، 1983م.

58. قنفذ ابن القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بالخطيب(ت740هـ/1339م)، شرف الطالب في أسنى المطالب، دار الغرب الإسلامي، ط:1 ،1996م.

59. ابن قنفذ القسنطيني ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، بيروت، د.ط، 1968م،

60. قنفذ القسنطيني ابن، أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ط، 1965م.

61. ابن قنفذ القسنطيني ،الوفيات، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:4، 1983م.

62. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي(ت774هـ/1372م) ، البداية والنهاية ، دار الفكر، د ط، 1986م.

63. كثير ابن، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس، الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، ط:1، 1419هـ.

64. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (ت 380هـ/990م)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية ، بيروت.د.ط، د.ت.

65. ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوازن الفاسي، (ت808 هـ/1405م)، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر،ط:2، دار الغرب الاسلامي، 1983م.

66. محمد با كريم محمد با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية للنشر والتوزيع، ط: 1، 1994م.

67. ابن مخلوف محمد بن محمد (ت800هـ/1398م)، شجرة النور الزكية، المطبعة السلفية القاهرة، د.ط، 1349هـ.

68. المراكشي عبد الواحد ، محيي الدين بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط:1، 2006م.

69. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ/875م) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

70. المقريزي تقي الدين ،أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي(ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1418 هـ.

71. ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري،لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط:1، د.ت،

72. مؤلف مجهول (ت بعد 372هـ/982م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح وتر: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423هـ.

73. مؤلف مجهول (ت ق 6هـ/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1986 م.

74. النبّاهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (ت بعد720هـ/بعد1320م)، المرقبا العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:5، 1983م.

75. الوادي آشي أبوعبد الله، محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن جابر، شمس الدين ، (ت 746هـ/1345م) ، برنامج الوادي آشي، تح: محمد محفوظ، دار المغرب الإسلامي، أثينا، بيروت، ط:1، 1980م.

76. الوردي ابن، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي (ت 749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1996م.

77. الوزير ابن، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (ت 840هـ/1436م)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 3، 1994م.

78. الونشريسي أحمد بن يحي، وفيات الونشريسي، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1،1996م.

79. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط: 2، 1995 م.

80. يحي ابن خلدون، أبو زكرياء بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونتانا الشرفية، الجزائر، د. ط، 1903م.

ثانيا: المراجع:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، دار الدعوة، ص83.
2. أحمد تيمور باشا، المذاهب الفقهية الأربعة، دار الآفاق العربية، ط: 1، القاهرة، 2001م.
3. الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ت 1420هـ/1999م)، ، صحيح الجامع الصغير وزياداته،المكتب الإسلامي.
4. الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج7، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1، 2002م، ص1712.
5. الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ج7، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1992 م،
6. الألباني، صحيح أبي داود – الأم، ج7، المؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: 1، 2002 م، ص53.
7. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته،ج2، المكتب الإسلامي، ص794.
8. بوعمامة فاطمة ، اليهود في المغرب الاسلامي ،خلال القرنين السابع والتاسع هجري الموافق13–15 ميلادي،،كنوز الحكمة،2011م.
9. ترحيني محمد أحمد ، المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د. ت.
10. التويجري حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن (ت 1413هـ/1992م)،الاحتجَاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1983 م.

11. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال.

12. حاجي خليفة (ت 1067هـ/1657م) مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مكتبة المثنى، بغداد،1941م.

13. الحفناوي أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم الغول، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ط، 1906م.

14. الدريس خالد بن منصور بن عبد الله ، موقف الإمامين البخاري ومسلم من اشتراط اللقيا والسماع في السند المعنعن بين المتعاصرين، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

15. دُوزِي رينهارت بيتر آن (ت1300هـ/1883م)، تكملة المعاجم العربية، تر: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط:1، 2000 م.

16. روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، تر: حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1988.

17. الزُّحَيْلِي وَهْبَة بن مصطفى ، الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ،دار الفكر دمشق، سوريَّة ، ط:4، د. ت.

18. سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط:1، 2003م،

19. السقاف علوي بن عبد القادر ، خزانة الكتب(كتب التاريخ والتراجم)، مؤسسة الدرر السنية، د.ط، د.ت.

20. السنوسي محمد بن عثمان بن محمد السنوسي، أبو عبد الله (ت1318هـ/1900م)، مسامرات الظريف بحسن التعريف، د.ط، د. ت.

21. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء ،اليمن، ط:1، 2010 م.

22. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 3، 1983م.

23. شُهبة محمد بن محمد بن سويلم أبو ، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، د.ط، د. ت.

24. الصَّلاَّبي عَلي محمد ، دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، د.ط، د، ت، عمان.

25. الصلابي محمد علي ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.

26. الطالبي عمّار ، ابن باديس حياته وآثاره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:2، 1983م.

27. الطاهر بونابي،التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته- تياراته- دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د.ط، د. ت.

28. الطويان عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم ، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1999م.

29. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الإسلامي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط:2، 1991، م.

30. عبد العليم عبد الرحمن خضر، المسلمون وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د. ط، 1995م.

31. عبد الغني محمد حسن، التراجم والسير، دار المعارف، د.ط، د.ت.

32. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط:9،2001م.

33. عبد المحسن بن حمد العباد البدر ، فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الأثير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 2001م.

34. العثيمين بن محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، دار الوطن للنشر، الرياض، ط 1، 1426 هـ، ص640.
35. العروسي محمد ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، د. ط،1986م.
36. عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:2، 1990 م،
37. الغفيلي عبد الله بن سليمان ،أشراط الساعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1422هـ.
38. القاسمي عبد المنعم الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، ط:1، 2009م.
39. كافي أبو بكر ، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح، دار ابن حزم، بيروت، ط :1، 2000 م
40. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير (ت1382 هـ/1962م)،فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:2، 1982م.
41. الكتاني علي بن محمد المنتصر بالله (ت 1422هـ/2000م)، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 2005 م.
42. كحالة رضا (ت 1408هـ/1987م) عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي ، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت، د ط.
43. لقبال موسى ، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط:2، 1981م.
44. لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية.
45. محمد عبد العزيز النجار ضياء، السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، ط:1، 2001م.

46. محمد فتحي عثمان، المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط: 2، 1992م.

47. محمد كمال عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط: 1، 1984م.

48. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط:2، 1985م.

49. محمود الطّحان، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 9، 1996م،

50. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، د. ط، 2009م،

51. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، الجزائر، 1982م.

52. مصطفى مغزاوي،البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الاسلامي ومغربه، كنوز الحكمة،2011م.

53. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات وفنّ كتابة التراجم، مكة المكرمة، ط: 1، 1421هـ.

54. الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

55.

ثالثا- المراجع بالأجنبية:

56. Ammar boulifa: le Djurdjura a travers L histoire de l antiquité

رابعا- الموسوعات والمعاجم:

1. رفيق العجم، موسوعات مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط:1، 1999م،

2. الزركلي (ت 1396هـ/1976م) (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي) الأعلام ، دار العلم للملايين، 2002 م.

3.عادل نويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط:2، 1980م.

خامسا:الرسائل الجامعية:

1. عيساوي محمد، النقد التاريخي عند علماء المشرق الإسلامي-خلال القرن الثامن هجري(14م) منهجا وتطبيقا، رسالة دكتوراه، 2014-2015م، المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة- الجزائر.

2. بوخاوش مريم، آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط(6-10هـ/12-16م)، رسالة دكتوراة في التايخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة-، الجزائر، 2014-2015.

سادسا:المقالات:

1. بلعربي خالد ، حركة التصوف في بجاية خلال القرنين 6 و7 هـ- 12 و13م، مجلة حوليات التراث، العدد:14، السنة: 2014.

2. عبد الرحمن بن حماد آل عمر، مجلة دين الحق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د.ط، ط:4، 1420هـ.

3. علاوة عمارة، التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ، العدد: 26، سبتمر2008م.

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الفرق والطوائف والقبائل

فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية :

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الحجرات	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}	06	123
الزلزلة	«فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»	7–8	141
الروم	(يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)	07	142
الزمر	{مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ}	09	144
السجدة	{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}	16	144
الكهف	{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا – وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}	98–99	146
الزمر	{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}	30	147
الأنبياء	{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ}	34	147
الأنبياء	{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}	35	147
التحريم	{إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما}	04	150
النحل	{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}	125	143
المؤمنون	{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ	60	140

	رَاجِعُونَ}		
النساء	{وَلَوْ أَنَّـهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ}	66	143
النور	{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا}	17	143
الأحزاب	{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}	33	149

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:

فهرس الأعلام:

-أ-

فهرس الأماكن والبلدان:

–أ–

–ب–

–ت–

–ج–

اليمن، ص15، ص25

فهرس الفرق والطوائف والقبائل:

-أ-

-ب-

-ح-

-ر-

فهرس المحتويات